النجف
قبل الإسلام

حفريات في ذاكرة المنطقة

تأليف
عبد الأمير المؤمن

مركز الرافدين للحوار

النجف قبل الإسلام

حفريات في ذاكرة المنطقة

النجف قبل الإسلام

حفريات في ذاكرة المنطقة

تأليف: عبد الأمير المؤمن

الطبعة الاولى، بيروت/النجف الاشرف، 2025

First Edition، Beirut/Najaf، 2025

© جميع حقوق النشر محفوظة للناشر، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق.

إن جميع الآراء والمعلومات الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر (المركز).

ISBN: 978 - 9922 - 749 - 59 - 4

تشرين الأول/أكتوبر 2025

النجف قبل الإسلام

حفريات في ذاكرة المنطقة

تأليف

عبد الأمير المؤمن

مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center For Dialogue
R.C.D

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾.

سورة المؤمنون، الآية: 50

الفهرس

مقدمة المركز 11
المقدمة 15
الفصل الأول: مدخل تمهيدي 19
اولاً: مصادر البحث عن النجف قبل الإسلام 19
أ. مصادر الحيرة هي مصادر النجف 20
ب. مصادر عربية عن المنطقة 23
ج. مصادر أجنبية عن المنطقة 24
د. مصادر النقوش والآثار 25
ثانياً: هل وردت النجف في القرآن الكريم؟ 28
ثالثاً: لماذا النجف قبل الإسلام؟ 30
الفصل الثاني: البحث عن النجف 33
اولاً: النجف المدلول اللُغوي 33
ثانياً: النجف في الروايات والأخبار القديمة 36
ثالثاً: النجف الطبيعة والتاريخ والحضارة 39
أ. النجف المَعْلَم الطبيعي التاريخي 40
هل كان موضع النجف مسكونًا؟ 43
ب. النجف المنطقة (منطقة الظهر والظاهر) 46
ج. من تسميات منطقة النجف 51
1. نجف الحيرة أو نجف الكوفة أو النجف 53
2. ظهر الحيرة أو ظهر الكوفة أو الظهر 53
3. ظاهر الحيرة أو ظاهر الكوفة 54
4. خدّ العذراء 55
5. اللسان 56
د. النجف القرية المدينة 56

الفصل الثالث: خصائص منطقة النجف 63
اولاً: النجف الهويّة الطبيعية 64
ثانياً: النجف الجَمال والرومانسية 65
ثالثاً: النجف الموقع الحضاري والمحطة المرورية 67
رابعاً: النجف الموقع التاريخي المقدس 69
خامساً: النجف المنطقة الصحيّة ودار النقاهة 71
سادساً: النجف الموقع العسكري الإستراتيجي 72
سابعاً: النجف منطقة صالحة للرصد الفلكي 74
الفصل الرابع: النجف منطقة دينية 77
اولاً: منطقة نصرانية بامتياز 77
ثانياً: الحيرة الأم (النصرانية) 81
ثالثاً: نجف الحيرة (النصرانية) 86
رابعاً: عاقولاء الحيرة (النصرانية) 91
الفصل الخامس: أماكن العبادة النصرانية 97
أماكن العبادة النصرانية 97
1. دَيْر ابن براق 100
2. دَيْر ابن مزعوق 100
3- دَيْر ابن وضاح 101
4. دَيْر أبو موسى 101
5. دَيْر الأسْكون 101
6. دَيْر الأعور 102
7. دَيْر بني مَرِينا 102
8. دَيْر الجماجم 103
9. دَيْر الحريق 104
10. دَيْر حَنَّة بالأكيراح 104
11. دَيْر حَنَّة بالحيرة 105
12. دَيْر حنظلة 105
13. دَيْر زرارة 106
14. دَيْر الزُرنُوق 107

15. دَيْر السلسلة 107
16. دَيْر السوا 107
17. دَيْر الشاء 107
18. دير سرجس 108
19. دَيْر عبد المسيح 109
20. دَيْر العذارى 110
21. دَيْر علقمة 110
22. دَيْر قرّة 110
23. دَيْر اللُّج 111
24. دَيْر مارت مريم 112
25. دَيْر مارفايثون 113
26. دَيْر هند الصغرى 114
27. دَيْر هند الكبرى 116
28. ديارات الأساقف 117
29. قُبّة الشتيق 118
30. قُلاية القَس 118
31. كنيسة الباغوتة 119
الفصل السادس: قصور منطقة النجف 121
أولًا: قصور حضارية متنوعة 121
1. القصر الأبيض 123
2. قصر بني بُقيلة 124
3. قصر بني مازن 125
4. قصر بني مقاتل 126
5. قصر سنداد 126
6. قصر الطين 127
7. قصر العباد 127
8. قصر العدسيين 128
9. قصر العُذيب 128
10. قصر عون العبادي 129

11. قصر الفِرس 129
12. قصر المسقَّطات 130
ثانيًا: الخورنق والسدير: قصران نموذجيان 130
القصران التوأمان 130
1. قصر الخورنق (التوأم الأكبر) 131
الخورنق: أصل التسمية 132
الخورنق: مداليل الكلمة 133
أين يقع قصر الخورنق؟ 134
من أسس قصر الخورنق ولماذا؟ 137
مهندس القصر والجزاء الظالم 139
فخامة القصر ومواصفاته 140
نهاية القصر 143
2. قصر السدير التوأم الأصغر 144
السدير: أصل التسمية 145
السدير: مداليل الكلمة 146
أين يقع قصر السدير؟ 147
من أسس قصر السدير؟ 149
فخامة القصر ومواصفاته 149
نهاية القصر 150
الفصل السابع: معالم شهيرة في منطقة النجف 153
1. الغَرِّيّان (النُصبان المُتَّهمان) 154
معنى الغَريَّين 154
شكل الغَرِيّين 155
موقع الغَرِيَّين 158
من أسس الغَرِيَّين؟ 160
نهاية الغَرِيَّين 162
2. بحر النجف (البحر الأخضر) 163
الخلفية التاريخية لبحر النجف 165
3. خندق سابور (كري سِعْدة) 167

4. بانقيا: مدينة من عمق التاريخ 170
مدينة كبيرة ومهمة 171
أين تقع بانقيا؟ 172
5. مواضع ومعالم أخرى 174
1. أَطَدٌ 174
2. الأُفاقَةُ 174
3. أنْقِرَة 175
4. بارق 175
5. الثَوِيّة 176
6. الجَرعة 176
7. جُفاف الطير 177
8. الجوسق الخَرِب 177
9. حروراء 178
10. حمام أعين 178
11. الخُصوص 178
12. خَفّان 179
13. الرُحبَة 179
14. السيْلحون 179
15. صريفون 180
16. صِنّين 180
17. ضارج 181
18. الطفّ 181
19. طيزناباذ 181
20. العُذَيب 182
21. عين جمل 182
22. القادسية 183
23. قُسُّ الناطِف 183
24. القُطقُطانة 184
25. المِلطاط 184

26. منابض 184
27. النُخَيْلة 185
28. النمارق 185
كلمة آثارية أخيرة: النجف مَنْجم آثاري سيكشفه المستقبل 187
النجف مَنْجَم آثاري سيكشفه المستقبل 187
ملحق 191
مختارات من الفصل الثالث: مظاهر جيولوجية بارزة في محافظة النجف 193
بحر النجف 193
بحر النجف في المصادر التاريخية 194
المجاري القديمة لنهر الفرات ونظرية النشاط البنيوي الحديث 196
مراحل تطور نشوء بحر النجف 197
عمر بحر النجف 199
هضبة النجف 201
آلية نشوء هضبة النجف والإعجاز الإلهي 202
هضبة النجف مرساة فلك نوح (ع) 207
هناك رأيان مطروحان في هذا الخصوص 210
طار النجف 213
مقبرة النجف 215
سراديب النجف 218
خسفة الشبجة 221
المصادر والمراجع 223
مركز الرافدين للحوار :(R.C.D) 235

مقدمة المركز

تُعدُّ مدينة النجف الأشرف إحدى أبرز الحواضر التاريخية والدينية في العالم الإسلامي لاسيما الشيعي، وقد اقترنت شهرتها في الوعي الجمعي العربي والإسلامي والعالمي، في المقام الأول، بكونها موضع قبر الإمام علي بن أبي طالب (ع) صهر الرسول الأعظم محمد(ﷺ) وابن عمه وخليفته ووزيره، كما شكلت النجف الاشرف مركزًا مرموقًا للعلم والفقه منذ قرون لنشاة التشيع الامامي الاثنى عشري والى يومنا خصوصاً تأسيس الحوزة العلمية في المدينة منذ اكثر من الف العام والتي كانت مصدراً أساسياً لوجود المرجعية الدينية العليا كمصدر شرعي واجتماعي يرجع اليه المكلفون حسب الاعتقاد الامامي الاثني عشري.

كما تميزت النجف الاشرف بكونها مدينة لها جذورًا موغلة في القدم، تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، وتشير الشواهد الأثرية والنقوش والطبقات الجيولوجية إلى أن النجف لم تكن أرضًا خاملة أو مجرد صحراء، بل كانت حيزًا جغرافيًا نابضًا بالحياة، وملتقىً لتفاعلات حضارية وبشرية امتدت لآلاف السنين.

وهذا الكتاب الموسوم (النجف قبل الإسلام: حفريات في ذاكرة المنطقة) للباحث والمحقق الأستاذ عبد الأمير المؤمن، الذي عرف باهتماماته في التراث العلمي الإسلامي عموماً والامامي على وجه الخصوص يهدف إلى استقصاء تاريخ النجف الأشرف قبل الإسلام من منظور علمي شامل، يجمع بين منهج البحث الأركيولوجي والدراسات الجغرافية والتاريخ المقارن، مع الاستعانة بالمصادر التاريخية، فضلًا عن الروايات المتفرقة التي احتفظت بها بعض المدونات الإسلامية الأولى حول جغرافيا المنطقة وسكانها، ويمثل هذا العمل محاولة لتقديم قراءة معمّقة لنشأة مدينة النجف ومحيطها الطبيعي والبشري، في إطار السياق الأوسع لتاريخ العراق القديم وحضارات وادي الرافدين.

إن دراسة النجف قبل الإسلام لا تقتصر على الكشف عن البنية الجغرافية أو المعالم الطبوغرافية للمنطقة فحسب، بل تسعى أيضًا إلى فهم أنماط الاستيطان البشري، وأسباب ظهور التجمّعات البشرية فيها، والصلات التي ربطت هذا الحوض الصحراوي بالمدن الكبرى في الجنوب والوسط، مثل الحيرة، والكوفة وما الى ذلك من المدن.

يتكون الكتاب من سبعة فصول بالإضافة الى المقدمة والخاتمة، والملحق وهو مقتبس من الكتاب القيم للشهيد الدكتور موسى جعفر العطية عن (أرض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي والثروات الطبيعية)، اشار الباحث عبد الأمير المؤمن في الفصل الأول من كتابه (النجف قبل الإسلام: حفريات في ذاكرة المنطقة) الى مصادر البحث عن النجف قبل الإسلام، والاجابة عن التساولات التي تعرض حول ورود النجف في القرآن الكريم؟ وينقاش الباحث في هذا الفصل سرديات الكتابة واهميتها عن النجف قبل الإسلام؟ ولعل في ذلك مقربات وان لم يشر لها الباحث في الكتاب توازي الإرث التاريخي للعديد من الحضارات التي عرفها بلا ما بين النهرين قبل الإسلام مع التباين الزمني بين المدن التي عرفتها النجف القديمة والمدن الأخرى في العراق القديم مثل: حضارة الوركاء (Uruk) – نحو 4000–3100 ق.م، وحضارة جمدت نصر – نحو 3100–2900 ق.م، والعصر السومري – نحو 2900–2334 ق.م، والحقبة الأكدية – نحو 2334–2154 ق.م وغيرهم من العصور والحضارات التي شهدها العراق القديم.

أما الفصل الثاني فقد تناول البحث عن النجف وتضمَّن الحديثَ عن الدلالة اللغوية لاسم النجف، وجذورها في الروايات والأخبار القديمة؛ ثم عن النجف المَعْلم الطبيعي، والنجف المنطقة، والنجف القرية والمدينة وجاء الفصل الثالث ليبين خصائص منطقة النجف وتضمَّن الحديث عن سبع خصائص أساسية هي: الهوية الطبيعية، والجمال والرومانسية، والموقع الحضاري والمحطة المرورية، والموقع التاريخي المقدس، والمنطقة الصحية ودار النقاهة، والموقع العسكري الإستراتيجي، وأخيرًا صلاح المنطقة للرصد الفلكي وغيره، واهتم الفصل الرابع بدراسة النجف كمنطقة دينية، وتضمَّن الحديثَ عن نصرانية المنطقة(المسيحية) المكونة أساسًا من الحيرة النصرانية ثم النجف ثم عاقولا (الكوفة).

وكذلك تطرق الفصل الخامس لادْيرة منطقة النجف وتضمَّن الحديثَ عن أشهر أديرة منطقة النجف حسب الترتيب الألفبائي، والفصل السادس تناول قصور منطقة النجف وتضمَّن الحديثَ أولًا: عن أشهر قصور المنطقة، وثانيًا: عن الخورنق والسدير كنموذجين لقصور المنطقة، اما الفصل السابع من الكتاب فتحدث عن المعالم الشهيرة في منطقة النجف، وتضمَّن الحديثَ عن الغرّيين، وبحر النجف، وخندق سابور ومدينة بانقيا، ثم سائر المعالم والمواضع المعروفة، وختم الكتاب بكلمة آثارية عن بعض نتائج التنقيبات الآثارية الجارية في المنطقة، ثم ألحق بالكتاب ملحقًا يتعلق بجيولوجية وأرض النجف مثلما تقدم.

وأخيراً وبقدر إغفال كتب التاريخ لمدينة النجف في العصور السحيقة، إما لندرة المصادر أو لانشغال الباحثين بالجوانب الدينية والروحية اللاحقة للمدينة فان أهمية هذا الكتاب(النجف قبل الإسلام: حفريات في ذاكرة المنطقة)، تأتي لا باعتباره استعادة لتاريخ مفقود فحسب، بل كمساهمة علمية ومعرفية من باحث مقتدر، يتبناها مركز الرافدين للحوار RCD سعياً منه إلى تأصيل فهمٍ أعمق وأشمل لطبيعة لهذا الفضاء التاريخي، والاثري، والجغرافي، والروحي لمدينة النجف الاشرف وتحوّلاتها عبر العصور، وإلى سدّ فراغٍ معرفي طالما ظلّ مهمشًا في الدراسات العراقية والعربية والاسلامية ولمتمثله هذه المدينة في ذات السياق من من قداسة واحترام عربياً واسلامياً وعالمياً.

المقدمة

للنجف الاشرف تاريخ طويل وغني، يمتدّ مع العلم والثقافة والحضارة، لتشتبك جذوره بإشارة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل (ع) إلى قدسية النجف بلد السبعين ألف شهيد كما وردَ في الروايات[1] وتلتقي في النهاية بالنبي نوح وجده النبي آدم(ع).

من هذا المنطلق حَقَّ للباحث والكاتب أنَ يقرأ تاريخ النجف على امتداده حاضره وماضيه وما بين ذلك، باهتمام زائد وعميق. وهذا أقلّ الوفاء يمكن أن يقدمه باحث إلى مدينة النجف الأشرف (مدينة الإمام عليّ ع)، ومن حسن حظ هذه المدينة أن حَظِيتْ باهتمام الباحثين من أبنائها وأبناء البلدان الأخرى، وإن لم تكن البحوث كافية ولائقة بمدينة حملت هذا التاريخ الثري، فمازالت النجفُ بحاجة إلى مزيد من البحوث والدراسات، وخاصة ذلك الجانب الضائع الذي حملته منطقة النجف قبل أن تتشرف بالإسلام الحنيف، كأسرار الخورنق، والسدير، والغريين، والأديرة، والقصور وغيرها من المعالم الكثيرة المنتشرة على امتداد المنطقة، والتي نأمل أن تنتزعها معاول التنقيبات الآثارية العلمية من ثنايا أرض النجف في المستقبل.

إنَّ قراءة تلك المواد القديمة تاريخيًا وجغرافيًا وتراثيًا من قبل متخصصين وخبراء سوف توفر أرضية صلبة لأعمال المنقبين وعلماء الآثار، وقد تدلهم على الخفي والضائع من تاريخ النجف القديم.

لقد أدرك قيمة ذلك التاريخ المبكِّر لمنطقة النجف عددٌ من الباحثين فكتبوا فيه، وغالبًا ما كانت كتاباتهم ضمنيّة، ضمن كتاب أو موسوعة، وقدّموا معلوماتٍ مهمةً كشفت الكثير من المعلومات والأسرار التاريخية، ولكن النجف الاشرف أكبر من ذلك المكتوب وأعمق، وبحاجة إلى المزيد من معلومات الزمن القديم وأعماق تاريخها الخفيّ.

لقد وَفَّرت كتابة الشيخ جعفر محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها)، وكتابة الدكتور مصطفى جواد في (موسوعة العتبات المقدسة) للأستاذ جعفر الخليلي، وكتابات (موسوعة النجف الأشرف) للحاج جعفر الدجيلي، وكتابة الدكتور حسن الحكيم في (المفصَّل في تاريخ النجف الأشرف)، وكتابات نجفية أخرى، وَفَّرت هذه الكتابات والبحوث جهدًا ممتازًا للباحثين عن تاريخ النجف الاشرف، وخاصّة القديم منه.

---

(1) البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، ج1، 206.

ولا شك أنَّ البحث في هذا الجزء المبكِّر من تاريخ النجف هو من أعقد بحوث تاريخ النجف وأقلّها قطوفًا وثمارًا ووضوحًا، لأن الباحث فيه يفتقد المصادر التراثية المباشرة التي لامسته، وكل عدّته فيه: المصادر التي ذكرت أخبار النجف ووقائعها وأحداثها بعد وقوعها بزمن طويل، ككتب البلاذري المتوفى نحو سنة (279هـ)، واليعقوبي المتوفى نحو سنة (284هـ)، والطبري المتوفى سنة (310هـ)، والمسعودي المتوفى سنة (346هـ) وآخرين غيرهم من اللاحقين الذين حملت بحوثهم وتواريخهم أخبار المنطقة ووقائعها بعد وقوعها وحدوثها بقرون عديدة.

وهذه المصادر لا تُوفِّر مادةً معلوماتية وثائقية دقيقة، ولو توافرت لدينا المادة التنقيبية والآثارية العلمية اللازمة وتعاضدت مع الأخبار التاريخية المكتوبة لأمكن الحصول على تاريخ مُبكِّر للنجف على كثير من الوثوق والقرب من الأصل.

ولكي يكون البحث موضوعيًا بعيدًا عن الذاتية، حاولتُ أن لا أكتب على وفق ما أحببتُ (نجفًا عريقًا مجيدًا لم يخلق الله تعالى مثله) وإنما على وفق ما وجدتُ في التاريخ والتراث الباقي من معلومات وأخبار، وهي جدُّ محدودة؛ واستندتُ في كل ما كتبتُ إلى أقدم المصادر المتوافرة لكي أسجّل للقارئ الكريم ما وجدتُ لا ما وددتُ، ثم إني لم أخضع للمسلمات المتوافرة التي لم تستند إلى مصادر معتبرة، مبتعدًا عن النزعة التمجيدية التي لم تقم على أسس، ما أمكن ذلك.

وقد توصلت ضمن ما توصلت إلى أن النجف قبل الإسلام، كانت مَعْلمًا طبيعيًا لم تقم فيه حضارة ولا عمارة سوى ما أصابها من المنطقة الغنيّة التي احتضنتها (منطقة النجف الكبرى)، مركّزًا على فك التداخل بين النجف المَعْلَم الطبيعي، والنجف المنطقة، والنجف المدينة أو القرية، والذي كثيرًا ما أدى (أي التداخل) إلى الخلط بين هذه الثلاثة والكثير من الالتباس وضياع المعلومة الدقيقة.

إن ما استطعتُ تقديمه إلى القارئ الكريم عن منطقة النجف المبكِّرة هو في حدود ما وفرته المصادر المتوافرة وهو قليل من كثير ضاع مِنّا. وهي معلومات وأخبار محدودة لم توفر المادة اللازمة والكافية لمعرفة منطقة النجف معرفة وثائقية ودقيقة وهو كل ما استطعنا حصاده في هذا البحث، أسأل الله تعالى أن يُقيِّض من يستطيع أن يكمل المشوار ويكشف المزيد عن تاريخ النجف المبكر.

والكتابُ الذي بين أيديكم-أعزائنا القراء- هو بحث متواضع عن تاريخ النجف المبكر، قبل الإسلام، حاولت فيه أن أقدّم صورة ممكنة لمنطقة النجف، أرجو أن تكون قريبة من النجف الأصل في عصر ما قبل الإسلام، وإن كانت الصورة الدقيقة المطابقة للواقع صعبة المنال.

وقد قسمتُ الكتاب إلى سبعة فصول تناسبت مساحاتُها مع موضوعاتها وهي كالتالي:

الفصل الأول: (مدخل تمهيدي) وتضمَّن الحديثَ عن مصادر البحث عن النجف قبل الإسلام. ثم هل وردت النجف في القرآن الكريم؟ ثم لماذا النجف قبل الإسلام؟

الفصل الثاني: (البحث عن النجف) وتضمَّن الحديثَ عن المدلول اللُغوي للنجف، وجذورها في الروايات والأخبار القديمة؛ ثم عن النجف المَعْلم الطبيعي، والنجف المنطقة، والنجف القرية والمدينة، مفككًا بين هذا الثلاثي.

الفصل الثالث: (خصائص منطقة النجف) وتضمَّن الحديث عن سبع خصائص أساسية هي: الهوية الطبيعية، والجمال والرومانسية، والموقع الحضاري والمحطة المرورية، والموقع التاريخي المقدس، والمنطقة الصحية ودار النقاهة، والموقع العسكري الإستراتيجي، وأخيرًا صلاح المنطقة للرصد الفلكي وغيره.

الفصل الرابع: (النجف منطقة دينية)، وتضمَّن الحديثَ عن نصرانية المنطقة المكونة أساسًا من الحيرة النصرانية ثم النجف ثم عاقولا (الكوفة).

الفصل الخامس: (أدْيرة منطقة النجف) وتضمَّن الحديثَ عن أشهر أديرة منطقة النجف حسب الترتيب الألفبائي.

الفصل السادس: (قصور منطقة النجف) وتضمَّن الحديثَ أولًا: عن أشهر قصور المنطقة، وثانيًا: عن الخورنق والسدير كنموذجين لقصور المنطقة.

الفصل السابع: (معالم شهيرة في منطقة النجف) وتضمَّن الحديثَ عن الغرّيين وبحر النجف وخندق سابور ومدينة بانقيا، ثم سائر المعالم والمواضع المعروفة.

وختمت الفصول (بكلمة آثارية أخيرة) عن بعض نتائج التنقيبات الآثارية الجارية في المنطقة، ثم ألحقتُ بالكتاب ملحقًا يتعلق بجيولوجية وأرض النجف بكامل البحث.

وأخيرًا فهذا ما استطعتُ إنجازه عن النجف قبل الإسلام، وأترك الحكم عليه للباحث والقارئ، وسأكونُ شاكرًا لمن يرشدني إلى مواطن نقصه، فالنقصُ من سماتِ العباد، والكمال للمعبود وحده، ومن الله تعالى التوفيق.

عبد الأمير المؤمن

الفصل الأول

مدخل تمهيدي

- **اولاً: مصادر البحث عن النجف قبل الإسلام**
- **ثانياً: هل وردت النجف في القرآن الكريم؟**
- **ثالثاً: لماذا النجف قبل الإسلام؟**

اولاً: مصادر البحث عن النجف قبل الإسلام

من حق الباحث أن يتهيب من قراءة تاريخ النجف قبل الإسلام، فالطريق إلى النجف قبل أن تصبح مدينة ذات هوية محدّدة صعب، تشحّ فيه المعالم الواضحة والدقيقة. وإذا ما ذَكر المؤرخون والباحثون بعض المعالم فهي محدودة شاحبة أحيانًا لا توصل إلى النجف كما هي في واقعها التاريخي القديم، وإنما إلى نجف قريبة من الواقع وقد تكون بعيدة عنه، هذا ما يمكن أن يستنتجه الباحث، من خلال المتوافر من مصادر دراسة النجف في التاريخ القديم القليلة.

وعلى هذا، ولكي تكون قراءتنا للنجف في التاريخ، تاريخ ما قبل الإسلام، قراءة علمية منهجية صحيحة أو قريبة من الصحيحة والدقيقة، إن عَزَّت الصحيحة والدقيقة، لا بد من الاستناد إلى ما يتوافر لدينا من آثار مادية (أطلال ورسوم ونقوش) - إن وُجِدت - أو وثائق تاريخية مكتوبة معتبرة سجلت هوية النجف القديمة وبعض ملامحها أو أية أشياء مقنعة توصلنا إلى تلك النجف التاريخية القديمة.

وفي هذه الحالة لا بد من الاقتناع بالنتائج وقبول الصورة التي تكوّنها الوسائل المتوافرة، ولا طريق آخر للوصول إلى النجف كما في واقعها القديم، في ذلك الزمن الذي لم يوفّر لنا

كتابة ميدانية مباشرة وملامسة للواقع تكشف لنا حقيقة النجف، وبغير هذا السبيل، وبغير الاستناد إلى ما توافر من آثار مادية ووثائق مكتوبة قديمة مهما كانت درجتها، سيرسم الباحث نجفًا خيالية أو مشوّهة، وحينها سيخرج النجف من وثائقيته المطلوبة، ويدخل ضمن القصص والتصورات والخيال العلمي أو الأدبي، وليس هو الهدف من البحث أبدًا، البحث عن النجف المعلم الطبيعي والتاريخ والحضارة والواقع.

ولكن حين تعزّ المعلومة الدقيقة والأثر المادي الدامِغ سيقع الباحث تحت رحمة المصادر والمدونات الممكنة الموجودة، تلك التي انطلقت من عصر التدوين في القرن الثاني الهجري وما بعده. وهي لا شك تبتعد كثيرًا أو قليلًا عن التاريخ الحقيقي لمنطقة النجف التي عرفت قبل الإسلام وقبل التدوين، وهي مصادر اضطرارية ليس بالضرورة أن تحكي واقع النجف في ذلك الزمن.

أ. مصادر الحيرة هي مصادر النجف

وإذا أردنا البحث عن مصادر دراسة النجف القديمة يوم كانت مَعْلمًا جغرافيًا طبيعيًا وموضعًا تابعًا لمملكة الحيرة، فيجب أن نبحث عن مصادر دراسة الحيرة، فتاريخ النجف قبل الإسلام هو تاريخ الحيرة النصرانية تمامًا، ولو لم تكن مملكة الحيرة القديمة لم يكن للنجف ذكر تاريخي[1]؛ أو كان ذكرًا شاحبًا لم يقدم لنا معرفة مهمة.

والنجف وإن عرفت أرضًا وجغرافية طبيعية متميزة قبل قيام مملكة الحيرة بكثير، وقامت الحيرة على أرضها[2] (أرض النجف)، فإن تاريخها القديم هو امتداد لتاريخ الحيرة، تأثرت بحضارتها وثقافتها وتاريخها النصراني والديني، على افتقارها (أي النجف) للكيان المستقل الواضح على الأرض.

ولذلك سيكون البحث عن مصادر قراءة النجف في التاريخ القديم هو البحث عن المصادر والمدونات التي تَحدثتْ عن مملكة الحيرة القديمة أيًا كان لون وطبيعة تلك المصادر والمدونات المتوافرة، عَربية أو أجنبية.

ولكن إذا توافرت المصادر والمدونات الأقرب إلينا (أي باللغة العربية) والصادرة من أبناء المنطقة، ستكون الأولى في اهتمامنا وأولوياتنا البحثية، وهذا ما قَيَّضه الله تعالى والتاريخ للمنطقة. فقد شاء القدر أن يهيئ رجلًا من أهل المنطقة من أهل الكوفة، رجلًا اهتم بمنطقة

(1) من المؤكد باستثناء ما أوردته الروايات الدينية عن قدسية النجف، كما سنذكر لاحقًا.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص328؛ اليعقوبي، البلدان، ص146.

الحيرة والنجف والكوفة وامتلك معلومات مهمة عن هذه المنطقة، عرفناها من خلال أسماء مؤلفاته التي حفظها التاريخ ولم يحفظ الواقع مضمونها أو حفظ قليلًا منها.

ذلكم هو الأخباري أو الراوي القديم أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي الكوفي المتوفى نحو سنة (204 أو 206هـ)، يبرز هذا الأخباري كأشهر مَنْ دَوَّن معلوماتٍ وأخبارًا عن الحيرة ومنطقتها في تراثنا العربي والإسلامي.

فالكلبي هو أشهر من كتب عن العصر الجاهلي، والحيرة في ذلك العصر (عصر ما قبل الإسلام)، يتبيّن ذلك من خلال مصنفاته وبقايا تراثه الباقي. يذكر ابن النديم المتوفى سنة (380هـ) في (أخبار هشام الكلبي): ((أنّه عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها، مثالبها ووقائعها أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة))[1]، ويقول ابن خلكان المتوفى سنة (681هـ): ((وتصانيفه (أي الكلبي) تزيد على مئة وخمسين تصنيفًا، وكان واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم))[2]، ومثل ذلك ذكر ياقوت الحموي المتوفى سنة (626هـ) في معجمه[3]. ونحن لا نعرف مدى دقة هذه التقييمات والمعلومات، لكنها على أي حال تقييمات تاريخية نافعة في موضوع شحّت فيه المصادر. والكلبي في المحصلة النهائية سند الأخباريين ومرجعهم الأول في تاريخ الحيرة[4]، التاريخ الذي وصلنا منه أقل مما ينبغي أن يصل من مملكة مهمة كالحيرة.

ولا شك أن الكلبي غنيمة تراثية كبيرة وفَّرها لنا التاريخ الإسلامي، لكن الزمان لم ينصفنا بها فغيّبها عنا وأخفاها بين ثناياه. ولم يُبق لنا منها سوى أسمائها، أسماء أربعة مؤلفات، لا نعرف ما في داخلها من معلومات وأسرار عن الحيرة ومنطقتها الحافلة بالأخبار.

لقد أبقى لنا الزمان عناوين (مجرد عناوين) أربعة مؤلفات عن الحيرة أو ما يدور حولها ضاعت أصولها وهي:

1. كتاب الحيرة.
2. كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباد.
3. كتاب المنذر ملك العرب.
4. كتاب عدي بن زيد[5].

(1) ابن النديم، الفهرست، ص108.
(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص83.
(3) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2779.
(4) جواد علي، المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص162.
(5) انظر: مؤلفاته في الفهرست لابن النديم: ص108ـ111.

ويمكن أن تدلّ هذه الأسماء على الحديث عن الحيرة ومراكزها الدينية وأهلها العباد، وعلى الحديث عن ملوكها أو ملكها المنذر وشاعرها عَدي بن زيد أو بعض شعره وأمور أخرى تتعلق بمعلومات وأخبار عن الحيرة ومنطقتها وامتداداتها وضواحيها، وغير ذلك، كما يَدل على ذلك عناوينها الباقية بين أيدينا.

لكن الذي يهوّن خطب الضياع هو وجود مرويات عن الكلبي في أغلب المؤلفات التاريخية القديمة كما عند ابن سعد المتوفى سنة (230هـ) والجاحظ المتوفى سنة (255هـ) والبلاذري المتوفى سنة (279هـ) والطبري المتوفى سنة (310هـ) والمسعودي المتوفى سنة (346هـ)، وآخرين غيرهم، حفظت لنا معلومات وأخبارًا مهمة عن منطقة الحيرة وتوابعها وضواحيها، وهي معلومات مفيدة دون أي شك استقاها الكلبي من الأديرة والكنائس والبيع المنتشرة في منطقة الحيرة والنجف، يقول الطبري عن الكلبي: ((إني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة، وفيها ملكهم وأمورهم كلها))[1].

إن مؤرخًا أو أخباريًا أو راويًا على المستوى الذي ذكره التاريخ كالكلبي الذي عاش في قلب منطقة الحيرة بمدينة الكوفة، واختزن في ذاكرته معلومات تاريخية عن المنطقة وأهلها وأوضاعها، أخذها من مكتبات وخزانات حيرية محلية خاصة تحتفظ بتراث المنطقة، سيكون هذا الأخباري (الكلبي) مصدرًا مهمًا من الدرجة الأولى بين مصادر البحث عن منطقة الحيرة والنجف وما جاورهما.

ولكن كيف الحصول على كامل هذا التراث الحيري المحلي، وقد ضاع أغلبه أو تشتت أو تشوّه بالنقل وتفرق هنا وهناك ولا نعْرف كل زواياه وخباياه؟!

وما علينا الآن إلا أن نبحث عنه في المصادر التراثية المتبقية في المكتبة العربية والإسلامية، فهناك الآن معلومات كلبية حيرية متفرقة في أمهات المصادر التاريخية والأدبية العامة، ككتاب الطبقات لابن سعد المتوفى سنة (230هـ)، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري المتوفى سنة (279هـ) وكتاب تاريخ اليعقوبي لليعقوبي المتوفى سنة (284هـ) وكتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري المتوفى سنة (310هـ)، وكتاب مروج الذهب للمسعودي المتوفى سنة (346هـ) وكتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني المتوفى سنة (360هـ) وغيرها من المصادر التراثية اللاحقة لا مجال لذكرها هنا.

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص628.

ب. مصادر عربية عن المنطقة

وإذا أضفنا إلى المعلومات والأخبار التي اختزنها الكلبي وسجلها في مؤلفاته، المعلومات والأخبار الأخرى التي أوردها الآخرون من الرواة والمؤرخين والجغرافيين وأهل الحديث وأهل الأدب والشعر مما يتعلق بمنطقة الحيرة وامتداداتها، فسنكون قد جمعنا ما توافر لدينا من مصادر عربية تراثية ممكنة عن منطقة الحيرة والنجف، وهي لا شك قليلة وناقصة لا تكفي لرسم صورة صحيحة متكاملة، هي صورة دون الطموح التاريخي المطلوب.

إنَّ مصادر التراث العربي والإسلامي ليست قليلة في ذاتها، ولكن المعلومات الصحيحة والدقيقة التي ذكرت منطقة الحيرة والنجف محدودة وناقصة في كثير من الأحيان؛ ويمكن أن يلتقطها الباحث من خلال مصادر التراث التالية:

*** كتب التاريخ العام والخاص**

كتاب الطبقات لابن سعد المتوفى سنة (230هـ)، وفتوح البلدان للبلاذري المتوفى سنة (279هـ)، وتاريخ اليعقوبي لليعقوبي المتوفى سنة (284هـ)، وتاريخ الطبري للطبري المتوفى سنة (310هـ)، ومروج الذهب للمسعودي المتوفى سنة (346هـ)، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني المتوفى سنة (360هـ). والكتب اللاحقة الأخرى كتجارب ابن مسكويه المتوفى سنة (421هـ)، والمناقب المزيدية لأبي البقاء المتوفى سنة (520هـ)، ومنتظم ابن الجوزي المتوفى سنة (597هـ)، وكامل ابن الأثير المتوفى سنة (906هـ)، وبداية ونهاية ابن كثير المتوفى سنة (774هـ)، وتاريخ ابن خلدون المتوفى سنة (808هـ) وهناك مصادر أخرى غيرها لا مجال لذكرها هنا.

*** كتب الحديث والروايات والأخبار**

كتاب الكافي للكليني المتوفى سنة (329هـ)، وكامل الزيارات لابن قولويه المتوفى سنة (368هـ)، وعلل الصدوق للصدوق المتوفى سنة (381هـ)، وتَهذيب الأحكام للطوسي المتوفى سنة (460هـ). وهناك كتب حديثية لاحقة كثيرة، ولعلَّ أهمها فيما يتعلق بموضوع النجف كتاب (فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين) لعبد الكريم ابن طاووس المتوفى سنة (693هـ)، وللكتاب طبعة محققة حديثة للشيخ محمد مهدي نجف سنة (1431هـ).

*** كتب الجغرافية والبلدان والرحلات والديارات**

كتاب البلدان لليعقوبي المتوفى سنة (284هـ)، وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني الذي كان حيًا سنة (290هـ)، وكتاب الديارات للشابشتي المتوفى سنة (388هـ)، وكتاب معجم ما

استعجم للبكري الأندلسي المتوفى سنة (487هـ)، ومعجم البلدان للحموي المتوفى سنة (626هـ)، والخزل والدأل للحموي أيضًا، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري المتوفى سنة (724هـ)، ومراصد الاطلاع (مختصر معجم البلدان) للبغدادي المتوفى سنة (739هـ)، ورحلة ابن جبير المتوفى سنة (614هـ)، ورحلة ابن بطوطة المتوفى سنة (779هـ)، وهناك كتب أخرى لا مجال لذكرها.

*** كتب اللغة والأدب**

ففي اللغة كتاب العين للخليل الفراهيدي المتوفى نحو سنة (175هـ)، وكتاب جمهرة اللغة لابن دريد المتوفى سنة (321هـ)، وكتاب الاشتقاق لابن دريد أيضًا، وكتاب تهذيب اللغة للأزهري المتوفى سنة (370هـ)، وكتاب الصحاح للجوهري المتوفى سنة (393هـ)، وكتاب معجم مقاييس اللغة لابن فارس المتوفى سنة (395هـ)، وكتاب المجمل في اللغة لابن فارس أيضًا، وكتاب المخصص لابن سيده المتوفى سنة (458هـ)، وكتاب أساس البلاغة للزمخشري المتوفى سنة (538هـ)، وكتاب لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة (711هـ)، وكتاب القاموس المحيط للفيروزآبادي المتوفى سنة (811هـ) (وفي هذا الكتاب مادة جغرافية وبلدانية جيدة) وهناك كتب لغوية أخرى.

أما كتب الأدب فكثيرة نذكر منها: كتاب البيان والتبيين للجاحظ المتوفى سنة (255هـ)، وكتاب الحيوان للجاحظ أيضًا، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة (328هـ)، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة (356هـ)، وهناك كتب أدبية أخرى كثيرة. إضافة إلى الشعر الذي قيل في بلاطات ملوك الحيرة والذي حمل معلومات عن الحيرة وملوكها ومنطقتها وأوضاعها المتنوعة، ولاسيما شعر الشاعر الحيري عَدي بن زيد العبادي[1] (590م) (له ديوان مطبوع) والشاعر الآخر النابغة الذبياني الشهير[2] (640م) (له ديوان مطبوع) أيضًا. وإضافة إلى ما ذكرنا من مصادر، هناك مصادر أخرى كثيرة حملت معلومات عن منطقة الحيرة والنجف، ككتب التفسير وكتب التراجم والموسوعات وغيرها مما لا مجال لذكرها.

ج. مصادر أجنبية عن المنطقة

لكن المصادر العربية والإسلامية الباقية التي وفَّرها عصر التدوين وما بعده ليست هي كل ما نملك من مصادر مكتوبة عن تاريخ منطقة الحيرة والنجف، فالمنطقة هي مسيحية ويهودية

(1) انظر: الأعلام للزركلي، ج4، ص220. وانظر: لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص439.
(2) انظر: الأعلام للزركلي، ج3، ص54ـ55. وانظر: شعراء النصرانية، ص641.

عمل المسيحيون واليهود على تسجيل تاريخها بلغاتهم وأساليبهم الخاصة بهم، وحفظوا ذلك في أديرتهم وكنائسهم وبيعهم وخزائنهم الخاصة بهم، وباللغات السريانية واليونانية واللاتينية وغيرها، وتفرقت في أماكن مختلفة.

ويذكر المؤرخون والباحثون أن اليهود والنصارى في مملكة الحيرة كانوا من المهتمين بتاريخ ملوكهم وتسجيل أعمالهم وأوضاع مدينتهم، وفي هذا الصدد أورد الطبري في تاريخه ما يؤكد ذلك يقول: ((وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومَنْ كان من ولاة ملوك الفرس وعمالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعالمًا مثبتًا عندهم في كنائسهم وأسفارهم))[1]، فالمتتبع لتاريخ الحيرة التي ضمت النصارى واليهود والوثنيين وغيرهم كما ذكرنا، سيعثر على مؤلفات ورسائل ومخطوطات نصرانية ويهودية، وأكثرها كتب بلغات أخرى غير عربية ومنها جملة مؤلفات لاتينية ويونانية وردت في ثناياها إشارات إلى عرب الحيرة، وقد عاصر بعض أصحاب هذه المؤلفات أولئك القوم، وأفادتنا إشاراتهم هذه فوائد كثيرة، وبها تمكنّا من تصحيح أكثر أغلاط الأخباريين، ومعظمها من عهد ما قبل الإسلام كما يقول د. جواد علي في مفصله[2].

ومن المؤلفين المسيحيين يُمكن أن نذكر بروكوبيوس البيزنطي المتوفى سنة (565م) مؤلف كتاب (تاريخ الحروب) الذي أشار فيه إلى الحروب التي وقعت بين المناذرة والغساسنة[3]؛ فذكرُ المناذرة لا بد وإن تستتبعه معلومات ضمنية عن أمور الحيرة وشؤونها ومنطقتها، وإن لم تكن مقصودة لذاتها. إن المصادر المسيحية واليهودية مصادر مهمة في تاريخ منطقة الحيرة، لأنها من قلب المنطقة، وإنَّ استخدامها في قراءة المنطقة سيساهم في تصحيح أو في دقة المعلومات الواردة الأخرى إلينا.

د. مصادر النقوش والآثار

وإذا توافرت المصادر المكتوبة - العربية والأجنبية - عن الحيرة والنجف والمنطقة، قوية أو ضعيفة، فالمصادر الأخرى الآثارية، النقوش والأطلال والرسوم واللقى، شحيحة إلى حد كبير، وتكاد تنعدم في الوقت الحاضر، لا في أصلها، فمن المحتمل أن تكتنز المنطقة بآثار جمة وقيّمة، تكشف معها الكثير من أسرار المنطقة، لكن ليس في اليد شيء مهم في الوقت الحاضر.

(1) الطبري، تاريخ الطبري،ج1، ص628.
(2) جواد علي، المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج3، ص165.
(3) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص20ـ21.

إن منطقة الحيرة ومملكتها الشهيرة مفعمة بالأحداث والوقائع كما عرفنا من التاريخ المكتوب، ومن المعقول أن يقارن التاريخ المكتوب مادة آثارية، وبالفعل لم تنضب الاكتشافات الآثارية تمامًا، فقد وفرت التنقيبات نصًا حجريًا مهمًا محدودًا في مضمونه عرف بـ(نقش النمارة) وتقول المستشرقة الروسية بيغوليفسكيا عن هذا النقش: ((ويحتل مركز الصدارة بين مصادر تاريخ العرب في القرن الرابع أقدم رقيم قبوري عربي، ذلك هو الشاهد الذي تم العثور عليه بقرية النمارة))[1]. عثر على هذا النقش في لوحة على قبر امرؤ القيس بن عمرو بن عدي (288-328م) بقرية النمارة الواقعة إلى الجنوب الغربي من دمشق وإلى الشمال الغربي من بصرى في منتصف المسافة بين المدينتين بالتقريب، ويوجد الآن بمتحف اللوفر بباريس.

ويتألف النقش من خمسة أسطر بالكتابة النبطية منحوتة على لوحة من البازلت مقاسها 116×33 سنتمترًا، وقد جرى نشره وترجمته والتعليق عليه أكثر من مرة وهذه ترجمته بالعربية:

1. هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي عقد التاج.
2. واخضع أسدًا ونزارًا وملوكهم وأجبر مذحجًا على الهرب إلى اليوم وجه.
3. إلى نواحي نجران مدينة شمّر وأخضع معدًا وقسَّمَ بنيه.
4. القبائل وأوكلهن للفرس وللروم فلم يبلغ ملك مكانته.
5. إلى اليوم مات 223 يوم 7 من كسلول السعد للذي ولده[2].

لقد درس الباحثون هذا النقش التاريخي وتوصلوا من خلال عدة قرائن إلى أن امرؤ القيس المذكور في النص هو ملك الحيرة دون أن يقطعوا بذلك[3]. ويذكر د. جواد علي: ((وما رواه الكلبي يتفق بوجه عام مع ما جاء في نص النمارة))[4]. إن النصوص الآثارية لو توافرت لوفَّرت مصادر تاريخية قطعية إلى حد كبير تفوق أدق المؤلفات والأوراق المكتوبة، وفيها الكثير من حقائق المنطقة المدروسة.

---

(1) نينا فكتورڤنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، ص40.

(2) العرب على حدود بيزنطة وإيران، ص40.

(3) تقول المستشرقة الروسية بيغوليفسكيا: ((وهناك أساس للافتراض بأنه ينتمي إلى أسرة اعتلت عرش الحيرة)). بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، ص42.
ويقول د. جواد علي: ((ويظن بعض الباحثين أن امرؤ القيس، هو امرؤ القيس الذي ورد اسمه مدونًا في نص (النمارة). فإذا كان هذا الظن صحيحًا، كان امرؤ القيس أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره إلينا مدونًا)). جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص189.

(4) المصدر نفسه، ص 193.

أما الآثار التي أفرزتها التنقيبات الآثارية في منطقة الحيرة والنجف فهي قليلة شحيحة لقلة الاهتمام بالمنطقة ككل، وأقدم هذه التنقيبات ما قامت به بعثة جامعة اكسفور سنة (1931)، وحصيلتها كانت أحد مصادر دراسة المنطقة، فمن خلال الحفريات التي قام بها المنقبون سنة (1931) في أطلال الحيرة عرفنا أنَّ المعماريين القدماء استخدموا اللبن والآجر، حيث تتوافر مادة الصلصال في سهل بابل في بناء كنائس منطقة الحيرة وأديرتها، واستعملوا كسوة جصيّة في تطيين أو كسوة جدرانها نقشت فيها زخارف نباتية تتجلى فيها التقاليد البيزنطية والساسانية[1]. ويقول د. جواد علي إن الحفارين توصلوا إلى العثور على نقوش من الجبس مما تكسى به الجدر للزينة وعلى جرار متعددة وآثار من هذا القبيل صغيرة، بعضها من العهد الجاهلي وبعضها من العهد الإسلامي[2].

وتلا ذلك بعثة ألمانية قامت في سنة (1932) بتحديد منطقة آثارية في الحيرة، ثم قاد الباحث الآثاري طه باقر في سنة (1938) بعثة آثارية نقبت في المنطقة كشفت عن سور من (اللبن) عرضه 110 أمتار تحيط به أبراج مدورة ومربعة، ورجحت البعثة أنه حصن لبناية كبيرة، وساد الظن آنذاك أن الحصن يعود إلى أحد القصرين السدير أو الخورنق[3].

وفي سنة (2009) وبعد انقطاع عن التنقيب ذكرت وسائل الإعلام اكتشاف مهم لموقع آثاري يبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن مركز مدينة النجف القديمة وإلى الجنوب الغربي من مدرج مطار النجف، فقد كشفت دائرة الآثار في محافظة النجف عن أسس لدير كنسي يعود تاريخه إلى سنة (268م) يتكون من ست وأربعين غرفة مزخرفة الجدران نقشت عليها رسوم وأوراق العنب والصلبان.

ويقول الآثاري الأستاذ شاكر عبد الزهرة: ((إذا ما طابقنا المعطيات الممكتشفة حديثًا وبعض الروايات التاريخية فإن الدير يعود إلى هند بن النعمان بن المنذر ملك الحيرة الشهير))[4]. وفي وقت لاحق عثر المنقبون على حجر يذكر أن هذا الدّيْر لعبد المسيح[5].

ومن خلال التنقيبات أيضًا اكتشفت دائرة آثار النجف في سنة (2009) أيضًا مدينة أثرية يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام في الصحراء المحاذية لمنطقة البحر، ويقول الأستاذ

(1) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص438.
(2) جواد علي، المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3،ص160.
(3) جريدة الشرق الأوسط، 1 أيلول 2001، العدد 8251، لندن.
(4) موقع عنكاوا الإلكتروني.
(5) شبكة أخبار النجف (موقع).

محمد الميالي مدير آثار النجف: ((إن المدينة يعود تاريخها إلى الفترة الفرثية والساسانية قبل الإسلام)). ويضيف أنه ((من خلال المسح والتنقيب بالوسائل الحديثة التي قامت بها دائرتنا في عموم المحافظة عثرنا على مدينة أثرية في منطقة بحر النجف))[1]. وهناك أخبار ومعلومات أخرى قدمتها الآثار المتكشفة سنذكرها لاحقًا.

إن أرض النجف والحيرة وكل المنطقة مازالت بكرًا، لم يكتشف منها إلّا القليل القليل، منتظرة البعثات العلمية والخبراء الآثاريين لاستغلال هذا المصدر الثري جدًا والدقيق جدًا من المعلومات ليخبرنا عما في المنطقة من أخبار ومكنونات خفيّة لم يذكرها التاريخ الوثائقي المكتوب أو ذكرها بشكل شاحب أو مهلهل.

ثانياً: هل وردت النجف في القرآن الكريم؟

الإجابة عن هذا السؤال لا تحتاج إلى مزيد من العناء والجهد، فكلمة أو لفظة (النجف) لم ترد في القرآن الكريم أصلًا... وهذا القرآن المجيد بين أيدينا، ولا حاجة إلى نقاش ومزيد من الجهد.

وإذا لم ترد كلمة النجف، فهل تضمَّن القرآن الكريم معنًى يدل على النجف من خلال بعض آياته الشريفة؟ هذا ما اختلف فيه المفسرون والباحثون، فهناك من قال بورود النجف بالمعنى وبما يدل عليها لا باللفظ، وذلك من خلال كلمة (ربوة) الواردة في الآية القرآنية الشريفة: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[2] مفسرًا الربوة الواردة في الآية بالنجف. وهناك من لم يقل بذلك.

والربوة كما وردت في مصادر اللغة العربية: ((المكان المرتفع))[3]. والنجف هي المكان المرتفع أيضًا، فالكلمتان متساويتان أو متقاربتان في المعنى كما تقول مصادر اللغة العربية ولكن ليس بالضرورة أن تكون الربوة الواردة بالآية الشريفة المذكورة هي النجف لمجرد اشتراك الكلمتين (الربوة والنجف) في معنى الارتفاع، وتكون ذلك إذا توافرت قرائن تدل على ذلك.

ومصادر التفسير المتوافرة بين أيدينا وكذلك مصادر التاريخ الإسلامي والجغرافية والبلدان وغيرها من مصادر التراث تورد معاني أو تحديدات مختلفة للربوة الواردة في الآية الشريفة المذكورة.

فالمفسّر الزمخشري يفسر الربوة بعدة احتمالات: إيليا أرض بيت المقدس، ودمشق

(1) الشرق الأوسط، 7 أبريل 2009، العدد 11088، لندن.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 50.

(3) الفيومي، المصباح المنير، ص217.

وغوطتها وفلسطين والرملة ومصر[1]. والمفسر الفخر الرازي هو كذلك يفسر الربوة بعدة وجوه: إيلياء بيت المقدس، الرملة، بمصر، دمشق أو غوطة دمشق[2] وفي مصادر التاريخ الإسلامي يذكر الطبري: أن الربوة الواردة في الآية الشريفة هي[3] أرض مصر. ويذكر ابن كثير مصر في تاريخه أيضًا[4]. ومثله ابن خلدون يذكر مصر أيضًا[5]. أما في مصادر الجغرافية والكتب البلدانية، فيذكر البكري الأندلسي في مادة (ربوة) الآية الشريفة (آية الربوة المذكورة) ويقول: دمشق أو مصر أو رملة فلسطين[6]. ويذكر ياقوت الحموي في معجم بلدانه في مادة (ربوة) المذكورة بالآية الشريفة، يقول: دمشق[7].

ومثله البغدادي في مراصده، فهو يقول: دمشق[8] مردداً قول ياقوت الحموي. لكن المفسر القمي (علي بن إبراهيم) في تفسيره، يحدد الربوة بالحيرة، فيقول: ((الربوة الحيرة، وذات قرار ومعين الكوفة))[9].

أما المفسر الطبرسي فيتوسع في تفسيره، فيذكر للربوة الواردة في الآية الشريفة عدة أقوال منها: حيرة الكوفة وسوادها. يقول: ((والربوة التي أويا إليها هي الرملة من فلسطين عن أبي هريرة، وقيل دمشق عن سعيد بن المسيب، وقيل مصر عن ابن زيد، وقيل بيت المقدس عن قتادة وكعب، قال كعب: وهي أقرب الأرض إلى السماء، وقيل هي حيرة الكوفة وسوادها، والقرار مسجد الكوفة، والمعين الفرات))[10].

وتؤيد بعض كتب الحديث التفسيرات التي تذكر النجف والكوفة بين معاني الربوة، فيذكر الشيخ الطوسي المتوفى سنة (460هـ) في تهذيبه: ((فعن سليمان بن نهيك عن أبي عبد الله (ع) (أي الإمام الصادق) في قوله عز وجل: ﴿...وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. قال الربوة: نجف الكوفة والمعين الفرات))[11].

(1) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص192.
(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير،ج23، ص103.
(3) الطبري، تاريخ الطبري،ج1، ص597.
(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص78.
(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص172.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص236.
(7) الحموي، معجم البلدان،ج3، ص26.
(8) البغدادي، مراصد الاطلاع،ج2، ص603.
(9) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج2، ص92.
(10) الطبرسي، مجمع البيان،ج7، ص172.
(11) الطوسي، تهذيب الأحكام،ج6، ص36.

ومثل هذا التأييد يذكر ابن العديم فيقول: ((عن محمد بن مسلم، قال: سألتُ الصادق(ع) عن قول الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ قال: الربوة النجف، والقرار المسجد، والمعين الفرات))[1]، وفي نص آخر: ((الربوة الكوفة والمعين الفرات))[2].

ويؤيد تفسير الربوة الواردة في القرآن بالنجف عدد من العلماء والباحثين منهم فخر الدين الطريحي[3]، ومن المعاصرين الشيخ جعفر محبوبة[4] والشيخ محمد حسين حرز الدين[5] والشيخ هادي الأميني[6] وآخرون غيرهم لا مجال لذكرهم الآن.

ويتناول المفسر المعاصر السيد محمد حسين الطباطبائي التفسيرات والروايات التي وردت في حق آية الربوة الشريفة كأقوال القمي والطبرسي وابن عساكر وغيرهم ليقول في النهاية: ((والروايات جميعًا لا تخلو من الضعف))[7]، وسواء كانت التفسيرات والروايات قوية أو ضعيفة، فإطلاق الربوة ينسجم وطبيعة النجف التليّة المرتفعة، ومعنى الربوة يساوي معنى النجف لغويًا، ولذلك كانت تسمية النجف بالربوة وخاصة عند المعاصرين المذكورين في محلها.

ثالثاً: لماذا النجف قبل الإسلام؟

النجف أو موضع النجف قبل عصر الإسلام وقبل استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليّ(ع)، وقبل ظهور الحضارة الإسلامية على مسرح الحياة، لم يكن مدينة أصلًا، ولم يكن نقطة حضارية مستقلة أصلًا أيضًا. هذا ما يمكن أن يفهمه الباحث من خلال التاريخ والتراث الواصل إلينا.

وكل الذي أفصح عنه التاريخ الواصل إلينا والتراث المتوافر بين أيدينا أن موضع (النجف) كان معروفًا على صعيد المنطقة التي هو (أي موضع النجف) فيها، منطقة الحيرة أو منطقة النجف، معروفًا نقطة جغرافية طبيعية أو معلمًا جغرافيًا طبيعيًا متميزًا عن غيره من النقاط الجغرافية الطبيعية، بالعلو والارتفاع والإطلال والإشراف على ما حوله، فهو معروف بأوصافه الطبيعية الخاصة به، وهذا ما سجلته مصادر اللغة العربية - بشكل خاص - حيث سجلت

(1) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص370.
(2) المصدر نفسه: ج1، ص371.
(3) الشيخ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج1، ص174.
(4) الشيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج1، ص8.
(5) الشيخ محمد حسين حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، ج1، ص36.
(6) الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، ج1، ص317.
(7) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،ج15، ص36.

الجانب الطبيعي: العلو والتل أو شبه التل والمسناة والجدار كما سنأتي على ذلك لاحقًا[1]. ثم هو معروف بجواره القريب من مملكة الحيرة الشهيرة التي سجلت حضورًا تاريخيًا وسياسيًا وحضاريًا ودينيًا قويًا في المنطقة. كما هو معروف بقدسيته الدينية القديمة كما سنذكر لاحقًا[2].

وإذا كان لموضع النجف (شهرة حضارية)، إضافة إلى شهرته كمعلم طبيعي، فقد جاءت من شهرة مملكة الحيرة اللصيقة أو المجاورة، وإلا فشهرة المعلم الطبيعي أو المنطقة التي ضمته كانت في الحقيقة سابقة زمنيًا على الحيرة. حيث قامت هي عليه أو على منطقته، ففي الحديث عن تاريخ الحيرة تفصح الأخبار والروايات التاريخية أن الحيرة قامت على النجف، فقد ورد: ((فبنى (أي بختنصر) لهم حيرًا على النجف))[3] أو (أي الحيرة): ((على موضع يقال له النجف))[4].

لقد كان (النجف) قبل الإسلام محاطًا بمقومات الحضارة وإمكانات التطور المتنوعة، ومن عدة جوانب. فالنجف أو جزء منه - في الأساس - هو امتداد طويل يصل إلى الحيرة: ((على ساحل بحر الملح وكان قديمًا يبلغ الحيرة)) كما يقول اليعقوبي[5]. ولا نعرف ما في هذا الساحل الطيني الخصب الواقع على (بحر النجف) قديمًا من خفايا وأشياء غيّبها الزمان في الوقت الحاضر.

والنجف الموضع على بساطته وطبيعيته وفطرته كان مرتعًا موسميًا خصبًا لصيد الصيادين الباحثين عن الغزلان والحيوانات البرية النافعة الأخرى والطيور المتنوعة التي عرفتها منطقة النجف[6]، هذا فضلاً عن البقاع والمواضع الأخرى المحيطة بالنجف والتي تعج بخيرات الطبيعة المختلفة.

ومن جانب آخر تلتصق النجف (المعلم الطبيعي) بحضارة الحيرة الشهيرة التي اعتبرت النجف تابعة لها أو ضاحية من ضواحيها، متأثرةً (أي النجف) بحضارتها وثقافتها وأفكارها الأخرى. فقد كانت منطقة النجف (معلم النجف وما يحيط بها) ساحة كبيرة لقصور الحيرة ومنازلها، منها القصور الشهيرة قصر الخورنق والسدير وغيرهما ومنازل الكبراء والشعراء، وموقعًا ممتازًا لأديرة نصارى الحيرة وكنائسها وبيعها وأماكن عباداتها الأخرى، كما سنرى لاحقًا.

(1) انظر: الفصل الثاني (1. النجف المدلول اللغوي).
(2) انظر: الفصل الثاني (2. النجف في الروايات والأخبار القديمة).
(3) الطبري، تاريخ الطبري،ج1، ص558. ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص77.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص328. القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج4، ص336.
(5) اليعقوبي، البلدان، ص146.
(6) انظر: ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص212.

ومن المحتمل أن يكون معلم النجف المشرف والمطل على بحر النجف والمنطقة موضعًا مفضَّلًا لأماكن العبادة، ولاسيما أطراف النجف المعروفة بمصطلح الطارات (جمع طار) المرتفعة أساسًا، وخاصة إذا عرفنا أن النصارى يختارون الأماكن المرتفعة وقلل الجبال مواقع مناسبة لعباداتهم[1]. نحن لا نعرف إلا القليل عن تاريخ النجف قبل الإسلام، فالتاريخ يُقطّر المعلومات والأخبار علينا تقطيرًا ضعيفًا، ومن هذا التاريخ القليل والمعلومات والأخبار المقطرة المحدودة كانت النجف قبل الإسلام (في العصر الجاهلي) أصلًا جغرافيًا وطبيعيًا و(حضاريًا) للنجف الإسلامية المعاصرة والحاضرة، وإن اختلفت الإسلامية عن الجاهلية اختلافًا كبيرًا وافترقت افتراقًا نوعيًا، هذه هي نقطة الانطلاق لقراءة النجف قبل الإسلام أو النجف في العصر الجاهلي، فهي اسم معروف في الجغرافية الطبيعية ضمن تضاريس المنطقة المتميزة.

وفي التاريخ والحضارة هي ضمن حضارة مملكة الحيرة أو منطقة الحيرة أو منطقة النجف، ولم تكن هي ذاتها (أي النجف) نقطة أو بقعة حضارية أقامت البناء والعمارة والثقافة، كما نفهم من التاريخ الحضاري القديم، إن اسمًا أو مَعْلَمًا أو منطقة جغرافية بهذه الشهرة، أيًا كان مصدر هذه الشهرة: طبيعية أو جغرافية أو تاريخية أو حضارية، لا يمكن إغفالها أو غض النظر عنها ومرور الباحث عليها مرورًا عابرًا.

وخاصة بقعة كالنجف استمر حضورها ونشاطها على امتداد الزمن والتاريخ، حيث هي حاضرة في قلب مسيرة المنطقة وأحداثها دون توقف وانقطاع، فمنطقة النجف هي نقطة انطلاق الجيوش الإسلامية لفتح الحيرة (وهو أول فتح إسلامي خارج الجزيرة العربية) وفي ضوء منطقة النجف جاء نشوء مدينة الكوفة الإسلامية ليتبعها نشوء مدينة النجف الإسلامية التي احتضنت جسد الإمام أمير المؤمنين عليّ (ع)، لتصبح في النهاية مدينة العلم الأشهر في المنطقة.

إن النجف هذا الجذر التاريخي الشهير قبل الإسلام، غير المنقطع عن الحاضر المعاصر والمتصل بمدينة النجف المعاصرة (مدينة النجف الأشرف)، يستدعي من الباحث والمنقب أن يرجع إلى الأصل، إلى قراءة الجذر الأول الذي ورثته النجف المعاصرة، والفروع لا يمكن أن تنقطع عن الأصول، وإن اختلفت في النوع والدرجة. فالنجف لم تكن موضعًا أو منطقة سادت ثم بادت، ليمكن الخيار بين قراءتها وإهمالها، أو انفصالها عن الحاضر، وإنما هي منطقة تاريخية شامخة غرست جذورها بقلب الأرض لتنمو وتتطور وتتصل بالعصر الحاضر الحي نجفًا أشرف ملأ الدنيا وشغل الناس.

(1) يقول ياقوت الحموي متحدثًا عن الأديرة النصرانية: ((إنما تكون في الصحارى ورؤوس الجبال))، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص495.

الفصل الثاني

البحث عن النجف

- **اولاً: النجف المدلول اللغوي**
- **ثانياً: النجف في الروايات والأخبار القديمة**
- **ثالثاً: النجف الطبيعة والتاريخ والحضارة**
- **أ. النجف المَعْلَم الطبيعي التاريخي**
- **ب. النجف المنطقة (منطقة الظهر والظاهر)**
- **ج. من تسميات منطقة النجف**
- **د. النجف القرية أو المدينة**

اولاً: النجف المدلول اللُغوي

كلمة النَجَف في أساسها مادة لغوية عربية عرفتها القواميس والمعاجم وكتب اللغة كما عرفت المواد اللغوية الأخرى، وتعني هذه الكلمة (النَجَف) في اللغة العربية، ضمن ما تعني، نوعًا من التضاريس الأرضية الطبيعية، كالتلال والمرتفعات والمناطق العالية، وهذا النوع من التضاريس هو المكون الأساسي لأرض النجف، ولذا أطلق على أرض النجف مصطلح (النجف) أو ما يقاربه أو يرادفه من الكلمات والألفاظ العربية.

إذن منطقة النجف هي معنى عربي أخذ هويته ومواصفاته من مادة لغوية عربية وردت في مصادر اللغة العربية، ولم تأت من خارج لغتنا العربية. ويعزز عروبة الكلمة أو التسمية وجود الكلمة ومشتقاتها المتعددة والمتنوعة في مصادر اللغة العربية والاستخدام العربي للكلمة في أدبيات العرب، ومن تلك الاشتقاقات اللغوية: النجف والنجفة والنجاف والمنجوف،

مما يدل على تداول هذه المادة اللغوية بين العرب والمتكلمين بالعربية ووجودها في اللغة العربية مع امتداد هذه اللغة في الزمان والمكان.

أمّا متى أطلق العرب هذه التسمية على المنطقة، فلا شك أنها كانت مع العرب الذين عرفوا المنطقة أو الذين (سكنوها) وسموها باسم طبيعتها وتضاريسها الجغرافية وبقي الاسم إلى الآن، لأنه يناسب الطبيعة والجغرافية.

وعلى هذا الأساس سميت المنطقة الطبيعية الجغرافية التي سنتحدث عنها بالنجف محلاة بالألف واللام، ويمكننا الآن أن نقرأ مصادر اللغة الأقدم فالأقدم.

يتحدث الخليل الفراهيدي المتوفى نحو سنة (175ه) عن (النجفة) بقوله:((تكون في بطن الوادي، شِبه جدار ليس بعريض، له طريق منقاد من بين مستقيم ومعوج لا يعلوها الماء، وقد تكون في بطن الوادي. ويقال: النجاف أرض مستديرة مشرفة على ما حولها، الواحدة نجفة))[1]، ويقول ابن دريد الأزدي المتوفى سنة (321ه): ((والنجف علو من الأرض وغِلظ نحو نجف الكوفة))[2]، ويقول الأزهري المتوفى سنة (370ه): ((قال الليث: النجفة تكون في بطن الوادي شِبه جدار ليس بعريض، له طول منقاد بين مُعْوَجّ ومستقيم لا يعلوها الماء، وقد تكون في بطن الأرض. وقد يقال لإبط الكثيب نَجَفة، وهو الموضع الذي تصفِّقه الرياح فتنجفه فيصير كأنه جرف منجوف))[3]، ويقول أيضًا: ((والنجفة هي التي بظاهر الكوفة، وهي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها))[4]، ويقول الجوهري المتوفى سنة (393ه): ((النجف والنَجَفة بالتحريك: مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد والجمع نجافِ))[5].

ويقول أحمد بن فارس المتوفى سنة (395ه) في مجمله: ((النجف: مكان مستطيل لا يعلوه الماء منقاد، والجمع نجاف. ويقال: هي بطون من الأرض في أسافلها سهولة، تنقاد في الأرض، لها أودية تنصبُّ إلى لين من الأرض، ويقال لإبط الكثيف نَجَفة))[6]، ويقول ابن سيده الأندلسي المتوفى سنة (458ه): ((النجفة والجمع نجف ونجاف (أبو حنيفة) النجف:

(1) الخليل، العين،ج6، ص143ـ144.
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة،ج1، ص558.
(3) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج11، ص78.
(4) المصدر نفسه، ج11، ص79.
(5) للجواهري، الصحاح، ج4، ص1429.
(6) أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، مجمل اللغة، ص688.

شيء يكون في بطن الوادي شبيه بنجف الغبيط وليس بجد عريض))[1]، ويقول أيضًا: ((يقال لإبط الكثيب نجفة الكثيب وهو الموضع الذي تصفقه الرياح فيصير كأنه جرف منجوف وقبر منجوف))[2]، ويقول الزمخشري المتوفى سنة (538ه): ((وفي بطن الوادي نَجَفة ونجف وهي مكان مستطيل كالجدار لا يعلوه الماء))[3]، ويقول المطرزي المتوفى سنة (616ه): ((النجف بفتحتين كالمسناة بظاهر الكوفة على فرسخين عنها يمنع ماء السيل أن يعلو منازلها ومقابرها، ومنه قول القدوري كان الأسود إذا حج قصر من النجف وعلقمة من القادسية))[4]، ويقول ابن منظور المتوفى سنة (711ه): ((والنجفة: شبه التل... النجفة تكون في بطن الوادي شبه جدار ليس بعريض. ويقال لإبط الكثيب نجفة الكثيب. ابن الإعرابي: النجفة المُسناة، والنجف التل. قال الأزهري: والنجفة التي بظهر الكوفة، وهي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها))[5].

ويقول الفيروزآبادي المتوفى سنة (817ه): ((النجف، محركة وبهاء: مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد، ويكون في بطن الوادي، وقد يكون ببطن من الأرض جمع نجاف، أو هي: أرض مستديرة مشرفة على ما حولها. والنجف محركة: التل وقشور الصِلِّيان، وبهاء موضع بين البصرة والبحرين، والمُسَنّاة، ومسناة بظاهر الكوفة تمنع ماء السيل أن يعلو مقابرها ومنازلها، ونجفة الكثيب: الموضع تُصَقِّفه الرياح، فتنجفه فيصير كأنه جرف منجرف))[6]. وهناك نصوص مشابهة للمذكورة لا مجال لذكرها.

ومن خلال ما ورد في هذه النصوص - وقد وردت في أشهر مصادر التراث اللغوي وأقدمها - نجد أن معنى أو مدلول النجف يدور حول معنى العلو والارتفاع كما ذكرنا: يدور حول الجدار الذي لا يعلوه الماء والأرض المشرفة على ما حولها والعلو والغلظ من الأرض، والمكان الذي لا يعلوه الماء كالمسناة تمنع ماء السيل من الصعود إلى الأعلى، أو التل أو المرتفع وما شابه ذلك من المعاني، إضافة إلى معانٍ مكملة لهذا المعنى ومن جنس الطبيعية؛ وكلها تدل على حالة أرضية طبيعية محددة.

وعلى هذا فالنصوص أو المعاني الواردة في اللغة التي تتحدث عن النجف متشابهة كثيرًا

(1) ابن سيده، المخصص، ج4، ص597.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص675.
(3) الزمخشري، أساس البلاغة، ص448.
(4) المطرزي، كتاب المغرب في ترتيب المعرب، ج2، ص202.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص323.
(6) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص854.

ومختلفة قليلًا، وتعني في مجملها أن كلمة النجف أو النجفَة هي مرتفع أو علو أو تل طبيعي، وأن المادة اللغوية لهذه الكلمة هي عربية تمامًا لم تترجم أو تعرب من لغة أخرى. ومن هذه المادة اللغوية أو الأصل الطبيعي أخذ (النجف) أو موضع النجف اسمه الجغرافي وهويته العربية الطبيعية العامة، فالنجف هي موضع طبيعي قديم جدًا، تحول لاحقًا إلى موقع أو موضع جغرافي محدد له هوية جغرافية بين المواضع المتعددة.

ثانياً: النجف في الروايات والأخبار القديمة

إذا قرأنا الروايات والأخبار القديمة وجدنا معلومات تشير إلى أن الجذور الأولى للنجف امتدت إلى أعماق التاريخ الحضاري، ولكن النجف كموضع أو كنقطة جغرافية طبيعية مشخصة متميزة عما سواها من المواضع والنقاط الجغرافية الطبيعية المجاورة لها كانت منذ كان العراق ومنذ كانت الأرض، كانت النجف جزءًا محددًا منه، من يوم كان العراق في خريطة العالم القديمة، وجزءًا من الكرة الأرضية.

هذا هو الأصل الأول أو الجذور الأولى لموضع النجف. وهو كأي موضع طبيعي متميز آخر من العراق له خصائصه الطبيعية المحدّدة ولكن ليس المراد هنا ذلك الأصل الجغرافي الطبيعي العادي، وإنما المراد هو الجذور الأولى لذلك الموضع أو تلك النقطة الجغرافية، يوم عرفت نقطة جغرافية متميزة عن غيرها، ويوم أشير إليها من بين النقاط الجغرافية الطبيعة الأخرى.

فما هي جذور هذا الموضع القديم؟ متى عُرف هذا الموضع الذي أطلق عليه العرب اسم (النجف) أو أسماءً أخرى مقاربة؟ والحقيقة أننا لا نعرف ماذا أطلق الآخرون من غير العرب ممن اكتشفه أو سكنه في بداية أمره - إذا كان هناك من اكتشفه أو سكنه - وما التسمية التي أُطلقت عليه؟ لكن يمكن القول إن الذي عرف الموضع وميزه عما سواه أعطاه اسمًا معينًا ميزّه به عن غيره من المواضع، ولا بد أن يكون الاسم من لغة ذلك الذي اكتشفه أو عرفه أو عاش فيه، لكن ليس لدينا اسم قديم آخر غير الاسم العربي (النجف) أو ما قاربه من الأسماء، لأن تلك البداية غارقة في أعماق التاريخ، وعلى هذا فإن اسم أو مصطلح (النجف) للدلالة على ذلك الموضع المتميز عما سواه هو الاسم الأقدم والأشهر له.

لقد قدمت لنا الروايات والأخبار النجف من عمق التاريخ، من زمن النبي نوح والنبي إبراهيم والنبي هود والنبي صالح(ع)، والملك البابلي بخت نصر والأزمان اللاحقة لكن المشكلة أن أقدم الوثائق التاريخية الموجودة التي تتحدث عن جذور النجف وتاريخها القديم

قبل الإسلام وما قبله بكثير، المتوافرة بين أيدينا، لا تتجاوز القرون الأولى للإسلام، القرن الأول والثاني والثالث والرابع وما بعدها، في حين أن أحداثها وأخبارها هي من زمن قرون ما قبل الإسلام بكثير، وهو فرق زمني بعيد بين الحوادث الواقعة وأخبارها المنقولة، ومثل هذه الأخبار والروايات والتواريخ بحاجة إلى دراسة دقيقة سندية ومتنية والاستعانة بالقرائن اللازمة على وفق الأصول الصحيحة.

ومن تلك الأخبار ما ورد عن احتواء النجف أو المنطقة على جسد النبي آدم والنبي نوح(ع)، فقد ورد عن الإمام الصادق(ع): ((فإذا زرت قبر أمير المؤمنين(ع) فاعلم إنك زائر عظام آدم وبدن نوح...))[1]. وفي بيان ذلك يقول الإمام أبو عبد الله(ع): ((إن الله عزّ وجل أوحى إلى نوح وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعًا، فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه، فاستخرج تابوتًا فيه عظام آدم(ع)، فحمله في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها، ففيها قال الله تعالى للأرض: {ابْلَعِي مَاءَكِ} فبلعت ماءها من مسجد الكوفة، كما بدأ الماء منه، وتفرق الجمع الذين كانوا مع نوح في السفينة فأخذ نوح(ع) التابوت فدفنه في الغري وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليمًا، وقدس عليه عيسى تقديسًا، واتخذ عليه إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا عليه حبيبًا، وجعله للنبيين مسكنًا والله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين علي(ع). وإذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم وبدن نوح...))[2].

ومن الأخبار والروايات التي أشارت إلى ذكر النجف في عمق التاريخ ما ورد عن الصدوق في علله وهو يرجع النجف إلى عهد النبي نوح (ع) أيضًا، يقول: ((عن أبي عبد الله(ع)، قال: إن النجف كان جبلًا وهو الذي قال ابن نوح {سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه، فأوحى الله عزّ وجل إليه يا جبل أيعتصم بك مني فتقطع قطعًا قطعًا إلى بلاد الشام، وصار رملًا دقيقًا، وصار بعد ذلك بحرًا عظيمًا، وكان يسمى ذلك البحر بحر (ني) ثم (جف) بعد ذلك يسمونه نجف لأنه كان أخف على ألسنتهم))[3].

ومن الأخبار التي تشير إلى جذور النجف في عمق التاريخ ما ورد عن احتواء النجف قبري النبي هود والنبي صالح (ع)، فقد ورد أن الإمام علي (ع) قال لابنه الحسن(ع): ((فإذا مت

(1) عبد الكريم بن طاووس، فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين، ص196.
(2) المصدر نفسه، ص196ـ197.
(3) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ص31 (باب 26).

فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخويّ هود وصالح))[1]. والظهر يعني منطقة النجف، ومن تلك الأخبار التي أشارت إلى تاريخ النجف القديم ما ورد في الأخبار من الإشارة إلى إرجاع جذور أرض النجف إلى عهد النبي إبراهيم الخليل(ع). فقد ذكر التاريخ ((أن إبراهيم ولوطًا (ع) مرّا بها (أي بانقيا)، يريدان بيت المقدس مهاجرين، فنزلا بها، وكانت تزلزل في كل ليلة، وكانت ضخمة جدًا، فراسخ[2]، فلما باتا بها لم تزلزل، فمشى بعضهم إلى بعض، تعجبًا من عافيتهم في ليلتهم، فقال صاحب منزل إبراهيم: ما دفع عنكم إلا بشيخ بات عندي، كان يصلي ليله ويبكي؛ فاجتمعوا إليه، فسألوه المقام عندهم، على أن يجمعوا له من أموالهم، فيكون أكثرهم مالًا، فقال: لم أؤمر بذلك، وإنما أمرت بالهجرة. فخرج حتى أتى النجف فلما رآه رجع إدراجه، فتباشروا برجوعه وظنوا أنّه رغب فيما عندهم، فقال: لمن تلك الأرض؟ يعني النجف. قالوا: لنا. قال: فتبيعونها؟ قالوا: هي لك، فوالله ما تنبت شيئًا. فقال: لا أحب إلا أن تكون شراء؛ فدفع إليهم غنيمات كنّ معه، والغنم بالنبطية يقال لها نقيا. وذكر إبراهيم (ع) أنّه يحشر من ولده في ذلك الظهر سبعون ألف شهيد))[3].

ومن الأخبار التي أشارت إلى تاريخ النجف القديم ما ورد في التاريخ من الإشارة إلى إرجاع النجف إلى عهد الملك البابلي بختنصر (أي نبوخذ نصر). حينما غزا العرب، وبنى لمن ظفر بهم بناءً على النجف. يقول الطبري:((كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم فيها، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلًا - فيما ذكر لنا والله أعلم - أن الله عزّ وجل أوحى إلى برخيا بن احنيا بن شلتيل من ولد يهوذا - قال هشام: قال الشرقي: وشلتيل أول من اتخذ الطفشيل - أن ائت بختنصَّر وأْمُره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، ويطأ بلادهم بالجنود، فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم، وأعلمه كفرهم بي، واتخاذهم الآلهة دوني، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي.

قال: فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل - وهو (نبوخذ نصر) فعربته العرب - وأخبره بما أوحى الله إليه وقص عليه ما أمره به؛ وذلك في زمن معد بن عدنان. قال: فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها. فجمع مَن ظفر به منهم،

(1) ابن طاووس، فرحة الغري، ص127.

(2) في كتاب المنتظم لابن الجوزي: طولها اثنا عشر فرسخًا، ج4، ص220. ومثله معجم البلدان للحموي، ج1، ص331.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص206. ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص220. ومعجم البلدان، ج1، ص331.

فبنى لهم حيرًا (أي شبه الحظيرة) على النجف وحصَّنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرسًا وحفظة...))[1]، وهناك روايات وأخبار مشابهة أو متقاربة أخرى.

هذه روايات وأخبار قديمة تتحدث عن جذور النجف الأولى وردت في مصادرنا الدينية والتاريخية القديمة، ولا يمكن للباحث أن يتجاوزها أو يغفلها مهما كانت صحتها ودقتها لأنها مادة تراثية قديمة. ويمكن دراستها دراسة دقيقة سندية ومتنية ومقارنة، ما أمكن ذلك، باستخدام الأدوات البحثية المناسبة التي يستخدمها أهل الاختصاص، لفرز الغث من السمين واستخلاص ما يمكن استخلاصه.

ثالثاً: النجف الطبيعة والتاريخ والحضارة

من الضروري ونحن في بداية البحث في (النجف) أن نفرق بين المعاني والمصاديق المنضوية تحت كلمة النجف الواردة في المصادر التراثية الإسلامية، لكي نكون على بيّنة ووضوح من الموضوع ولا تلتبس علينا المعاني ولا تتداخل المصاديق.

لقد وردت كلمة النجف في مصادر التراث العربي والإسلامي لتدل على أكثر من دلالة وأكثر من معنًى ومصداق، وكثيرًا ما التبس المعنى المقصود وتداخلت المصاديق، واختلطت الطبيعة بالجغرافية بالتاريخ بالحضارة حتى لم يعد القارئ - في كثير من الأحيان - يميّز بين النجف كجغرافية طبيعية والنجف كمنطقة تاريخية حضارية والنجف كمدينة أو قرية، لقد ورد اسم (النجف) في مصادر التاريخ العربي والإسلامي ضمن ما ورد للدلالة على المنطقة الطبيعية الجغرافية المرتفعة المغايرة لما جاورها من مناطق، أي المعنى اللغوي للنجف وجمعها (نجاف)، استنادًا إلى طبيعة الموضع الجغرافي العالي والمرتفع.

وفي الوقت نفسه ورد اسم النجف ليدل على المنطقة الواسعة التي فيها هذا الموضع الجغرافي الطبيعي المرتفع، أو المواضع الطبيعة المرتفعة المتقاربة النجاف. ورد اسمًا للمنطقة ككل من خلال ابرز مصاديق المنطقة (النجف أو النجاف) فمن خلال هذا الموضع المرتفع الذي عرف باللغة (النجف) أطلق اسم النجف على كل المنطقة (منطقة النجف)، ومثل ما أوردت المصادر التراثية القديمة اسم النجف للدلالة على المنطقة أوردت كلمة أو مصطلح (الظهر) ظهر الحيرة وظهر الكوفة أو ظاهر الحيرة وظاهر الكوفة للدلالة على منطقة النجف الواسعة، وعلى هذا يمكن أن ينضوي تحت كلمة النجف:

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص558. وابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج1، ص407.

1. المعلم الجغرافي الطبيعي الشهير، وهي ذلك الموضع المرتفع المتميز عما سواه من المواضع القريبة منه، وهو عين المعنى اللغوي للنجف، وهو أصل النجف الذي استعارته المصاديق الأخرى في أرض النجف كالمنطقة والمدينة والقرية.

2. المنطقة التاريخية الحضارية الواسعة التي ضمَّت النجف (المعلم الجغرافي الطبيعي وعددًا كبيرًا من المواضع والمعالم الجغرافية والبشرية المتنوعة).

3. مدينة النجف التي ضمت مرقد الإمام أمير المؤمنين علي(ع)، وهي التي تعرف باسم (النجف الأشرف) وهي المرحلة الأخيرة من التسمية.

إن الباحث الذي يريد أن يقرأ النجف في تاريخها القديم قراءة علمية منهجية واعية لا بد له من التفكيك بين المصاديق المختلفة المنضوية تحت عنوان النجف. إن هذا التفكيك المنهجي سيفصح عن معاني ومصاديق النجف المختلفة كما هي على الأرض ضمن المساحة الجغرافية لأرض النجف الكبيرة، وهذا المنهج سيجنبنا الالتباس والتداخل الذي كثيرًا ما أوقع الباحث والقارئ، أو بعضهم على الأقل، في حيرة لا يدري ماذا يقرأ النجف الطبيعية أو النجف المنطقة أو النجف المدينة.

أ. النجف المَعْلَم الطبيعي التاريخي

النجف قبل أن تكون منطقة تاريخية حضارية واسعة، وقبل أن تكون مدينة مقدسة مشرَّفة تضم جسد الإمام أمير المؤمنين عليًا(ع)، كانت أرضًا طبيعية ذات خصائص جغرافية محدّدة قياسًا بالأراضي المجاورة لها، والنجف في الحقيقة والواقع هي أرض جغرافية مرتفعة تلية هضبية التصميم، أو هي تل ممتد أو تلال متعددة أخذت شكل هضبة متميزة عما سواها من المناطق المجاورة.

وقد وَصفت مصادر اللغة العربية القديمة هذا المعلم الجغرافي الطبيعي بأدق الأوصاف والتحديد المطابق لواقعها الطبيعي المرتفع، فالنجف كما وصفها اللغوي ابن دريد المتوفى سنة (321هـ): ((علو من الأرض وغِلظ نحو نجف الكوفة))[1] وكما وصفها الأزهري المتوفى سنة (370هـ) بقوله: ((النجفة المسناة والنجف التل))[2] وقال أيضًا: ((والظهر من الأرض ما غلظ وارتفع))[3] ووصفها الجوهري المتوفى سنة (393هـ): ((مكان لا يعلوه الماء مستطيل

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص558.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، ج11، ص79. ولسان العرب، ج9، ص323.
(3) تهذيب اللغة، ج6، ص134. ولسان العرب، ج4، ص524.

منقاد))[1]، وهذه أوصاف لأرض تليه مرتفعة عالية كما في جغرافية النجف على أرض الواقع[2]. ويصف الشاعر هذا العلو والارتفاع بالأشم يقول:

فـالـديـر فـالـنـجـف الأشـم جـبـال أربـاب الـصـليـب[3]

وهناك أيضًا روايات وأخبار دينية ذكرت ارتفاع أرض النجف عن مستوى سطح الأرض وجبليتها قياسًا بما جاورها. ومن ذلك عندما أراد النبي إبراهيم شراء النجف، أشار إليها بقوله: (لمن هذا الجبل؟)[4]. وقد أشرنا إلى ذلك في فصل سابق[5].

وأرض النجف - التي هي جزء من العراق - تقع في الطرف الغربي من المنطقة الوسطى فوق الهضبة الغربية، وتتميز بطبوغرافية بسيطة وغير معقدة، فالسطح فيها هو أرض مستوية تقريبًا توجد فيه بعض التعاريج بسبب عوامل التعرية، وتحت عنوان (هضبة النجف) يتحدث الدكتور موسى العطية (وهو خبير جيولوجي) عن هضبة النجف فيقول:((هضبة النجف التي تعرف باسم الربوة (ربوة النجف) تشكل جزءًا من هضبة مميزة مثلثة الشكل يطلق عليها هضبة النجف-كربلاء وتشكل رؤوس هذا المثلث مدينة النجف الأشرف من الطرف الجنوبي الشرقي ومدينة كربلاء والأجزاء الجنوبية من بحيرة الرزازة في الطرف الشمالي وبحر النجف من الطرف الغربي...

تبلغ مساحة هضبة النجف-كربلاء حوالي ثلاثة آلاف كيلومتر مربع، وإن أكثر من نصف مساحة هضبة النجف-كربلاء (حوالي 1750 كيلو متر مربع) يقع ضمن الحدود الإدارية لمحافظة النجف والباقي ضمن حدود محافظة كربلاء. ويبلغ أقصى ارتفاع لهضبة النجف 176 مترًا فوق مستوى سطح البحر، والمستوى العام لارتفاع الهضبة باتجاه حافاتها الغربية يتراوح بين 100 إلى 120 مترًا.

هضبة النجف مسطحة الاستواء، ولكنها محززة بفعل عوامل التجوية الرسمية وتشرف من جهتها الجنوبية الغربية على بحر النجف، وهذه الشرفة تمثل جرفًا صخريًا حادًا تسمى محليًا بطار النجف، أما الامتدادات الشمالية لهذه الشرفة وباتجاه كربلاء تسمى بطار السيد، وتتكشف في هذه الشرفات (الطارات) بعض الطبقات الصخرية المكونة لهضبة النجف))[6]،

(1) الجوهري، الصحاح، ج4، ص1429.
(2) انظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني (1. النجف المدلول اللغوي).
(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص354.
(4) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج4، ص220.
(5) انظر الفصل الثاني (2. النجف في الروايات والأخبار القديمة).
(6) موسى العطية، أرض النجف، التاريخ والتراث الجيولوجي، ص61ـ62.

ويحدد ماسنيون موضع النجف ويصفه بالتل ويقول: ((كان اسم النجف (أو نِجف بكسر النون = تل أو صلبيان) يطلق قديمًا على الجزء الغربي (المطل على البحيرة المالحة) من ذلك اللسان الذي تقع الكوفة في النقطة الشمالية الشرقية منه (في جهة الفرات))[1].

ويمكن رسم حدود هذا المَعْلم الجغرافي الطبيعي، أي النجف الطبيعية على الشكل التالي: من الغرب والجنوب الغربي يحدّ معلم النجف تلك الحافة الحادة المطلّة على (بحر النجف) الممتدة من أرض النجف إلى أرض الحيرة الجنوبية (جنوب معلم النجف).

ومن الشرق تنحدر أرض النجف نحو نهر الفرات في الكوفة تدريجيًا، لتكون البرية أو الصحراء حدًا فاصلًا بين (موضع النجف) ومنطقة الكوفة، ويحدد الرحالة ابن جبير المتوفى سنة (614هـ) هذا الحد الفاصل بقوله: ((وأصبحنا بالنجف وهو بظهر من الكوفة كأنه حد بينها وبين الصحراء))[2].

أما من الجنوب فكذلك تنحدر أرض النجف تدريجيًا نحو الحيرة لتتصل بالحيرة مباشرة، وخاصة الحافات الغربية الحادّة المطلة على بحيرة النجف. يقول اليعقوبي المتوفى سنة (282هـ): ((والحيرة على النجف، والنجف كان على ساحل بحر الملح، وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة))[3].

أما الجانب الشمالي من معلم النجف فهو امتداد هضبة النجف الكبرى باتجاه النخيلة وكربلاء، وهناك تحديد دقيق إلى حد ما للنجف بالنسبة إلى الكوفة هو ما ذكره المطرزي يقول: ((النجف بفتحتين كالمسناة بظاهر الكوفة على فرسخين[4] منها يمنع ماء السيل أن يعلو منازلها ومقابرها، ومنه قول القدوري كان الأسود إذا حج قصَّرَ من النجف وعلقمة من القادسية))[5].

أما بالنسبة إلى الأصل الجيولوجي للنجف فإن القائمة التي وضعها كوردن هستد لأرض العراق تتحدث عن الهضبة الغربية ومنها مدينة النجف، وتقول بأنها تعود في الغالب إلى عصر (الميوسين)، والشائع في صخورها حجر الرمل وحجر الطفل أحيانًا، وهما يعودان إلى عهد (فارس الأعلى)، كما توجد في الإقليم (النجف) صخور طباشيرية أي أحجار كلسية تعود

(1) لويس ماسنيون، خطط الكوفة، ص63.
(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص176.
(3) اليعقوبي، البلدان، ص146.
(4) الفرسخ نحو 3 كيلومترات.
(5) المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، ج2، ص202.

إلى العصر (الترجري)، وسطح النجف بشكل عام مغطّى بحصى ورمل ومعظم تربته منقولة[1]، هذا هو أصل ذلك المعلم الجغرافي الطبيعي (النجف) قبل أن يتطور إلى منطقة حضارية أو مدينة مقدسة.

ومن هذا الأصل الجغرافي الطبيعي أخذت النجف - الحضارة والتاريخ والنجف المدينة أو القرية - اسمها أو أسماءها. وعند هذا الأصل وفي هذه المرحلة المبكرة من تاريخ النجف، لم تدخل (النجف) في الخارطة البشرية والحضارية، وإنما كانت موضعًا أو مَعْلمًا طبيعيًا أو مكانًا جغرافيًا للارتياد أحيانًا (في الربيع) حين يكتسي المكان بالزرع والضرع.

والنجف في هذه المرحلة الطبيعية القديمة لم تكن منطقة أو مكانًا حضاريًا عمرانيًا، لأن أسباب الحضارة والعمران لم تكن موجودة. فالقليل من المطر في فصل الربيع، وظهور الزرع والضرع القليل في هذا الفصل، لم يوفرا أرضية مناسبة لظهور الحضارة والعمران.

ولم يمكن الحديث عن الحضارة والعمران في معلم النجف إلا عندما قامت حضارة مجاورة في المنطقة، فقيام مملكة الحيرة وظهور الحياة الحضارية وانتشارها وامتدادها في المنطقة، أدى إلى وصول شيء من هذه الحضارة والعمران، وذلك من خلال امتداد بنائها وعمرانها وإنشاء القصور والمنازل والأديرة والبيع والأماكن الدينية المختلفة، وبعض تلك الأبنية كانت قريبة من النجف بل وأحاطت بها على ما يبدو من أخبار التاريخ. ومع كل ما حدث في المنطقة من حضارة وعمران لم يتحول مَعْلم النجف إلى موقعٍ حضاري عمراني بحسب ما تشير مصادر التاريخ والحضارة.

هل كان موضع النجف مسكونًا؟

وإذا كان موضع النجف أو معلم النجف موقعًا جغرافيًا طبيعيًا مقفرًا عاطشًا لم يحظ بالماء والزرع والضرع والخصُوبة إلا في أوقات قليلة من السنة ومواسم محددة كالربيع، فهل يمكن أن يكون موقعًا أو محلًا مناسبًا للسكن والعمران والاستقرار وبناء الحضارة؟ هذا سؤال يمكن أن يثور في ذهن الباحث والقارئ، وخاصة حين يدور الحديث عن بقعة جغرافية شهيرة كموضع النجف الذي تحول فيما بعد إلى مدينة شريفة أو عاصمة إسلامية مقدسة مهمة.

والجواب المتوافر على مستوى البحوث المعاصرة، وجدنا من يقول وبشكل صريح وواضح أن النجف كانت مسكونة ومأهولة، وحظيت بالحضارة والعمران قبل الإسلام وقبل نشوء مدينة النجف المقدسة.

(1) الدجيلي، الجغرافية الطبيعية لمدينة النجف، والأستاذ ناجي وداعة، موسوعة النجف الأشرف، ج1، ص107.

ويمكن أن نذكر من القائلين بذلك: الشيخ جعفر محبوبة يقول: ((في أيام التنوخيين واللخميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة ملكهم قد أخذت بنصيب وافر من الحضارة والعمران، كانت النجف مأهولة ومعمورة وكانت الحضارة قائمة بها على أسس عربية لقربها من الحيرة ومجاورتها لها، فالنجف عربية قبل كل شيء وأهلها في ذلك العهد عند شيوع النصرانية نصارى نسطورية وهم من العرب الأقحاح))[1].

ويمكن أن نذكر أيضًا الشيخ أحمد الوائلي، فحين تحدث عن مدينة النجف قال: ((ولعلَّ البعض تلفت نظره عبارة قبل الإسلام في حين أن الصورة الذهنية عن النجف أنها ولدت بولادة عهد الشيخ الطوسي إلا وجود ضئيل لا يسمى بمجتمع، والحقيقة أن هذا التصور ليس بصحيح فإن المتتبع لتاريخ المنطقة يتأكد من وجودها في عهود تسبق الإسلام بزمن طويل، فهي عندما مرّ بها أبو الأنبياء إبراهيم(ع) كانت مدينة وكانت مسكونة بكثافة، وكانت يزلزل بها فنزل إبراهيم(ع) ضيفًا على أهلها فلم يزلزل بهم))[2]، وهناك آخرون يقولون بذلك أو ما يقرب من ذلك.

هذه أقوال تدل سياقاتها على أن قائليها يقولون بأن النجف المدينة أو الموضع أو المعلم، لا (النجف المنطقة)، تدل على أنها مكان مأهول ومسكون ويتمتع بالحضارة والعمران والمواصفات المدنية الأخرى الممكنة في عصر ما قبل الإسلام.

فإذا كان القائلون يقصدون بأن النجف كان (مدينة) مسكونة مأهولة ذات حضارة وعمران وثقافة قبل العصر الإسلامي، فذلك ما لم تقله المصادر التاريخية المتوافرة بين أيدينا، فالتاريخ والروايات والأخبار المتنوعة تقول بأن النجف المدينة نشأت بعد دفن الجسد الشريف للإمام علي بن أبي طالب(ع)، بل وبعد فترة ليست قصيرة، وقد كان سبب دفن الإمام في موضع النجف لأنه كان موقعًا معزولًا لم يكن فيه أحد خوفًا من وصول الأعداء إليه والعبث بالمرقد الشريف، وهناك من الأخبار ما يؤيد ذلك. من ذلك ما ورد في قول بعضهم في سنة نيف وستين ومئتين: ((فلما جئنا إلى القبر قبر الإمام علي(ع)) وكان يومئذ قبر حوله حجارة سند، ولا بناء عنده وليس في طريقه غير قائم الغري))[3].

أما القول بأن ذلك (المعلم) الطبيعي الجغرافي أو (الموضع) الجغرافي المعروف بالنجف كان مسكونًا ومأهولًا وفيه حضارة وعمران قبل أن يكون مدينة، فكيف يمكن ذلك أن يكون، وهو موضع مرتفع، تلًا أو هضبة لا يصلها الماء لارتفاعها، وتبعًا لذلك لا يمكن أن يكون موضعًا

(1) الشيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج1، ص16.
(2) الشيخ أحمد الوائلي، النجف اسهامات في الحضارة الإنسانية، ج1، ص246.
(3) ابن طاووس، فرحة الغري، ص308، وانظر أيضًا ص284.

زراعيًا يوفر الجو المناسب للحياة والسكن الطبيعي، وإذا كان فيه القليل من الزرع والنبات الناتج من الأمطار الموسمية في فصل الربيع فلا يعني ذلك توافر أسباب الحياة الكافية القائمة على الإنتاج الزراعي وحيوانات الرعي والصيد والماء اللازم للحياة، فمعلم النجف قبل الإسلام وحين لم يتوافر الدافع المحفز القوي كاستقرار جسد الإمام(ع) لم يكن محلًا للحياة والسكن وإن أحاطت به الحضارة.

أما إذا كان المقصود من أقوال القائلين النجف (المنطقة)، فذلك ممكن وصحيح، فكل الأخبار والروايات والدلائل تقول بعمران منطقة النجف وحضارتها وانتشار السكن فيها هنا وهناك من أرجاء المنطقة كالأديرة والبيع وأماكن العبادة المتنوعة، والقصور والمنازل والمعالم الأخرى، وسنأتي على تفصيل ذلك لاحقًا.

وفي اعتقادي أن هذا الالتباس جاء من تمدد كلمة النجف وتعدد مصاديقها والتداخل بين المصاديق المتعددة والمختلفة، فكثيرًا ما يخلط الباحث بين النجف الموضع أو المعلم والنجف المدينة أو القرية والنجف المنطقة التي تضم الجميع تحت جناحها. وقد جاء تفريقنا وفصلنا بين هذه المصاديق لرفع هذا الالتباس.

أمّا ما ورد من الأخبار الدينية والتاريخية من اهتمام النبيّ إبراهيم الخليل(ع) بالنجف، فلم يكن اهتمامه بالنجف كمدينة أو قرية أو منطقة سكنية حضارية وإنما كان ذلك لقدسية موقع النجف التي قرأها في الأخبار والكتب. فحين مَرَّ بقرية بانقيا وخرج منها إلى موقع اسمه النجف اشتراها أيضًا جرداء لا نبت فيها ولا رعي، فالنص يقول: ((ما تنبت شيئًا))[1]. بل ويقول بعضهم كانت جبلًا ليس فيه خير ولا رعي ولا منفعة. وليس هناك أيّ دليل على شرائه أرضًا أو قرية مسكونة مأهولة. ولنعد قراءة قصة إبراهيم مع الأرض أو الجبل الذي اشتراه.

يورد ابن الجوزي: ((إن إبراهيم خليل الله خرج من كوثى مهاجرًا إلى الله عز وجل على حمار ومعه ابن أخيه لوط يسوق غنمًا ويحمل دلوًا على عنقه حتى نزل بانقيا، وكان بها قرية طولها اثنا عشر فرسخًا، وكانوا يزلزلون كل ليلة فلما بات بها إبراهيم لم يزلزلوا تلك الليلة، فمشى بعضهم إلى بعض، فقالوا: بتم بمثل هذه الليلة قط؟ فقالوا: لا، فقال صاحب منزل إبراهيم(ع): إن كان دفع عنكم بشيء فبشيخ بات عندي البارحة لم يزل يصلي حتى أصبح، فأتوه فقالوا: إنما خرجت لطلب المعيشة، فأقم فينا ونقاسمك شطر أموالنا فتكون أكثر الناس مالًا، قال: ليس لذلك خرجتُ، إنما خرجت مهاجرًا إلى الله... ثم خرج نحو الشام فمرَّ بالنجف

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص206. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص331.

فرأى علامات وكان يقرأها في الكتب، فقال: لمن هذا الجبل؟ فقالوا: لأهل القرية التي بت فيها - يعنون بانقيا - فأتاهم إبراهيم فظنوا أنه أتاهم للذي عرضوا عليه، فقال: بيعوني أرضكم هذه - يعني ظهر الكوفة - فقالوا: هي لك، ما ملكنا أرضًا هي أقل خيرًا منها، ما تنبت رعيًا، ولا لنا فيها منفعة، فاشتراها منهم بغنمه))[1].

ب. النجف المنطقة (منطقة الظهر والظاهر)

وإذا لم يكن (مَعْلَم) أو (موضع) النجف معمورًا ومأهولًا أو ذا حضارة وعمران في العصر الجاهلي لافتقاره إلى أسباب العمارة والسكن والاستقرار المناسبة كما ذكرنا آنفًا، فقد كان هذا (المَعْلَم) أو (الموضع) وما جاوره من معالم ومواضع ومناطق مهمة، كالبحر (بحر النجف) والأنهار ومملكة الحيرة، منطقة ذات إمكانية وأهلية للنمو والتطور الحضاري.

فقد كانت هذه المنطقة الممتدة أرضًا ذات إمكانات وخصائص ومزايا اجتذبت الناس لتصبح منطقة إستراتيجية حضارية مهمة كما يذكر التاريخ، ونقطة الانطلاق في هذا التكون الحضاري وصيرورة المنطقة إستراتيجية حضارية مهمة هي قيام مملكة الحيرة الشهيرة في التاريخ في هذه المنطقة من الكرة الأرضية كما يستنتج الباحث ذلك من مصادر التراث الواصل إلينا.

فكان وجود مملكة الحيرة وما جاورها من مناطق كالبحر والبر والسواد[2] والأنهار ونهر الفرات في الكوفة خاصة، كان هذا المجموع المهم من المعالم والمواضع والمناطق الحيوية وحدة جغرافية تاريخية حضارية كاملة متكاملة إلى حد كبير، أطلق عليها الباحثون مصطلح (منطقة النجف) أو تسميات مناسبة أخرى.

وقديمًا أطلق المؤرخون والجغرافيون والبلدانيون والرواة تسميات من قبيل الظهر أو ظهر الحيرة أو ظهر الكوفة، أو ظاهر الحيرة أو ظاهر الكوفة، أو اللسان أو لسان البر أو خَدّ العذراء أو نجف الحيرة أو نجف الكوفة، أطلقوا هذه التسميات على المنطقة أو على جزء منها، وعلى العموم هي تسميات منتزعة من أظهر ما في المنطقة من معالم.

وأطلق الباحثون المعاصرون أو بعضهم على هذه المنطقة: (النجف) أو (منطقة النجف) أو إضافة كبرى إلى المنطقة (منطقة النجف الكبرى) عند دراستهم (للنجف المنطقة) التي تقع ضمنها (مدينة النجف) عند نشوء المدينة بعد الإسلام.

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج4، ص219ـ220.

(2) ((سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار)) للحموي، معجم البلدان، ج3، ص272.

فقد ذكر الشيخ جعفر محبوبة تسمية النجف للدلالة على (منطقة النجف) وفي أكثر من مكان في كتابه الرائد (ماضي النجف وحاضرها)، ومن ذلك قوله: ((ظهر الكوفة الذي هو النجف يدعى خد العذراء))[1]، وذكر الدكتور مصطفى جواد مصطلح (منطقة النجف) للدلالة على المنطقة بقوله ((الحيرة المدينة المشهورة في تاريخ العرب وجغرافية بلادهم أنشئت في منطقة النجف))[2].

ويوسع الدكتور حسن الحكيم هذا الإطلاق العام ليصطلح على المنطقة المذكورة بمصطلح (منطقة النجف الكبرى)[3]، ويقول: ((وسوف يتركز البحث هذا ضمن الحدود الجغرافية لمدينة النجف المعاصرة وامتداداتها الطبيعية الزاحفة نحو مدينة الحيرة والكوفة وأجزاء من البادية، وهذا ما يعرف بالمصطلح الجغرافي بالنجف الكبرى))[4]. وهي تسمية مناسبة لعموم المنطقة لكن المشكلة، ما هي حدود هذه المنطقة المفترضة أو الظهر هل لها حدود حقيقية واضحة؟

ودون أي شك ليس هناك حدود لا واضحة ولا غير واضحة لمنطقة مفترضة، لا قديمًا ولا حديثًا. وكل ما يمكن قوله هو افتراض أيضًا، فيفترض الشيخ علي الشرقي للظهر حدودًا يقول: ((الظهر كان يمتد من الحيرة إلى بارق الواقعة في البادية بين النجف وكربلاء))[5].

ويفترض الأستاذ كامل الجبوري الظهر بقوله: ((ولما كان مستوى أرض القادسية وما جاورها منخفضًا فإن المنطقة التي تحتوي على الحيرة والخورنق وطيزناباذ والنجف مرتفعة فتشملها تسمية ظهر، ولكن لتلك المناطق أسماؤها التي عرفت بها فلم تُسَمَّ بالظهر))[6]. ولا بد أن يفترض باحثون آخرون افتراضات مشابهة أو أخرى، لعدم توافر الوضوح بالأصل.

ونحن نعتقد أن التحديد الدقيق للمنطقة (منطقة النجف) عملية صعبة وعسيرة بل وغير ممكنة عمليًا لمنطقة جغرافية واسعة ومشتتة في مواضعها ومعالمها، وعلى أي حال فهذه التسميات الثلاثة المعاصرة (النجف ومنطقة النجف ومنطقة النجف الكبرى) ومقابلاتها من التسميات القديمة كالظهر والظاهر واللسان وخدُّ العذراء، هي تسميات تناسب (المنطقة) موضوع البحث.

(1) الشيخ جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج1، ص4 و7 أيضًا.
(2) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ج6 ق1 ص26 (بحث د. مصطفى جواد).
(3) حسن الحكيم، المُفصَّل في تاريخ النجف الاشرف، ج1، ص18.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص18.
(5) علي الشرقي، الأحلام، ص51.
(6) كامل الجبوري، مجلة الذخائر، منطقة القادسية، ج8، ص217.

وفي المحصلة النهائية: إن تسميات القدماء من المؤرخين والجغرافيين والبلدانيين القدماء المذكورة آنفًا تدل على (المنطقة) مثلما تدل تسميات الباحثين المعاصرين على (المنطقة). وهي في النتيجة: وحدة جغرافية كبيرة وممتدة، كما تشير مصادر التراث العربي الإسلامي.

وهي كما نفهم من النصوص التراثية القديمة الواردة إلينا من التاريخ: منطقة إستراتيجية ومهمة، ومنطقة حضارية كبيرة ومتنوعة المعالم والمواضع والتضاريس والأنهار والترع والنباتات والحيوانات، يدخل ضمنها بحر النجف الشهير وبرّها الكبير المتصل بمدينة الحيرة وضواحيها وامتداداتها وقصورها ومنازلها وقلاعها ومنتزهاتها وأديرتها وكنائسها وبيعها وأماكنها الدينية الأخرى من جانب، والمتصل بعاقولا الكوفة وبجزءٍ من نهر الفرات الكبير وسوادها الأعظم خلال ذلك المكان من جانب آخر.

ولم تبخل علينا النصوص التراثية القديمة في توضيح أو تفصيل مصاديق أو مضامين هذه التسمية أو التسميات وذكر معالمها ومواضعها أو بعضها، وهي منطقة تتجاوز المعلم الواحد الصغير كـ(معلم النجف الطبيعي) أو النقطة أو الموضع الواحد إلى متسع من المكان وشموليته في التنوع، يذكر ياقوت الحموي هذه المنطقة أو يحدّدها بقوله:((وأما ظاهر الكوفة فإنها منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف والخورنق والسدير والغَريّان وما هناك من المتنزهات والديرة الكبيرة))[1]، وكلام ياقوت هذا صريح وواضح، يدل - دون شك - على منطقة واسعة شاملة لعدد من الأماكن والمناطق، (فالظاهر) عنده ليس الجزء اللصيق بمدينة محددة وإنما هو منطقة واسعة ممتدة كما يظهر من النص.

ويمكن أن نعرف حال هذه المنطقة الممتدة (النجف أو الظهر) في عصر ما قبل الإسلام من خلال ما ورد عن مملكة الحيرة الشهيرة وظاهرها وجوارها وتضاريسها وطبيعتها في هذا العصر الجاهلي القديم، وذلك من خلال ما أوردت المصادر التراثية القديمة، وهذا أبو الفرج الأصفهاني يذكر لنا:((وكان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلًا ظريفًا - أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام، قال وبما تُمْدح؟ قال: بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها، تصلح للخُفّ والظلف، سهلٌ وجبل وبادية وبستان وبر وبحر، محلُّ الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم))[2]، ثم يذكر سَمَكها وما

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص493.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص351.

صيد من وحشها من ظباء ونعام وأرانب وحُبارى...))[1]، إن هذا النص التاريخي لا يشير إلى الحيرة المدينة المحدودة وحدها، وإنما يتجاوزها إلى خارجها، بدليل ذكر ظاهرها وبحرها، إضافة إلى ذكر السهل والجبل والبادية والبر وما إلى ذلك من الامتدادات المتصلة بمملكة الحيرة، وهي (منطقة الحيرة) أو (منطقة النجف) كما نفهم من النص المذكور آنفًا.

وهذا (الظاهر) المتنوع في مكوناته هو الذي أطلقنا عليه (منطقة النجف)، وقد ورد التساوي بين النجف وظاهر الكوفة من خلال الحديث عن: ((ديارات الأساقف قباب وقصور وبحضرتها نهر يعرف بالغدير بالنجف ظاهر الكوفة))[2]، فالنصّ هنا يساوي بين النجف وظاهر الكوفة وهذا الظاهر أو المنطقة هو في الوقت نفسه ظهر الحيرة أو ظهر الكوفة أو خد العذراء أو اللسان، وهي منطقة تتجاوز المعلم أو الموضع الطبيعي المحدود إلى منطقة واسعة ممتدة هي (منطقة النجف).

وقد وردت هذه التسميات التراثية الدالة على (منطقة النجف) كليًا أو جزئيًا في عدد من النصوص التراثية القديمة يمكن تأكيدها من خلال: وقوع عدد من المواضع والمعالم والأماكن الجزئية ضمن الظهر أو الظاهر أو منطقة النجف الممتدة ومن ذلك مثلًا: وقوع قرية بانقيا بالنجف كقول البكري المتوفى سنة (478هـ) في بانقيا: ((أرض بالنجف دون الكوفة))[3] فمن المعقول أن تقع قرية بانقيا في منطقة النجف، وليس من المعقول على معلم النجف.

ومن ذلك أيضًا: وقوع النجف أو النجفة كمعلم طبيعي ضمن (منطقة النجف) لقول الأزهري: ((والنجفة هي التي بظاهر الكوفة وهي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها))[4]، ومن ذلك أيضًا: وقوع (الغريين) المشهورين ((بظهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب(ع))[5].

ومن ذلك أيضًا: وقوع عدد من الأديرة المسيحية في نقاط مختلفة من منطقة الظهر أو النجف كـ((دير ابن براق بظاهر الحيرة))[6]، و((دير ابن وضاح بنواحي الحيرة))[7]، و((دير

(1) المصدر نفسه، ج2، ص351.
(2) الحموي، الخزل والدأل، ج1، ص267. والبغدادي، ومراصد الاطلاع، ج2، ص551.
(3) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص206.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، ج11، ص79. ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص323.
(5) ابن طاووس، فرحة الغري، ص289.
(6) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص550.
(7) المصدر نفسه، ج2، ص550.

الأعور بظاهر الكوفة))[1]، و((دير بني مرينا بظاهر الحيرة))[2]، و((دير هند الكبرى والصغرى)) وغيرها تنتشر في أنحاء أخرى من المنطقة أو الظهر.

ومن النصوص التراثية القديمة التي ذكرت الظهر أو منطقة النجف كأرض أو كمساحة ممتدة شاملة لعدد من المعالم والمواضع، ما ورد عن اهتمام عدد من الملوك والكبار بهذه المنطقة، فقد ارتادوها لأغراض عديدة منها للنزهة والاستجمام، ومن ذلك ((يحكى أن النعمان بن المنذر خرج يومًا إلى ظهر الحيرة متنزهًا وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت بالشقائق فاستحسنها وقال: احموها فحميت وسميت شقائق النعمان بالنسبة إليه))[3]. (فظهر الحيرة) هنا أكبر من أن يكون معلمًا أو موضعًا صغيرًا محدودًا.

ومن النصوص التراثية الأخرى ما ورد أن يزدجرد الأثيم بن بهرام سأل: ((عن منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام فدُلَّ على ظهر الحيرة))[4]، و(ظهر الحيرة) هنا لا يدل على أنه موضع صغير محدود.

لقد كان الظهر أو الظاهر أو (منطقة النجف) بالأمس البعيد في عصر ما قبل الإسلام أكثر وحدة وتكاملًا، بل وتكاثفًا، فهو في الحقيقة كيان جغرافي واحد لم يفرّقه ترسيم الحدود والفواصل الرسمية التي جاءت مع العصر الحديث، فكان التنقل بين مواضع ومعالم وأجزاء المنطقة حرًا وأمرًا طبيعيًا وانسيابيًا لا تعيقه الموانع الرسمية والحكومية، هكذا يبدو لنا من بعيد ومن أخبار التراث.

لكن المشكلة أنّى لنا معرفة كل مواضع ومعالم المنطقة، وقد بعد العهد بيننا وبينها، فأصبحنا نقرأ تاريخ المنطقة لا واقعها على الأرض، وإن بقي بعضٌ منها إلى الآن. فنحن لا نعرف الحدود الدقيقة للظهر أو الظاهر أو اللسان أو خدّ العذراء أو المنطقة (منطقة النجف) في العصر الجاهلي السابق للإسلام وليس من الميسور اليوم معرفة كل ما كانت تضمّ تلك المنطقة من أماكن وأجزاء ومعالم، وليس من السهولة تحديد كل الفواصل التي تفصل هذه النقطة الجغرافية أو هذا المكان عن غيرها من النقاط والأماكن ليمكن تحديد المنطقة تحديدًا دقيقًا.

ولا شك أن هناك مدنًا أو قرى أو معالم أو مراكز كانت قائمة ثم بادت واندثرت واندثرت معها مواقعها ولعلَّ أسماءها أيضًا، وفي هذه الحالة لا بد أنّه ضاع كثير من معالم المنطقة

(1) المصدر نفسه، ج2، ص552.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص554.
(3) أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب، ص183.
(4) الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص65.

على أهل زماننا. وهناك من المعالم ما لم يبق منها سوى ما أورد التاريخ من الأسماء وبعض المعلومات المتداخلة كالغريّين والخورنق والسدير وكثير من الأديرة والكنائس والأماكن الدينية والثقافية، بل كثيرًا ما تخبطنا في تحديد مواقعها، لأن لا معلومات دقيقة تدل عليها ولا آثار باقية منها إلا ما ندر، وهناك من الباحثين من يبعدها وهناك من يقرّبها، ولا ضوء كاشفًا نستضيء به لكشفها.

من هذا الموروث التاريخي الصعب وغير الدقيق الذي لعبت به معاول الزمن يصعب تحديد الحدود الدقيقة لمنطقة النجف وماذا كانت تضم من مدن ومعالم وأماكن وخفايا. إننا في الحقيقة نعرف المنطقة على الإجمال، دون التفصيل اللازم والتحديد القاطع، والذي أبقى لنا هذا الإجمال هو بعض النقاط الجغرافية الطبيعية أو التي أنشأها الإنسان: كارتفاع أرض النجف المعلم الطبيعي الجغرافي وانخفاض بحر النجف الممتد إلى الحيرة، ونهر الفرات في الكوفة، أو بقايا مدنية الحيرة القديمة، وحتى بعض الآثار الباقية من التاريخ الموجودة هنا وهناك. إضافة إلى ما ذكر التاريخ والتراث من أسماء وبقايا حضارية سجلها المؤرخون.

وهذا الإجمال، إجمال (منطقة النجف)، على علاته وغموض كثير من أجزائه هو أساس الخلفية التاريخية لمدينة النجف الأشرف المعاصرة ولا أشك أن دراسة المنطقة هي أساس دراسة تاريخ مدينة النجف الأشرف الممتد إلى الماضي إلى تلك المنطقة الحضارية العريقة.

ج. من تسميات منطقة النجف

يمكن أن يستخلص الباحث من خلال المصادر التراثية العربية والإسلامية المختلفة أكثر من تسمية للدلالة على أرض النجف أو (منطقة النجف) أو (بعض منها)، في عصر ما قبل الإسلام. ومن تلك التسميات العامة على المنطقة، نجف الحيرة، نجف الكوفة (لاحقًا) أو النجف وحدها أحيانًا وظاهر الحيرة وظاهر الكوفة (لاحقًا) والظهر وظهر الحيرة وظهر الكوفة (لاحقًا) واللسان أو لسان البر أو خدّ العذراء وغيرها أحيانًا. فهذه التسميات، وإن دلت أحيانًا على موضع محدد، وردت في التاريخ لتدل على المنطقة (منطقة النجف).

ومع هذه التسميات العامة لمنطقة النجف الكبيرة وردت تسميات داخلية جزئية ضمنية لعدد من المواضع والمدن والقرى والمعالم، كقرية بانقيا والثوية والغري والملطاط والطف وطيزناباذ وبارق وغيرها. ولم تسلم تسميات منطقة النجف الكبيرة من تداخلها مع تسميات أجزائها الواقعة ضمنها المذكورة آنفًا.

كانت هذه التسميات (بنوعيها العامة والجزئية) في وقت لم تكن (النجف المدينة) قائمة

أصلًا وإنما كانت موضعًا طبيعيًا نجفًا كسائر النجاف[1] أو مرتفعًا كسائر المرتفعات الموجودة ضمن منطقة النجف الكبرى.

وحتى بعد استقرار الجسد الشريف للإمام علي(ع) في (موضع النجف) أو نقطة من نقاط (منطقة النجف الكبرى) لم يصبح (النجف الموضع) هويةً محددة ذات مميزات خاصة بين أسماء مواضع ومعالم وقرى المنطقة، ولم يَخرج عن موضعه الطبيعي إلا بعد إدراك الناس هوية الراقد الرباني فيها (الإمام علي بن أبي طالب(ع))[2] ومن هذا التاريخ وما بعده قامت المدينة وظهرت معها التسميات المختلفة، النجف الأشرف، المشهد، الطف وغيرها. وما قبل ذلك لم تكن المدينة ولم تكن تسْمياتها الخاصة بها أصلًا.

ولذلك لا يمكن الحديث عن تسميات (للمدينة) قبل نشوء المدينة أو قبل عصر الإسلام أو قبل استقرار جسد الإمام الشريف بل وبُعيده. وإنما يمكن أن يدور الحديث عن (منطقة النجف) الكبيرة التي يقع ضمنها (معلم النجف الطبيعي) الذي أصبح مدينة باستقرار جسد الإمام علي (ع) فيه، من هنا يحتم علينا منهج البحث الحديث عن تسميات منطقة النجف قبل الإسلام دون الحديث عن تسميات (مدينة النجف) التي لم تكن بعد.

وعلى هذا فهناك تسميات محددة ذكرتها مصادر التراث لمنطقة النجف مع مكوناتها الداخلة ضمنها أو بعضها، وهناك تسميات للمدينة (النجف) بعد نشوئها وتطورها، وهي تسميات عديدة لا تدخل في موضوعنا النجف قبل الإسلام. والمنهج العلمي يفرض الحذر من التداخل بين تسميات المنطقة وتسميات أجزائها الداخلة ضمنها ما قبل الإسلام، وبين تسميات النجف المدينة التي نشأت بعد الإسلام. وبناء على هذا الفصل والتفريق (بين النجف المنطقة) قبل أن تكون مدينة، وبعد أن أصبحت مدينة (مدينة النجف) ذات تسميات متعددة في العصر الإسلامي يمكن أن نذكر - باختصار - بعض التسميات التراثية المعروفة الدالة على (منطقة النجف) أو على جزء منها:

1. نجف الحيرة، أو نجف الكوفة (لاحقًا) أو النجف وحدها أحيانًا.
2. ظهر الحيرة أو ظهر الكوفة (لاحقًا) أو الظهر.
3. ظاهر الحيرة أو ظاهر الكوفة (لاحقًا).
4. خدّ العذراء.
5. لسان البر أو اللسان.

(1) النجاف المرتفعات أو التلال جمع نجفة وقد مرت بنا آنفًا.

(2) عموم الناس لا يدركون مكان مدفن الإمام علي (ع). أما أهل بيته وخاصته فيدركون مكانه كما تذكر الروايات.

1. نجف الحيرة أو نجف الكوفة أو النجف

وهي من التسميات الشهيرة للمنطقة أو جزء من المنطقة، والتي استمرت إلى الوقت الحاضر، فالنجف (المادة اللغوية)، وإن أطلقت في الأصل على الموضع الجغرافي الطبيعي أو المعلم الجغرافي الطبيعي، انتشرت إلى المنطقة لتكون الجزء المتصل بالحيرة (نجف الحيرة) والجزء المتصل بالكوفة (نجف الكوفة) أو النجف وحدها أحيانًا، وهناك نُصوص تراثية عديدة تشير إلى هذه التسميات:

فقد ورد في التاريخ نصوص تذكر (النجف) منسوبة أو مضافة إلى الحيرة مرة كقول القائل: ((ودفن في رحبة الكوفة ويقال بنجف الحيرة))[1] ولا بد أن يكون المقصود (نجف الحيرة) جزء المنطقة القريب من الحيرة أو جاءت التسمية من شهرة الحيرة، ووردت النجف أيضًا منسوبة أو مضافة إلى الكوفة كقول القائل: ((النجف علو من الأرض وغلظ نحو نجف الكوفة))[2]، وهي جزء المنطقة القريب من الكوفة أو جاءت التسمية من شهرة الكوفة بعد الإسلام.

وقد يكون المقصود أيضًا عموم المنطقة. ونسبة النجف إلى الحيرة أو إلى الكوفة تدل فيما تدل على عمارة الحيرة والكوفة وعدم عمارة (النجف) وهو الذي أفرز هذه النسبة، ولكن الأصح كما يقول د. مصطفى جواد: ((الحيرة المدينة العربية المشهورة في تاريخ العرب وجغرافية بلادهم أنشئت في منطقة النجف، وكان ينبغي أن تضاف إليه فيقال ((حيرة النجف)) إلا أن العادة جرت بتعريف الغامر بالعامر، فأضيف النجف إلى الحيرة فقيل (النجف الحاري) أي النجف الحيري))[3].

2. ظهر الحيرة أو ظهر الكوفة أو الظهر

وهي من التسميات الشهيرة للمنطقة أيضًا، وردت بشكل كبير في تراثنا العربي الإسلامي، وخاصة في روايات أهل بيت الرسول(ﷺ)

والظهر في الأصل مادة لغوية، وتعني في اللغة ما غلظ وارتفع، يقول اللغوي الأزهري المتوفى سنة (370هـ): ((والظهر من الأرض ما غلظ وارتفع، والبطن ما رقَّ واطمأن، والظهر الركاب التي تحمل الأثقال في السفر، ويقال لطريق البر، طريق الظهر، وذلك حيث يكون مسلك في البر ومسلك في البحر))[4].

(1) العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ص152.
(2) ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ج1، ص558.
(3) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ج6، ق1، ص26.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، ج6، ص134. ابن سيده، والمخصص، ج5، ص342.

وقد وصف القدماء منطقة النجف بظهر الحيرة أو ظهر الكوفة أو الظهر، وذلك قياسًا بالمدن القائمة على الأرض المجاورة المنبسطة الممتدة، فالمكان المرتفع كالظهر لها. وقد توسع المؤرخون والجغرافيون في استخدام الظهر ليشمل المنطقة أو جزءًا منها.

ومن النصوص التراثية التي ذكرت (ظهر الحيرة) قول القائل: الخورنق ((قصر النعمان بظهر الحيرة))[1] أي: في (النجف المنطقة) فالظهر هنا نسبة إلى الحيرة لتمييز هذه المنطقة المرتفعة عن الحيرة المستوية إلى حده.

ومن النصوص التي ذكرت (ظهر الكوفة) قول القائل: ((فأصبحنا بالنجف وهو ظهر الكوفة))[2] فالظهر هنا نسبة إلى الكوفة لتمييز هذه المنطقة العالية عن الكوفة المستوية نسبيًا، وكذلك سميت المنطقة بالظهر قياسًا بالصحراء المستوية القريبة منها.

وأحيانًا يطلق على منطقة النجف (الظهر) مجردة من النسبة إلى شيء، كقول القائل: ((دير لمريم فوق الظهر معمور))[3]. والظهر هنا منطقة النجف أو جزء منها. أو ما ورد أن النعمان بن المنذر ((وكان خرج إلى (الظهر)، وقد اعتمَّ نبته بين أحمر وأخضر وأصفر))[4].

3. ظاهر الحيرة أو ظاهر الكوفة

وكما يطلق على منطقة النجف أو جزء منها ظهر الحيرة وظهر الكوفة يطلق عليها أو على جزء منها (ظاهر الحيرة) أو (ظاهر الكوفة) (بعد نشوء الكوفة في العصر الإسلامي).

و(الظاهر) كلمة تدل على المكان العالي والمرتفع من الأرض قياسًا بالمناطق المستوية العادية. فقد ورد في مصادر اللغة العربية: ((والظواهر أشراف الأرض الأصمعي، يقال هاجت ظهور الأرض وذلك ما ارتفع منها، ومعنى هاجت يبس بقلها. ويقال هاجت ظواهر الأرض. ابن شميل: ظاهر الجبل أعلاه وظاهرة كل شيء أعلاه، استوى أو لم يستو ظاهره، وإذا علوت ظهره فأنت فوق ظاهرته))[5]، والظهر والظاهر والظاهرة كلمات متقاربة المعاني، يقول الزمخشري: ((ونزلوا في ظهر من الأرض وظاهرة وهي المشرفة، يقال أشرفت عليه اطلعت عليه والموضع مشرف، ومشارف الأرض أعاليها))[6]، ومن النصوص التراثية الكثيرة التي ذكرت (ظاهر الحيرة)

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص141.
(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص176.
(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص428.
(4) ابن قتيبة، المعارف، ص610.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص524.
(6) الزمخشري، أساس البلاغة، ص291.

و(ظاهر الكوفة) للدلالة على المنطقة أو على جزء من المنطقة قول القائل: ((وبنى النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي قصرًا بظاهر الحيرة))[1]. وقول القائل: ((هذه الديارات بالنجف بظاهر الكوفة))[2].

4. خدّ العذراء

لا شك أنَّ خدّ العذراء هو معنى أو وصف يتعلق بالجمال البشري، وبالأخص بالجانب الجمالي للفتاة العذراء، وهو جمال مادي ونفسي في وقت واحد، لكن حين تكون الطبيعة أو أيّ شيء جميل يمكن استعارة أو نقل بعض الأوصاف البشرية إليها.

فلجمال أرض النجف أو منطقة النجف وصفت بخدّ العذراء وهو وصف أبقاه التاريخ من خلال عدد من النصوص لتأكيد جمال هذه المنطقة.

فقد كانت منطقة النجف تجمع بين الأرض الخضراء الموشاة بألوان الزهور ومجاري الأنهار وتضاريس منوّعة جعلت من المنطقة روضة جميلة يرتادها الزوار من أماكن مختلفة.

فقد أورد البلاذري المتوفى سنة (379هـ) تسمية (خدّ العذراء) للدلالة على الظهر أو النجف بقوله: ((فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر، فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلًا غريبًا، فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها، فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر، وكان يُدعى خدّ العذراء ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها))[3].

وورد نصّ تراثي آخر يؤكد هذه التسمية أيضًا: ((...وكان ظهر الكوفة ينبت الخزامى والشيح والأقحوان وشقائق النعمان، وكانت العرب تسميه في الجاهلية خذ العذارى...))[4]، هذه نصوص تراثية من مصادر معتبرة تؤكد أن منطقة النجف كانت تعرف في العصر الجاهلي بخدّ العذراء ومع هذا التأكيد التراثي، هناك من يذكر أن الكوفة هي خد العذراء، كما ورد عن ياقوت بقوله: ((في كتاب الساجي كانوا يسمون الكوفة خدّ العذراء لنزاهتها وطيبتها وكثرة أشجارها وأنهارها))[5]. لكنها في النتيجة هي ضمن منطقة النجف.

---

(1) زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص186.
(2) الشابشتي، الديارات، ص236.
(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص390.
(4) المتقي الهندي، كنز العمال، ج14، ص76.
(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص348.

5. اللسان

واللسان أو لسان البر هو إحدى التسميات الشهيرة لمنطقة الظهر أو منطقة النجف، وقد أكد هذه التسمية نصوص تراثية عديدة، فقد أورد بن قتيبة المتوفى سنة (276هـ) أن الظهر الذي هو النجف يسمى اللسان أو لسان البر يقول: ((وظهر الكوفة يقال له اللسان وهو ما بين النهرين إلى عين الحدّاء، وكان العرب تقول: أدلع البر لسانه في الريف، فما يلي الفرات منه، فهو الملطاط وما كان يلي الظهر منه فهو النجاف))[1].

ويقول ياقوت في معجمه: ((اللسان من أرض العراق... واللسان: لسان البر الذي أدلعه في الريف عليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم، قالوا: ولما أراد سعد تمصير الكوفة أشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان، وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين إلى العين عين بني الجراء، وكانت العرب تقول أدلع البر لسانه في الريف، فما كان يلي الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلي البطن منه فهو النجاف))[2]، وهناك نصوص أخرى لا مجال لذكرها هنا.

د. النجف القرية المدينة

في الحديث عن منطقة النجف الكبرى قبل عصر الإسلام يَثور في الذهن عدد من التساؤلات منها: أين كانت النجف المدينة أو القرية بين مكونات تلك المنطقة الكبرى؟ أو أين جذور مدينة النجف، قبل العصر الإسلامي، وقبل استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)؟ هل كانت النجف قرية أو مدينة صغيرة ذات حضارة وعمارة وثقافة ثم اختفت من الوجود بفعل عاديات الزمن، أم لم تكن أصلًا؟ هل كان أصل النجف الأشرف الحالية تجمعًا بشريًا أو قرية صغيرة أو كبيرة ضمن القرى والبلدان والتجمعات البشرية المنتشرة في منطقة النجف قبل الإسلام، ثم نمت وتطورت شيئًا فشيئًا لتصبح بالتالي مدينة كاملة متكاملة كما هي النجف في الوقت الحاضر؟

هذه تساؤلات استدعتها أهمية مدينة النجف الأشرف التي تشرفت بمرقد الإمام علي(ع)، فراح الباحثون يبحثون عن جذور هذه المدينة الكريمة المشرَّفة، أين هي من منطقة النجف الكبرى في عصر ما قبل الإسلام؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات يمكننا القول: إن الباحث إذا ما رجع إلى مصادر التراث العربي والإسلامي القديمة المتوافرة، لم يقرأ غير المعلم الجغرافي

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص218.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص16.

الطبيعي قبل عصر الإسلام أصلًا للنجف المدينة. أما منطقة النجف الكبرى المعروفة قديمًا بمصطلح الظهر أو الظاهر وما قارب ذلك، فكانت حاضنة لذلك المعلم الطبيعي، وأساسًا قام عليه (أي المَعْلم) كما قامت مواضع ومعالم أخرى على هذا الأساس (المنطقة).

ولم يجد الباحث أي أثر لقرية أو مدينة ذات حضارة وعمارة في ذلك التاريخ القديم وحتى على مستوى الروايات والأخبار الدينية المتوافرة، لم تقل تلك الروايات بوجود مدينة النجف قبل الدعوة الإسلامية، وكل ما قالته هو وجود بقعة جغرافية مقدسة كريمة سيكون لها شأن في المستقبل[1].

إن البحث عن قرية أو مدينة باسم (النجف) في عصر ما قبل الإسلام يتطلب من الباحث البحث عنها من خلال أسماء المدن والقرى والمعالم والمواضع المختلفة المنتشرة في منطقة النجف، التي وفرتها مصادر التراث العربي والإسلامي أو الآثار والتنقيبات المتوافرة، والمنطقة غنية بالمواضع والمعالم المتنوعة المكتشفة وغير المكتشفة، ومن تلك المواضع والمعالم على سبيل المثال لا الحصر، بانقيا والثوية والطف والغَري والدومة والجرف وما إلى ذلك من المعالم الجغرافية والحضارية، ولم يذكر لنا التاريخ ولا الجغرافية ولا الآثار والتنقيبات اسم النجف بـ(التحديد والصراحة) على واحدة من هذه القرى أو الأماكن في المنطقة.

أما على مستوى المعالم الطبيعية، فاللغة العربية تطلق على كل مرتفع أو تل اسم (النجف) وجمعها (النجاف)، وهناك مرتفعات أو نجاف عديدة[2] في منطقة النجف، ومنها ذلك المعلم الجغرافي الطبيعي الشهير (النجف)، ولكنه معلم طبيعي جغرافي وليس مدينةً ولا قرية كما أشرنا إلى ذلك آنفًا. ولا شك أن اسم مدينة النجف الحالية (النجف الأشرف) هو من ذاك الاسم القديم أو هي عين ذلك النجف المعلم الطبيعي المرتفع قبل أن ينمو ويتطور بمرور الزمن ويتحول إلى مدينة مقدسة كما نعرفها اليوم.

والحقيقة نحن لا نبحث عن معلم طبيعي جبل أو تل أو مرتفع غير مأهول وغير مسكون أطلق التاريخ عليه اسم النجف كالذي ذكرنا آنفًا، أو ذلك الجبل الذي ذكرته الروايات والأخبار الدينية المذكورة آنفًا.

وإنما الذي نريده هنا ونبحث عنه هو مدينة أو قرية باسم النجف ضمن المنطقة الكبيرة التي أُطْلق عليها اسم (منطقة النجف)، قبل انطلاق الدعوة الإسلامية الحنيفة، ليمكن بالتالي

(1) انظر الفصل الثاني (2. النجف في الروايات والأخبار القديمة).
(2) انظر الفصل الثاني (1. النجف المدلول اللُغوي).

القول بوجود جذر حضاري للنجف قبل الإسلام. لقد ورد في مصادر التاريخ العربي والإسلامي ما يمكن أن يشير إلى وجود قرية صغيرة أو كبيرة يحتمل أن تكون قد أخذت اسم النجف. فقد ذكر الطبري وغيره: ((لما قدم بعبد الله بن حسن وأهله مقيدين، فأشرف بهم على النجف، قال لأهله أما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية))[1].

فإذا فهمنا من هذا النص التاريخي القديم الإشارة إلى وجود قرية باسم النجف - وقد يفهم من النص وجود قرية في منطقة النجف دون أن يكون اسمها النجف - فلا يمكن أن نفهم تاريخ هذه القرية، وفيما إذا كانت موجودة قبل الإسلام أو بعده، والنص وردنا من القرون الإسلامية الأولى (عصر التدوين) وليس من عصر ما قبل الإسلام، أو من الآثار والتنقيبات.

ثم نحن لا نملك دليلًا يدل على أن هذه القرية - على افتراض أنها في موقع النجف الحالية - هي أساس مدينة النجف الأشرف، وللشيخ عبد الهادي الفضلي رأي في هذه القرية يقول: ((وربما استنتج من بعض ما أورده الطبري في تاريخه والأصفهاني في مقاتل الطالبيين أنه كان في النجف أيام المنصور قرية عامرة لا في مكان القبر، ولكن في مكان ما من رقعة النجف الرحبة..وإذا صح هذا الاستنتاج فربما كان دليلًا على أن الزائرين القليلين العارفين بحقيقة القبر كانوا السبب في بناء تلك القرية وانها بنيت لهم ولأمثالهم من الوافدين ليجدوا فيها المأوى والمأكل والمشرب في صحراء لا مأوى فيها ولا مأكل ولا مشرب))[2].

وهذا يؤيد أن هذه القرية هي غير بقعة النجف التي تشرفت بقبر الإمام أمير المؤمنين علي(ع)، وأنها بنيت بعد العصر الجاهلي وبعد دفن الجسد الشريف في هذه البقعة وفي كل الأحوال أورد نص الطبري قرية غير معروفة، بلا اسم معين وإن كانت ضمن منطقة النجف الكبيرة. ولا يمكن أن نؤكد أن هذه القرية هي جذر جاهلي واضح لمدينة النجف الأشرف الحالية.

إضافة إلى نصّ الطبري، هناك مصادر تراثية تذكر النجف موضعًا معروفًا في الكوفة، يقول البكري في مادة النجف: ((والنجف بلا هاء موضع معروف بالكوفة))[3]. ومن خلال كلمة (الموضع) يمكن أن نقول إن البكري لم يذكر مدينة ولا قرية وإنما ذكر المعلم الطبيعي المعروف باسم النجف الواقع في منطقة النجف، ويمكن أنه عبر عن المنطقة باسم الكوفة

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص446. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص192.
(2) مجموعة من الباحثين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج21، ص365.
(3) البكري، معجم ما استعجم، ج4، ص144.

الواقعة ضمن منطقة النجف. ويمكن أيضًا أن يُشمَ من وقوعه بالكوفة أن يكون محلة من محلات مدينة الكوفة وليس موضعًا أو بلدة في منطقة النجف.

ويؤيد هذا الاحتمال ما أورده ياقوت الحموي في معجمه بأن النجف محلة في دوما الكوفة، يقول الحموي في مادة (دوما): ((دوما بالكوفة والنجف محلة فيها ويقال اسمها دومة))[1]، فهل هناك موضع أو محلة في مدينة الكوفة باسم النجف؟ يُمكن ذلك في ضوء هذه النصوص، لكن هذا الموضع أو هذه المحلة لا يرتقي إلى كونه مدينة أو قرية أو بلدًا وبالتالي يكون جذرًا لمدينة النجف المعاصرة، فضلًا عن أن المدينة الأصل الكوفة هي نفسها حديثة العهد نشأت بعد الإسلام بفترة زمنية. وموضوعنا هنا هو النجف قبل الإسلام لا بعد الإسلام.

أمّا ما قال الزَبِيدي في تاجه بوجود قرية تعرف باسم النجف في منطقة النجف على باب الكوفة، فهو نص متأخر زمنيًا لا اعتبار له تاريخيًا، فقد أورد الزبيدي المتوفى سنة (1205هـ) في تاج عروسه: ((قال أبو العلاء الفرضي: النجف قرية على باب الكوفة))[2]. ولم أقف على أصل هذا النص في مصادر التراث العربي والإسلامي القديمة المتوافرة.

وهنا لا بد من القول: لو كانت هناك مدينة أو قرية مهمة باسم النجف لما فاتت الجغرافيين والبلدانيين والتراثيين الذين لم تفتهم قرية أو معلم أو موضع عادي، فكيف يغفلون عن مدينة أو قرية بهذا الاسم الشهير تملك حضارة وعمارة وثقافة في منطقة حضارية غنية معروفة في التاريخ، كانت مرتعًا خصبًا للملوك والكبراء والإعلام القديم، إنْ صَح التعبير لكنَّ مدينة النجف هي واقع حقيقي له كيان على أرض الواقع، على منطقة النجف ولا يمكن إنكاره، ولكن ذلك بعد انطلاق الدعوة الإسلامية الكريمة في المنطقة، وبعد نشوء مدينة الكوفة الإسلامية، بل وبعد فترة من الزمن ليست قصيرة.

وفي البداية كانت (النجف) بقعة أرضية محددة قرب الكوفة، وأقرب موضعًا إلى الغريين، وضمن عموم منطقة النجف الكبرى، وهي مكان أو موضع مرتفع يابس لا يصله الماء، تصلح لأن تكون مقبرة. وقد أحب الإمام أمير المؤمنين علي(ع) أن يكون قبره الشريف فيها، كما صرح بذلك صريحًا، وهي أمنية شهيرة للإمام، فقد ورد: ((عن أحمد بن خباب، قال: نظر أمير المؤمنين إلى ظهر الكوفة فقال: ما أحسن منظرك وأطيب قعركِ، اللهم أجعل قبري بها))[3]،

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص486.
(2) الزبيدي، تاج العروس، ج24، ص388.
(3) ابن طاووس، فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين، ص115.

وتؤكد الأخبار والروايات أنه دفن في هذا الظهر، هذه البقعة، فقد ورد أن الإمام عليًا(ع) قال: ((يا رسول الله أُقبر بكوفان العراق؟ فقال: نعم يا عليّ تُقبر بظاهرها قتلًا بين الغريين والذكوات البيض))[1].

وفي رواية أخرى تجد تحديدًا أكثر دقة لمكان مدفن الإمام علي (ع) (النجف) فقد ورد: ((عن صفوان الجمال قال: كنت وعامر بن عبد الله بن جذاعة الازدي عند أبي عبد الله (ع) فقال: فقال له عامر: إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين (ع) دفن بالرحبة، فقال لا، قال فأين دفن، قال: إنه لما مات حمله الحسن (ع) فأتى به ظهر الكوفة، قريبًا من النجف يسرة عن الغري، يمنة عن الحيرة، فدفن بين ذكوات بيض))[2]، وورد في رواية أخرى: ((وهو - أي قبر الإمام(ع) - بناحية نجف الحيرة إلى جانب غري النعمان))[3]، وفي رواية أخرى أيضًا، ورد: ((إلى الظهر بجنب الغري))[4].

وهناك روايات وأخبار مشابهة أخرى، وكلها تدل على وجود قبره الشريف في نقطة جغرافية محددة من منطقة النجف، هي معلم أو موضع النجف الطبيعي المعروف، ومن هذه الروايات والأخبار وأخرى مشابهة نفهم أنَّ القرار الأول لدفن الإمام عليّ (ع) وقيام مدينة النجف كان قد صدر من الرسول الأعظم محمد بن عبد الله(ﷺ)، على ما تدل الأخبار (الرواية الأولى)، وهو (أي النجف) مكان منعزل بعيد عن العيون في أرض عالية خالية من السكان والأهل، لم يعرفها أحد خارج العائلة وبعض الخاصة، أي لم يدفن الإمام(ع) في مدينة أو قرية مسكونة مأهولة، وذلك لإخفائه عن عيون الأعداء.

ومن خلال التاريخ والروايات والأخبار نفهم أيضًا أنَّ النجف بعد استقرار الجسد الشريف للإمام فيه لم يتحول فَورًا إلى مدينة مسكونة مأهولة، وإنما بقي أرضًا خالية أو فيها شيء من الزرع والضرع كما يستنتج من بعض الأخبار.

ففي العصر العباسي خرج الخليفة العباسي هارون الرشيد المتوفى سنة (193ه) للصيد في منطقة النجف قرب مرقد الإمام علي(ع)، وفي أثناء ممارسته للصيد عثر على القبر الشريف مستويًا مع الأرض وبنى عليه قبَّة[5]. ومنطقة الصيد عادة ما تكون بعيدة عن الناس

(1) المصدر نفسه، ص107.

(2) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص81. وابن طاووس، فرحة الغري، ص176.

(3) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص88.

(4) ابن طاووس، فرحة الغري، ص131. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج6، ص258.

(5) ذكر ابن طاووس قصة خروج الخليفة هارون الرشيد للصيد بقوله: ((روي محمد بن زكريا، قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة، قال حدثني عبد الله بن حازم، قال خرجنا يومًا مع الرشيد من الكوفة نتصيد،

مما يدل على خلو المكان من السكان، ذكر ابن طحّال: ((أن الرشيد بنى عليه بنيانًا بآجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم، من كل جانب بذراع، ولما كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنيًا، عليه تربة وجصٌ، وأمر الرشيد أن يبنى عليه قبّة فبنيت من طين أحمر، وطرح على رأسها جرّة خضراء، وهي في الخزانة إلى اليوم))[1].

وأورد ابن طاووس أيضًا عن ((محمد بن علي بن دُحيم الشيباني، قال: مضيت أنا ووالدي علي بن دُحيم وعمي حسين بن دحيم، وأنا صبي صغير سنة نيف وستين ومئتين ومعنا جماعة متخفّين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين(ع)، فلما جئنا إلى القبر، وكان يومئذ قبر حوله حجارة سند، ولا بناء عنده، وليس في طريقه غير قائم الغري))[2]، ويبدو من هذا الكلام وغيره أن البقعة التي ضمت القبر الشريف للإمام لم تكن مدينة بعد استقرار جسد الإمام فيها لفترة طويلة، وعلى الأقل إلى سنة ((نيف وستين ومئتين) ولا مانع أن يكون فيها تجمعات بشرية هنا وهناك اهتمامًا بالمرقد الشريف، لتتطور هذه التجمعات البشرية إلى مدينة، ومدينة مهمة مقدسة فيما بعد. وقد نعود إلى نشوء النجف في العصر الإسلامي في بحث مستقل.

فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية فرأينا ظباءً فأرسلنا عليها الصقورة والكلاب، فحاولتها ساعة، ثمَّ لجأت الظباء إلى اكمه فسقطت عليها، فسقطت الصقورة ناحية ورجعت الكلاب! فتعجب الرشيد من ذلك، ثم إن الظباء هبطت من الأكمة، فسقطت الصقورة والكلاب، فرجعت الظباء إلى الأكمة، فتراجعت عنها الكلاب والصقورة ففعلت ذلك ثلاثًا.

فقال هارون: اركضوا، فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال له هارون: ما هذه الأكمة؟ قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك. قال: لك عهد الله وميثاقه ألا أهيجك ولا أؤذيك. قال: حدثني أبي، عن أبيه، أنهم كانوا يقولون: هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب (ع) جعله الله حرمًا لا يأوي إليه أحد إلا أَمن.

فنزل هارون ودعا بماء فتوضأ، وصلى عند الأكمة، وتمرغ عليها، وجعل يبكي ثم انصرفنا)) فرحة الغري، ابن طاووس: ص267ـ268.

(1) ابن طاووس، فرحة الغري، ص273ـ274.

(2) المصدر نفسه، ص308.

الفصل الثالث

خصائص منطقة النجف

- **اولاً: النجف الهويّة الطبيعية**
- **ثانياً: النجف الجَمال والرومانسية**
- **ثالثاً: النجف الموقع الحضاري والمحطة المرورية**
- **رابعاً: النجف الموقع التاريخي المقدس**
- **خامساً: النجف المنطقة الصحيّة ودار النقاهة**
- **سادساً: النجف الموقع العسكري الإستراتيجي**
- **سابعاً: النجف منطقة صالحة للرصد الفلكي**

لا أظن أنَّ اختيار الأجداد القدماء لمنطقة النجف الكبيرة دون معنى ودون هدف ودون مسوغ، سواء كان هذا الاختيار (منطقة النجف) التي قامت عليها مملكة الحيرة الشهيرة أو مملكة الحيرة ذاتها التي احتضنت معلم النجف الجار، ومدينة الكوفة الإسلامية (لاحقًا) والمعالم والقرى والأماكن الأخرى التي كونت تلك المنطقة الواسعة (منطقة النجف). لم يكن اختيار ذلك الذي اختار، أو أولئك الذين اختاروا، منطقة النجف مسكنًا أو بيتًا كبيرًا لهم اختيارًا عشوائيًا ودون سبب أو أسباب. لا بد أن يكون وراء ذلك الاختيار الذكي الذي اختفت أصوله في أعماق التاريخ وثنايا الزمن أسباب وأهداف وأشياء خفيت علينا أو خفي بعضها على الأقل، جعلت من ذلك الاختيار القديم مسوغًا معقولًا بالنسبة إلى الأجداد القدماء على الأقل.

وإذا خفيت تلك الأسباب والأهداف والمسوغات القديمة، وجهلنا ما كان يدور في أذهان الأجداد الذي اختاروا النجف منطقة سكنية، فيمكن أن نخمن أو نحدس أو نتوقع عددًا من الخصائص والمواصفات والإيجابيات التي امتازت بها منطقة النجف وراء ذلك الاختيار. يمكن

ذلك من خلال المعطيات المتوافرة بين أيدينا والواقع الذي تتميز به منطقة النجف، وهنا يمكن انتزاع عدد من الخَصائص والميّزات التي تميزت بها هذه المنطقة، ويقف في طليعتها حسب ما نتصور:

1. النجف الهويّة الطبيعية
2. النجف الجَمال والرومانسية
3. النجف الموقع الحضاري والمحطة المرورية
4. النجف الموقع التاريخي المقدس
5. النجف المنطقة الصحّية ودار النقاهة
6. النجف الموقع العسكري الإستراتيجي
7. النجف منطقة صالحة للرصد الفلكي

اولاً: النجف الهويّة الطبيعية

لا شك أن في طليعة الخصائص التي اختصت بها منطقة النجف الكبيرة، هو موقعها الجغرافي الطبيعي المتميز إلى حد كبير عن المناطق الأخرى، وهو أمر أو حقيقة جغرافية عاشها الأجداد والسابقون، وأدركها اللاحقون.

فلمنطقة النجف الكبيرة الشاملة لعدد من المدن والقرى والمعالم المختلفة هوية محددة مع هذا التنوع، يمكن أن نقول هي هوية جغرافية طبيعية متكاملة، تفرض نفسها كيانًا جغرافيًا طبيعيًا متميزًا ذا خصائص محددة أعطته هويته الخاصة، وقد تكونت هذه الهوية على مدى زمن طويل ومراحل متعددة، فأساس المنطقة أو الجزء الأبرز من المنطقة هو ذلك الجزء الجغرافي الطبيعي البارز والواضح المعالم، ذلك المعلم الطبيعي المحدد على شكل تل مستطيل مرتفع عما سواه من الأرض المحيطة، الذي يقع ضمن المنطقة الكبيرة.

ثم هناك البحر أو المنخفض المائي أو (بحر الملح) كما يسميه اليعقوبي[1] يحد ذلك المعلم الطبيعي بشكل حاد أو على شكل جرف أو ساحل من جهة الغرب والجنوب ويمتد إلى منطقة الحيرة، ومملكتها، وهو في الحقيقة لا يخرج عن منطقة النجف الكبيرة، يقول اليعقوبي واصفًا هذا الساحل أو البحر الذي يقع معلم النجف ومدينة الحيرة على امتداده يقول: ((والحيرة على

(1) اليعقوبي، البلدان، ص146.

النجف والنجف كان على ساحل بحر الملح))[1]، ومن المقومات الأخرى لهوية منطقة النجف، وجود النهر الخالد (نهر الفرات) الذي يمتد طويلًا وتمتد معه مدن أو قرى أو معالم زراعية أخرى لا تخرج عن امتداد المنطقة وهناك السواد سواد الكوفة في منطقة الكوفة.

وعلى امتداد منطقة النجف تمتد الصحارى والبراري مستوعبة المنطقة كلها، موشاة ومطرزة بعدد كبير من المعالم الطبيعية كالترع والأنهار والتلال الصغيرة والمنخفضات الجزئية وتضاريس أخرى، وهناك المساحات الزراعية الخضراء ذات العشب وأنواع النباتات المختلفة، وهي مساحات جذب قوي للحيوانات البرية والمائية والطيور مما جعلتها قبلة لمحبي النزهة والاستجمام ومرتعًا لأهل الصيد والقنص الباحثين عن حيوانات الصيد. والمنطقة في المحصلة النهائية مصداق لقول الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي القائل:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل أصفى هـواء ولا أغـذى من النجف
حُـفَّـت بـبـر وبـحـر فـي جـوانـبـهـا فالبر في طـرف والبحر في طـرف[2]

ويمكن المزيد عن الهوية الطبيعية لمنطقة النجف في الفصل الأول (البحث عن النجف).

ثانياً: النجف الجَمال والرومانسية

حبا الله - سبحانه وتعالى - منطقة النجف وامتداداتها بمواصفات طيبة ومزايا جميلة لم تتوافر في كثير من المناطق الأخرى. قال الإمام علي(ع) في حقها: (ما أحسن منظرك وأطيب قعرك)[3]، فالنجف أرض أو منطقة توافرت فيها أسباب الجمال والطبيعة الساحرة والسحر الروحي. وحظيت بالوفير من خيرات الله الطبيعية من أشجار ونخيل وبساتين وأنواع النباتات والزهور، تحمل رياحها ونسيمها روائح وعطور زكية، وتجري بين ثناياها أنهار وجداول وترع، وترعى في أرضها وخضرائها أنواع الأحياء برية وبحرية وجوية (طائرة). حتى وصفت بأجمل الأوصاف، وصفت بـ(خدّ العذراء)، وهو وصف أو اسم له مزدوجة مادية ظاهرة ونفسية داخلية خفية، وقد تحدث البلاذري المتوفى سنة (279هـ) عن اختطاط الكوفة وذكر ظهرها بقوله: ((فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم، فانتهوا إلى الظهر وكان يدعى (خد العذراء) ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها))[4].

(1) المصدر نفسه، ص146.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص285.
(3) ابن طاووس، فرحة الغري، ص115.
(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص390.

وفي نص مقارب ورد: ((وكان ظهر الكوفة ينبت الخزامى والشيح والأقحوان وشقائق النعمان، وكان العرب تسميه في الجاهلية خدّ العذارى))[1].

وفي تسمية الورد بشقائق النعمان ما يشير إلى أن ملوك الحيرة أو بعض ملوك الحيرة كثيرًا ما جعلوا المنطقة أو ظهر الحيرة متنزهًا ومرتعًا للراحة والسياحة، ((يحكى أن النعمان بن المنذر خرج يومًا إلى ظهر الحيرة متنزهًا، وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت بالشقائق فاستحسنها وقال: احموها فحميت وسميت شقائق النعمان بالنسبة إليه. وقال بعض أهل اللغة النعمان اسم من أسماء الدم نسبت الشقائق إليه تشبهًا به، كما قال الشاعر:

كأن شقائق النعمان فيها ثياب قد روين من الدماء))[2].

لقد كان الربيع يُلبس المنطقة حلة خضراء مزركشة تشتاق إليها النفوس والقلوب، يقول الكلبي: ((خرج أسماء في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة فنزل في رياض معشبة))[3]، حتى لترى الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي يصف تلك الأرض المعشبة الجميلة بأحلى الأوصاف، قال:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف نحيّ دارًا لسعدى ثم ننصرف
لم ينزل الناس في سهل ولا جبل أصفى هواء ولا أغذى من النجف
حفت ببرٍ وبحرٍ من جوانبها فالبر في طرف والبحر في طرف[4]

وكان المغني حنين يتباهى بمسكنه بالنجف ويقول:

أنا حنين ومنزلي النجف وما نديمي إلا الفتى القصف[5]

ولجمال المنطقة وطبيعتها الخلابة وعذوبة هوائها ومائها وسحرها وإغراءاتها الكثيرة وما يتوافر فيها من الخيرات والحيوانات البرية كأنواع الأنعام والغزلان والأسماك والطيور على اختلاف أشكالها وألوانها وما يصدر عنها من أصوات وألحان طبيعية، وبما يمكن أن يفرز صيدها وقنصها من متعة ولذة، كل ذلك جعل المنطقة محط أنظار الناظرين والسياح، ومرتعًا خصبًا للنزهة واللهو واللعب، ولذلك انتشرت فيها المنازل والقصور والأديرة والملاهي التي امتلكها ملوك وأمراء وأعيان وأرباب الثروات، ومن الذين ابتنوا بيوتًا وقصورًا في منطقة

(1) المتقي الهندي، كنز العمال، ج14، ص76.
(2) الثعالبي، ثمار القلوب، ص183.
(3) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص169.
(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص284ـ285.
(5) المصدر نفسه، ج2، ص341.

النجف والحيرة، هم العباد، يذكر التاريخ أنهم ((انفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة))[1]، وكان في طليعة الذين ارتادوا المنطقة ملوك الحيرة وأمراؤها، يذكر التاريخ: عندما فرغ سنمار من بناء الخورنق للنعمان بن امرئ القيس: ((صعده النعمان على دابته، فنظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه، ورأى الحوت والضبّ والظبي والطير والظليم والنخل والزرع، فقال [النعمان]: ما رأيت مثل هذا البناء قط))[2].

ويذكر التاريخ أيضًا: ((فجلس (أي النعمان) ذات يوم في مجلسه من الخورنق فاشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق، والخورنق قصر بحذاء الفرات يدور عليه في عاقول كالخندق، فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار والزهر))[3]، وكذلك كان الخلفاء والأمراء في البلاد الإسلامية من بعد ملوك الحيرة، كانوا يرتادون منطقة النجف للنزهة والراحة، فقد ذكر المسعودي المتوفى سنة (346هـ) عند حديثة عن الحيرة وما جاورها: ((أيام المعتضد، فإنه استولى عليها (أي الحيرة) الخراب، وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس - كالسفاح والمنصور والرشيد، وغيرهم - ينزلونها ويَصِلون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها، وقرب الخورنق والنجف منها، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان...))[4]. وذكر ياقوت أن الرشيد كان يرتاد المنطقة، فقد أورد: ((خرجنا مع الرشيد إلى الحيرة وقد قصدناها للتنزه بها، ونرى آثار المنذر، فدخل دير هند الصغرى فرأى آثار قبر النعمان وقبرها إلى جنبه))[5]. وكل ذلك دلائل على كون المنطقة سياحية جميلة وذات مناظر طبيعية خلابة.

ثالثاً: النجف الموقع الحضاري والمحطة المرورية

حظيت النجف ومنطقتها الممتدة إلى مملكة الحيرة والكوفة وما بعدهما بموقع القلب والمركز بين حضارات تاريخية مهمة في العالم القديم، فقد أحاطها التاريخ من كل جوانبها ودفعتها الجغرافية شامخة عالية بين تلك الحضارات القديمة.

فالنجف - في الحقيقة - منطقة حضارية قديمة ضمن حضارات العراق القديمة الأولى، فكما يتكون العراق القديم من الحضارات العريقة الشهيرة في التاريخ البشري، كحضارة

(1) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص144.
(2) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص212. والمنتظم لابن الجوزي، ج2، ص91.
(3) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص213.
(4) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص104.
(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص542.

السومريين أقدم حضارات العالم القديم، قامت في جنوب العراق منذ نحو ستة آلاف سنة، وحضارة مملكة بابل الشهيرة التي قامت في وسط العراق (منطقة الحلة الحالية)، وحضارة مملكة آشور في شمال العراق، فكما احتلت هذه الحضارات القديمة أركان العراق المختلفة، احتلت كذلك مملكة الحيرة جزءًا من هذه الأركان، فقد قامت هذه المملكة وحضارتها التي انتشرت في منطقة النجف جنوب مملكة بابل الشهيرة.

ونحن لا نشك أن حضارة الحيرة ورثت من كل تلك الحضارات، لأن الجميع ضمن منطقة واحدة هي العراق، وخاصة من المملكة البابلية القريبة من الحيرة، أو بالأصح هي ضمن المنطقة منطقة النجف. وقد وفَّرَ هذا الميراث الحضاري والموقع الإستراتيجي بين عدد من الحضارات العراقية القديمة منطقة أو محطة مرورية مهمة ومتميزة عما جاورها من أماكن ومواقع، فهي واقعة على طريق الحج الذاهب إلى الحجاز والجزيرة العربية، فموقع النجف وطبيعة أرضها الطيبة جعل منها محطة استراحة واستجمام لمن يريد الذهاب إلى الحجاز والجزيرة العربية أو غيرها، فكثيرًا ما تتوقف القوافل العابرة على أرض النجف لتتزود من خيراتها المادية والمعنوية فبالإضافة إلى كونها منطقة سياحية ومحل استجمام وراحة للملوك والأفراد والأعيان، وخاصة لأهل المنطقة من ملوك الحيرة وأمرائها وكبارها، إضافة إلى ذلك كانت مكانًا ومحلًا مناسبًا لاستراحة المسافر القادم من مكان بعيد أو قريب.

وقد أورد لنا التاريخ أسماء شخصيات كبيرة ومهمة مرّت على منطقة النجف مرورًا عابرًا أو توقفت فيها أيامًا، ثم واصلت مسيرتها وسفرها، ومن أشهر الذين مرّوا أو توقفوا في منطقة النجف أو نقطة من نقاطها أو بقعة من بقاعها كبانقيا هو خليل الله النبي إبراهيم(ع)، فحين خرج من كوثا متجهًا نحو الشام مرّ بالنجف ورأى علامات وكان يقرؤها في الكتب، وقد ذكرنا آنفًا: ((إن إبراهيم خليل الرحمن خرج من كوثى مهاجرًا إلى الله عز وجل على حمار، ومعه ابن أخيه لوط يسوق غنمًا ويحمل دلوًا على عنقه حتى نزل بانقيا، وكان بها قرية طولها اثنا عشر فرسخًا وكانوا يزلزلون كل ليلة فلما باتَ بها إبراهيم لم يزلزلوا تلك الليلة... ثم خرج نحو الشام فمر بالنجف فرأى فيه علامات وكان يقرؤها في الكتب، فقال: لمن هذا الجبل؟ فقالوا: لأهل القرية التي بِتَّ فيها - يعنون بانقيا - فأتاهم إبراهيم فظنوا أنه أتاهم للذي عرضوا عليه، فقال: بيعوني أرضكم هذه - يعني ظهر الكوفة - فقالوا هي لك ما ملكنا أرضًا هي أقل خيرًا منها، ما تنبت رعيًا ولا لنا فيها منفعة فاشتراها منهم بغنمه))[1].

ومن أولئك الذين مرّوا على النجف شُريح القاضي المتوفى سنة (78هـ)، فقد ورد: ((خرج

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص220.

شُريح إلى مكة فشيعه قوم فانصرف بعضهم من النجف بعد السفرة، ومضى معه قوم، فلما أرادوا أن يودعوه قال: أمّا أصحاب النجف فقد قضينا حقهم بالطعام وأما أنتم فأُغَنِّيكم))[1]. ومن الذين مرّوا على النجف الخليفة أبو جعفر المنصور المتوفى سنة (158ه) فقد ورد في التاريخ: ((قال: أنا عازم على الحج، فهيأنا له آلة الحج، فخرج وخرجنا، حتى إذا انتهى إلى الكوفة نزل النجف فأقام أيامًا ثم أمر بالرحيل))[2].

وكذلك الخليفة هشام بن عبد الملك المتوفى سنة (125ه)، فقد: ((حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي، فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامر له، وعليه قلنسوة طويلة، فلما مرّ هشام عرض له، فقال من هذا؟ فقيل: حنين، فأمر به فحمل في محمل على جمل وعديله زامره وسير به أمامه وهو يتغنى:

أمن سلمى بظهر الكو فة الآيات والطلل
يلوح كما تلوح على جنون الصيقل والخلل

... فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف فأمر له بمئتي دينار))[3]، وعن بشر بن الحارث قال: ((كان أبو جعفر الرازي صديقًا لسفيان الثوري المتوفى سنة (161ه) وكان له معه بضاعة، وكان يكثر الحج، فكان إذا قدم الكوفة تلقاه سفيان من القنطرة، فإذا خرج إلى مكة شيعة إلى النجف))[4]. وفي سنة (236ه) ((حج محمد المنتصر وأقام للناس الحج وحجت معه جدته شجاع أم المتوكل فشيعها المتوكل إلى النجف))[5]. وفي التعريف بالنجف ذكر المطرزي في مغربه قول القدوري: ((كان الأسود إذا حج قصَّر من النجف وعلقمة من القادسية))[6].

رابعاً: النجف الموقع التاريخي المقدس

ومن أهمية أرض النجف، ومن خصائص منطقة النجف أو نقطة محددة من هذه المنطقة أو الأرض، ورد ما يشير إلى أن هذه الأرض أو النقطة هي مكان غير عادي، هي موقع مقدس ذا شأن ديني وغيبي مُشرف متميز عن غيره من الأماكن والمواقع العراقية، هكذا ذكر عدد

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص91.
(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج8، ص220.
(3) لأبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص342_343.
(4) ابن الجوزي، لمنتظم، ج8، ص260. البغدادي، وتاريخ مدينة السلام، ج12، ص464.
(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص238.
(6) المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب، ج2، ص202.

من المصادر التراثية الحديثية والتاريخية. فقد ورد في عدد من الروايات والأخبار ما يشير إلى أن منطقة النجف أو جزءًا منها هي مقرّ أو مثوى أو مَمرَ لعدد من الأنبياء والمرسلين الأوائل، ومن بينهم: النبي الأول آدم والنبي نوح والنبي إبراهيم وآخرون غيرهم عليهم السلام جميعًا.

فقد جاء في عدد من الروايات والأخبار أن منطقة النجف ضمت جسد أبينا الأول آدم(ع) وجسد أبينا الثاني نوح(ع): فقد ورد عن الإمام الصادق(ع): ((وإذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب(ع) فإنك زائر الآباء الأولين ومحمد خاتم النبيين...))[1]، وحين تحدث ابن بطوطة عن المرقد الشريف في النجف قال: ((وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل، مسمرة بمسامير الفضة. قد عُليت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة. وفوقها ثلاثة من القبور، يزعمون أن أحدها قبر آدم(ع)، والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام والثالث قبر علي رضي الله تعالى عنه))[2]، وضَمت النجف أيضًا جسد النبي هود والنبي صالح(عليهم السلام) على ما يروى فقد: ورد أن الإمام أمير المؤمنين عليًا قال لابنه الحسن: ((فإذا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخوي هود وصالح))[3].

ومما يدل على قدسية أرض النجف، أن الناس كان يدفنون موتاهم في قرية بانقيا التي تقع ضمن منطقة النجف[4]. وحين مرّ النبي إبراهيم(ع) ببانقيا أشار إلى أرض النجف بقوله: ((يحشر من ولده (أي ولد إبراهيم) في ذلك الظهر سبعون ألف شهيد))[5]، وقريب من هذه الرواية ما ورد عن شراء الإمام علي(ع) ((ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم، وأشهد على شرائه، قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال، وليس تنبت خطًا؟ فقال: سمعتُ من رسول الله(ﷺ) يقول: كوفان كوفان يرد أوّلها على آخرها، يحشر من ظهرها سبعون ألفًا، يدخلون الجنة بغير حساب، فأحببت أن يحشروا من ملكي))[6].

وهناك روايات أخرى تشير إلى قدسية هذه المنطقة، فمن ذلك ما يمكن أن يفهم منه أن النبي نوح(ع) كان يعيش في منطقة النجف أو ما جاورها، فقد ورد: ((أن مسجد الكوفة

(1) ابن طاووس، فرحة الغري، ص197.
(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص193.
(3) فرحة الغري، ص127.
(4) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص206.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص206.
(6) ابن طاووس، فرحة الغري، ص110.

بيت نوح، لو دخله رجل مئة مرة لكتب الله له مئة مغفرة لأن فيه دعوة نوح(ع)) حيث قال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا}[1]، وأن الجبل الذي اعتصم به ابن نوح هو النجف، ((فعن صفوان عن الصادق قال: سار وأنا معه في القادسية، حتى أشرف على النجف، فقال: هذا هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدّي نوح(ع)...))[2]، ومن ذلك تفسير الآية الشريفة: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[3] سئل الإمام الصادق(ع) عنها فقال: ((الربوة النجف والقرار المسجد والمعين الفرات))[4].

هذه روايات وأخبار ذكرتها المصادر الحديثية والتاريخية، ومن يرد المزيد من أمثالها فعليه البحث في المصادر التراثية المتوافرة وهي ليست قليلة، وإذا قُطع بها من خلال قراءة اسنادها ومتونها وتأكدت صحة مضامينها فيعني ذلك أن أرض النجف أو جزءًا معينًا من النجف كان مكانًا مقدسًا وعظيمًا قبل حلول الجسد الشريف للإمام أمير المؤمنين(ع)... ونحن نأمل أن تسهم الدراسات والاكتشافات في جلاء حقيقة أرض النجف المقدسة.

خامساً: النجف المنطقة الصحيّة ودار النقاهة

ولانفتاح منطقة النجف وامتداداتها إلى الحيرة من جانب وإلى منطقة الكوفة من جانب آخر، ونقاء جوها وعذوبة هوائها وشفافية طبيعتها، كانت المنطقة أقرب إلى المصحة الكبيرة ودار النقاهة قياسًا بالمدن والقرى التي كثيرًا ما تكون مزدحمة وذات هواء غير نقي.

ولهذه الأسباب كانت منطقة النجف ملجأً ومكانًا للمرضى والمحتاجين إلى جو خاص صاف نقي خالص من الشوائب. وقد أورد التاريخ نصوصًا من النثر والشعر، تشير من قريب أو بعيد إلى هذه المواصفات الصحية الممتازة وارتياد الناس وخاصة المرضى الموسورين المحتاجين إلى الراحة والاستجمام للتمتع بمزايا هذه المنطقة الصحية. حتى قيل في صحة المنطقة ونقائها:((يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة))[5]، وقد ورد في الشعر العربي ما يؤكد هذه المواصفات الصحية، قال الشاعر إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل أصفى هواء ولا أغذى من النجف[6]

(1) المصدر نفسه، ص245.
(2) المصدر نفسه، ص236.
(3) سورة المؤمنون، الآية: 50.
(4) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص370.
(5) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص216.
(6) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص285.

وأورد أبو الفرج الأصفهاني كلامًا حول صحة هواء المنطقة فقال: ((وكان بعض ولاة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلًا ظريفًا - أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام؟! قال: وبمَ تُمدْح؟ قال: ((بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها، تصلح للخُفّ والظلف، سهل وجبل وبادية وبستان وبر وبحر محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم))[1]. وقد أدرك الناس هذه المواصفات الصحية الممتازة المتوافرة في أرض النجف أو منطقة الظهر، فحين سأل يزدجرد عن مكان صحي لشفاء ابنه دلّوه على النجف، فقد ورد: ((أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مريءٍ صحيح من الأدواء والأسقام فدُّل على ظهر الحيرة))[2].

ولنقاء جو منطقة النجف وانفتاحها على الطبيعة وبعدها عن ازدحام الناس وتكدسها في المدن والقرى كان الناس والخاصة منهم يهربون من قراهم وأريافهم إلى منطقة النجف، فقد أورد التاريخ: ((وكان الملك منهم (أي من ملوك الحيرة) إذا مرض حمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف ينزهونه))[3]. وكان ((الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون ويهربون من الريف فينزلون البرية خوفًا من الطاعون))[4]، ويذكر أكثر من مصدر: هرب رجل من الطاعون إلى النجف أيام شريح فكتب إليه شريح: ((أما بعد فإن الفرار لن يبعد أجلًا ولن يكثر رزقًا. وإن المقام لن يقرب أجلًا، ولن يقلل رزقًا. وإن مَنْ بالنجف من ذي قدرة لقريب))[5].

سادساً: النجف الموقع العسكري الإستراتيجي

وإضافة إلى جمال منطقة النجف وطبيعتها الخلابة ونقاء هوائها وموقعها على طريق الحج باتجاه الحجاز والجزيرة العربية، احتلت المنطقة موقعًا عسكريًا إستراتيجيًا دار - قرْبه أو فيه - عدد من المعارك والحروب، فقد ذكرت لنا مصادر التاريخ الإسلامي أن منطقة النجف وفي أكثر من نقطة من نقاطها كانت محطة انطلاق لعدد من الفتوحات الإسلامية، كانت انطلاقًا لفتح عدد من مدن العراق، وفي مقدمتها مدينة الحيرة أو مملكة الحيرة الشهيرة والممتدة جغرافيًا إلى أرض النجف، إضافة إلى نقطة انطلاق إلى خارج العراق إلى بلاد فارس.

(1) المصدر نفسه، ج2، ص351.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص144. للطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص65.
(3) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة للإمام علي (ع)، مج10، ج20، ص365.
(4) أبو العباس المبرد، كتاب التعازي، ص217.
(5) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص203. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج3، ص193.

فحين أراد خالد بن الوليد فتح مدينة الحيرة كانت محطته الأولى منطقة النجف التي تقع الحيرة ضمنها، فحين أمره الخليفة أبو بكر السير إلى العراق ((نزل بقريات من السواد يقال لها بانِقْيا وباروسما وأليَّسْ فصالحه أهلها))[1]. وهي نقاط داخل منطقة النجف.

ثم ((قصد للحيرة واستلحق أصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف، فقدم خالد الخورنق وقد قطع الآزاذبة[2] الفرات هاربًا من غير قتال... وكان عسكره (أي الآزاذبة) بين الغريين والقصر الأبيض. ولما تتام أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزاذبة بين الغريين والقصر الأبيض))[3].

ومن هذا النص التاريخي نفهم أن منطقة النجف كانت محطة عسكرية ذات نقاط متعددة من محطات انطلاق المسلمين للفتح الإسلامي، ويؤكد هذه الأهمية العسكرية ما ذكر المؤرخ ابن كثير: ((ثم سار خالد فنزل الخورنق والسدير بالنجف وبث سراياه هاهنا وهاهنا يحاصرون الحصون من الحيرة ويستنزلون أهلها قسرًا وقهرًا وصلحًا ويسرًا))[4].

ومما يدل على أهمية المنطقة ومناسبتها العسكرية اختيار عمر بن الخطاب منطقة الكوفة الواقعة ضمن منطقة النجف ثكنة عسكرية للجيش الإسلامي، فقد ذكر المؤرخ البلاذري: ((إن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانًا))[5] ((وأن لا يجعل بينه (أي الخليفة) وبينهم (أي جيوش المسلمين) بحرًا فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلًا، فكثر على الناس الذباب فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح، فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل وأنزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وذلك في سنة (17هـ)))[6].

ويمكن معرفة بعض خصائص هذه المنطقة العسكرية (الكوفة) من خلال حديث عبد المسيح بن بقيلة أحد أبناء المنطقة، فقد ((أتى سعدًا وقال له: أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المباق فدل على موضع الكوفة اليوم))[7].

إذن لم يكن اختيار الكوفة مستقرًا للجند والناس دون حساب ودراسة، فهي أرض مرتفعة

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص343.
(2) المصدر نفسه، (الآزاذبة كان مرزبان الحيرة زمان كسرى إلى ذلك اليوم) ج3، ص359.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص360.
(4) ابن كثير، البداية والنهاية، مج3، ج6، ص318.
(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص387.
(6) المصدر نفسه، ص387.
(7) المصدر نفسه، ص388. وتاريخ الطبري، ج3، ص598.

عن المياه وتقع على حافة الصحراء كالجزيرة لا يفصل بينها وبين المدينة العاصمة مقر الخليفة ماء ولا جسر، وبذلك سهل الاتصال وإيصال المؤن والإمدادات العسكرية دون أي عائق، إضافة إلى طبيعة المنطقة الزراعية ذات الهواء النقي، كل تلك المواصفات تجعل من المنطقة مكانًا عسكريًا مناسبًا لأيّ انطلاق عسكري.

إضافة إلى ذلك تذكر لنا مصادر التراث الإسلامي مناطق أو أديرة دخل أو استقر فيها المحاربون وقياداتهم أثناء معاركهم في المنطقة. ومن ذلك (الجرعة) وهي مكان مشرف قرب القادسية وكان قد نزل فيه خالد في منطلقه إلى العراق[1] وعسكر فيه مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأشتر[2]. ونزل رستم في دَيْر الأعور[3]، وعسكر جرير بن عبد البجلي ومعه المثنى بن حارثة الشيباني بدير هند أثناء ذهابهم إلى الحيرة[4]، وتحصن عبد الرحمن الأشعب في دير الجماجم[5].

سابعاً: النجف منطقة صالحة للرصد الفلكي

ومن الخصائص والميزات الأخرى التي امتازت بها أرض النجف أو منطقة النجف أو مَعْلم النجف (والمَعْلم هو الجزء الأكثر ارتفاعًا في المنطقة) هو صلاحها وملاءمتها لإنشاء مرصد أو مراصد فلكية أو غير فلكية، لأغراض فلكية فضائية أو للمراقبة البرية والبحرية.

ولعلّ هذه الخصيصة أو الميّزة غريبة ومثيرة، لكن يمكن أن يكتشفها الباحث من خلال قراءة بعض الأبنية والتصميمات العمرانية والطبيعية الدينية، والأخبار الواردة عن تاريخ المنطقة (منطقة النجف)، ومن خلال قراءة المنطقة علميًا وفلكيًا ومعرفة شروط إقامة المراصد الفلكية يمكن القول بصلاح وأهلية هذه المنطقة للرصد الفلكي والفضائي.

فمن جانب، يتوافر في المنطقة أهم شرط لإقامة المرصد الفلكي (وهو الارتفاع) فأرض النجف (وخاصة مَعْلم النجف) مرتفعة عالية، وهو شرط أساسي لا شرط عادي لإقامة المرصد، ثم إن الغلاف الجوي الجاف وصفاءه وقلة بخار الماء فيه شرط آخر من شروط موقع المرصد،

(1) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص121.
(2) تاريخ الطبري، ج4، ص332.
(3) ابن قتيبة، الأخبار الطوال، ص119. تاريخ الطبري، ج3، ص508.
(4) الأخبار الطوال، ص110.
(5) الطبري، تاريخ الطبري، ج6، ص347.

والتاريخ كثيرًا ما يذكر لنا صفاء الجو ونقاءه، وقد ذكرنا آنفًا قول أبي الفرج الأصفهاني:((بصحة هوائها))[1]. ويؤكد هذا النقاء والصفاء قول الشاعر:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل أصفى هواء ولا أغذى من النجف[2]

هذا فضلاً عن كون المنطقة مفتوحة وذات مساحات شاسعة، إن هذه الشروط - وإن لم تكن كاملة متكاملة - فإنها تجعل الباحث يتصوَّر ويحتمل أنَّ بعض الأبنية يمكن أن تكون مراصد فلكية فعْلية أو استخدمت مراصد لرصد الشمس أو القمر أو النجوم وغيرها من الأجرام السماوية الممكنة الرصد.

ولم يغب هذا التفكير عن مهندسي أو بنّائي ذلك العصر وتلك المنطقة، فقد فكرَّ المهندس الرومي الشهير سنمّار في تكييف (قصر الخورنق) الذي أقامه ملوك الحيرة، وجعله يدور حول الشمس حيث دارت لو أعطاه الملك المؤسس ما يرضيه من المال. أورد البكري الأندلسي المتوفى سنة (487هـ) ذلك: ((فقال (أي سنمار) لو علمتُ أنكم تؤتوني أجري وتصنعون بي ما أنا أهله لبنيته بناءً يدور مع الشمس حيث دارت))[3]. وسنذكر القصة لاحقًا[4].

وهذا تفكير علمي حول فكرة المرصد الفلكي، فالقبة الفلكية Dome هي العنصر الأساسي في المرصد، وعادة ما تصمم لتدور إلى جميع الجهات لغرض رصد مختلف مناطق السماء[5]، وفي غياب معرفة الهدف الحقيقي من إنشاء الغريين الواقعين في أرض النجف قرب مرقد الإمام، والاختلاف في أصلهما وهدفهما، يحتمل أن يكونا قد استخدما مرصدًا أو مرصدين لأغراض دينية أو طقوسية أو عملية أو علمية.

إضافة إلى ذلك أورد التاريخ وجود منارة عالية بالحيرة أو منطقة النجف مقابل دير حنة، يقول الحموي: ((تقابله (أي الدير) منارة عالية كالمرقب تسمى القائم))[6] فهل كانت هذه المنارة مسلّة: نصبًا، عمودًا عاليًا، أو مرصدًا فعليًا أو شيئًا آخر استخدم لأغراض الرَصد العام أو الرصد الفلكي. وقد عَدَّ الباحثون (ستونهينج Stonehenge)، وهي أحجار قائمة

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص351.
(2) المصدر نفسه، ج9، ص285.
(3) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص142.
(4) سوف يرد الحديث عن الموضوع المذكور في الفصل السادس المعنون (قصور منطقة النجف) وفي القسم الخاص بقصر الخورنق خصوصاً.
(5) عبد الأمير المؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص363.
(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص507.

في سهل سالزبوري بانجلترا قبل نحو 4000 سنة، نوعًا من المراصد الفلكية لمتابعة حركة الشمس[1].

وإن الزقورات المنتشرة في بلاد الرافدين هي نوع من المراصد الفلكية يرصد الكهنة من خلالها السماء والنجوم[2]. ويذكر سبتينوموسكاني: ((وكان للبابليين منذ أقدم العصور مراصد حقيقية مقامة على رؤوس أبراج المعابد))[3] ولعلّ بعض القصور العالية والقبب المنتشرة في المنطقة استخدمت للرصد، فلماذا لا نحتمل أن تكون بعض الأبنية الواقعة في الأماكن المرتفعة نوعًا من المراصد الفلكية أو غير الفلكية، والأسباب العلمية والدينية للرصد قائمة، وهي صلاح المنطقة (منطقة النجف) علميًا ودينيًا[4]؟!

(1) عبد الأمير المؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، ص247.

(2) المصدر نفسه، ص230.

(3) سبتينوموسكاني، الحضارات السامية القديمة، ص79.

(4) للمزيد عن المراصد انظر: كتابنا: المراصد والآلات الفلكية، قراءة في التكنولوجيا الفلكية الإسلامية، نشر العارف للمطبوعات.

الفصل الرابع

النجف منطقة دينية

- **اولاً: منطقة نصرانية بامتياز**
- **ثانياً: الحيرة الأم (النصرانية)**
- **ثالثاً: نجف الحيرة (النصرانية)**
- **رابعاً: عاقولاء الحيرة (النصرانية)**

اولاً: منطقة نصرانية بامتياز

ذكرنا في فصل سابق أن عددًا من الروايات والأحاديث الدينية أشارت أو ذكرت أنَّ النجف - المنطقة أو الموضع - كانت محل اهتمام عدد من الأنبياء، كالنبي نوح والنبي إبراهيم(ع). وكانت المنطقة أو جزء منها مرقدًا لأبينا آدم والنبي نوح والنبي هود والنبي صالح(ع)، وإذا تجاوزنا الروايات والأخبار الدينية إلى ما أوردت مصادر التاريخ والجغرافية من أخبار وأحداث ومجريات شهدتها المنطقة (منطقة النجف) سنعرف أن هذه الأرض أو المنطقة كانت في الحقيقة منطقة دينية قديمة، منطقة نصرانية بامتياز، إضافة إلى ما احتوت من محتويات ومكونات أخرى غير دينية.

ونقطة البداية في هذه الحقيقة التاريخية (حقيقة النجف منطقة دينية) هي مملكة الحيرة التي تنصَّر ملوكها ليمتد الدين النصراني بامتداد هذه المملكة التي شمل امتدادها أرض النجف وأرض الكوفة - عاقولاء، قبل تمصيرها مدينة إسلامية، وقرى ومعالم ومواضع في المنطقة وبين ثناياها وأطرافها لتصبح في النهاية منطقة نصرانية واحدة في الدرجة الأولى، إضافة إلى وجود ديانات أخرى بين ثنايا النصرانية.

وهذه الوحدة النصرانية الواحدة في المنطقة، في العصر الجاهلي، لا تجعل للمثلث

الحضاري التاريخي (النجف، الحيرة، الكوفة)[1] معنى في ذلك العصر عصر ما قبل الإسلام، ولذلك لا يمكن الحديث عن مثلث حضاري تاريخي مكون من ثلاث نقاط حضارية واضحة، من الحيرة والنجف والكوفة، لا يمكن ذلك في العصر الجاهلي، لأن الأخيرتين (النجف والكوفة) لم تكونا نقطتين حضاريتين أو مستقلتين أو مدينتين. وكان ذلك المثلث بعد سيادة الدين الإسلامي الحنيف وانتشاره في المنطقة والعالم أو أجزاء من العالم.

وعوضًا عن الحديث عن مثلث حضاري تاريخي للمنطقة سيكون الحديث عن مملكة الحيرة الحضارية النصرانية، وهي مملكة لها كيان سياسي وحضاري وديني حقيقي على الأرض، وسيكون الحديث أيضًا عن امتدادات هذه المملكة، البشرية والحضارية والدينية في المنطقة التي تلاصقها أو القريبة منها أو المجاورة لها، وخاصة أرض النجف وأرض الكوفة. ومن هذه المملكة وامتداداتها الجغرافية ووحدتها البشرية والدينية يمكن الحديث عن (المنطقة الدينية النصرانية) التي أطلقنا عليها (منطقة النجف)، موضوع هذا الفصل.

فالمنطقة أو منطقة النجف هي أصل نصراني أساسي واحد تتبعه امتدادات نصرانية هنا وهناك، مواضع ومعالم وقرى تقع ضمن المنطقة. وإذا ما قرأنا في هذا الفصل الواحدة منفصلة عن الأخرى (أي الحيرة على حدة، والنجف على حدة والكوفة على حدة) فلغرض منهجي توضيحي، وإلا لا انفصال ولا تفكيك بين الواحدة والأخرى في ذلك التاريخ القديم في زمن لم يقنن فيه ترسيم الحدود ولا الفواصل الجغرافية.

وفي البداية، بداية تاريخ منطقة النجف، لم تكن المنطقة دينية، لا حنفية إبراهيمية، ولا يهودية موسوية، ولا نصرانية عيسوية ولا حتى وثنية صنمية، ولا نعرف ماذا كان سائدًا فيها ومن فيها وما دينها؟ وكل ما نعرف عنها: منطقة جغرافية طبيعية، عرفنا ذلك من معالمها الجغرافية البارزة، معلم النجف الطبيعي الذي أخذ اسمه من الطبيعة المرتفعة، ومن بحرها الشهير بحر النجف، ومن برها وصحاريها ومن شط الفرات الواقع على أرض الكوفة التي لم تكن بعد قد أنشئت.

كانت أرض النجف ومنطقة النجف ولم تكن الحيرة أصلًا، ولم تكن مدينة الكوفة أصلًا أيضًا، وقد أتينا على ذلك في فصل سابق. ثم أُنشِئت الحيرة لتركب على النجف كما ورد في

(1) ورد هذا المصطلح أو التعبير في كتاب (النجف الأشرف، إسهامات في الحضارة الإنسانية)، ج1، ص248. وفي كتاب د. حسن الحكيم، (المفصل في تاريخ النجف الأشرف)، ج1، ص16. وفي مراجع أخرى.

الوثائق التاريخية يقول اليعقوبي: ((والحيرة على النجف))[1] لتقوم بعد ذلك على أنقاض الحيرة النصرانية مدينة الكوفة الإسلامية، ثم النجف مقبرة للكوفة، ثم تحتضن مرقد الإمام علي(ع) ثم مدينة النجف الأشرف، وبقيام مدينة الكوفة والنجف في المنطقة ابتدأ التاريخ الإسلامي وساد الدين الإسلامي الحنيف في منطقة النجف. وانتهى عموم التاريخ النصراني، والديانة النصرانية، وإن بقي شيء منها هنا وهناك وسنأتي على ذلك لاحقًا.

وفي العصر الجاهلي كانت مملكة الحيرة هي سيدة المنطقة، منطقة النجف، في وقت لم تكن الكوفة مدينة ولا النجف، وإنما كانت ضمن مملكة الحيرة خاصة وضمن منطقة النجف عامة، كما أشرنا آنفًا.

وقد بسطت مملكة الحيرة سيادتها الحضارية والسياسية والدينية كاملة على المنطقة، وكان الدين الأساس المنتشر في امتداد المنطقة هو الدين النصراني مع وجود ديانات ومذاهب دينية أخرى متنوعة كاليهودية والزرادشتية والمزدكية والوثنية وغيرها مما كان سائدًا في ذلك الزمان.

وقد تَسرَّب الدين النصراني وانتشر في مدينة الحيرة ومنطقة النجف من خلال حكام الحيرة وأمرائها الذين تنصروا ونشروا الدين النصراني في المنطقة من خلال قصورهم وأديرتهم وكنائسهم وبيعهم وأماكنهم العبادية المختلفة الأخرى المنتشرة على امتداد المنطقة. وحين يكون الملك أو الملوك أو الأمراء نصارى فَعملية التبشير والتنصير وانتشار الدين الذي ينتمون إليه، ستكون العملية سريعة وقوية وواسعة (والناس على دين ملوكهم) كما في القول المأثور والواقع المشاهد.

لقد كان ملوك الحيرة وأمراؤها يرتادون منطقة النجف للتنزه والعبادة والتأمل أحينًا، ويمكن أن نذكر في هذا الصدد (في التأمل) ما ورد في التاريخ والأدب عن الملك النعمان أثناء ذهابه لمنطقة النجف، يذكر ابن الفقيه: ((فجلس (أي النعمان) ذات يوم في مجلسه من الخورنق فأشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخيل والجنان والأنهار مما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق، والخورنق قصر بحذاء الفرات، يدور عليه في عاقول كالخندق فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار والزهر، فقال لوزيره: رأيت مثل هذا المنظر؟ قال: لا، لو كان يدوم. قال: ما الذي يدوم؟ قال: ما عند الله في الآخرة. قال: فبم يُنال؟ قال: بتركك الدنيا وتعبد الله، وتلتمس ما عنده، فترك ملكه من ليلته ولبس مسوحه وخرج هاربًا لا يعلم

(1) اليعقوبي، البلدان، ص146.

به أحد، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله فحضروا بابه فلم يؤذن لهم ثلاثة أيام، فلما أبطأ الإذن سألوا عنه فلم يجدوه، ففي ذلك يقول عدي بن زيد:

وتبين ربّ الخورنقِ إذ أشر ... رفَ يومًا وللهدى تفكير
سرّه حاله وكثرة ما يَمْـ ... ـلِكُ والبحر مُعرِضًا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غِبـ ... ـطةُ حيّ إلى الممات يصير
ثم صاروا كأنهم ورق جـ ... ـفَّ فألوت به الصبا والدبور[1]

وما ورد في التاريخ والأدب أيضًا عن هند بنت النعمان (هند الصغرى)، فعندما تركت الحياة وبهارج الدنيا، وترهبت ولبست المسوح وأعدت نفسها لعبادة الله تعالى، انطلقت إلى منطقة النجف وبنت لها ديرًا مشهورًا في التاريخ لتتعبد فيه. يذكر ابن الفرج الأصفهاني: ((فلما حبس كسرى النعمان الأصغر أباها ومات في حبسه ترهبت هند ولبست المسوح وأقامت في ديرها مترهبة حتى ماتت فدفنت فيه))[2]، وحكي أن النعمان كان يصلي فيه (في دير هند) ويتقرب فيه وأنه ((علق في هيكله خمسمئة قنديل من ذهب وفضة))[3].

إن وجود النعمان في قصره بمنطقة النجف وتأمله فيما حوله من مخلوقات وأشياء جميلة من صنع الله تعالى ثم هيامه على وجهه في صحاريها وأراضيها متجهًا إلى المطلق تعالى، وانطلاق هند بنت النعمان إلى منطقة النجف لبناء دير نصراني تتعبد فيه وتخلص إلى ربها، ووجود عدد كبير من الأديرة والكنائس والبيع والأماكن العبادية الأخرى والمستلزمات اللازمة الأخرى للعبادة، كل ذلك يوفرّ دليلًا على أن المنطقة هي منطقة دينية نصرانية، يلجأ إليها كثير من عباد الله لعبادة ربهم.

وإذا عرفنا أن النصارى عادة ما يختارون لأديرتهم وكنائسهم وبيعهم وأماكن عباداتهم مواقع ذات مواصفات طبيعية طيبة كالأراضي الزراعية والمائية الجميلة وأحيانًا يختارون أماكن عالية لإنفراد الرهبان في قلل الجبال والتلال، وهي تضاريس وأجواء متوافرة في

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص213. اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص180. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص245.

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص135. وانظر دير هند الصغرى ضمن الفصل الخامس (أديرة منطقة النجف).

(3) كوركيس عواد، الديارات، الشابشتي، الذيل، ص389.

منطقة النجف (الحيرة والنجف والكوفة-عاقولا) وامتداداتها[1]، إذا عرفنا ذلك أدركنا كم كانت المنطقة مناسبة لدين ملوك الحيرة النصراني.

ثانياً: الحيرة الأم (النصرانية)

كان النجف (المَعْلَم الجغرافي الشهير) وكان البحر (بحر النجف) محاذيًا للجانب الغربي والجنوبي من النجف، ولم تكن الحيرة أصلًا، ثم أنشئت الحيرة المدينة والمملكة على النجف، والأصح على منطقة النجف أو بحر النجف كما يذكر التاريخ ((والحيرة على النجف))[2]، كان ذلك في القرون التي سبقت ميلاد السيد المسيح(ع).

فأخذت مدينة أو مملكة الحيرة بريق المنطقة، وحظيت بشرف المركز لتنطلق منها الحضارة والدين إلى المناطق المجاورة خاصة ومنطقة النجف عامة. وتاريخ مدينة الحيرة ومملكتها في القرون القديمة غامض وغير واضح على عمومه، سواء على مستوى ما ورد في مصادر التاريخ العربي والإسلامي، أو على مستوى ما وفرته الاكتشافات والتنقيبات الآثارية الحديثة من معلومات وإثارات تاريخية عن هذه المملكة القديمة.

فعلى مستوى مصادر التاريخ العربي والإسلامي، يعدّ هشام بن الكلبي الكوفي المتوفى نحو سنة (204هـ) من أكثر من اهتم بالحيرة ومنطقتها. حيث وردت في قائمة مؤلفاته أسماء أربعة مؤلفات له تدور حول الحيرة[3] إلا إنها لم تصل إلينا، ولكن ورد بعضٌ من كتاباته حول الحيرة من خلال مصادر التراث العربي الإسلامي وكتابات ومعلومات أخرى عن الحيرة ضمن المصادر العربية المشهورة كتاريخ اليعقوبي والطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرها، ولم تصلنا مادة حيريّة قديمة جاهلية قبل تدوين هذه المصادر. ومجمل ما ورد إلينا من تلك المصادر لا يُمكن الاعتماد عليه اعتمادًا تامًا.

أمّا من خلال الاكتشافات والتنقيبات الآثارية فمحدودة وضئيلة إلى حد كبير فهي لا تعدو نقوشًا من الجبس مما تكسى به الجدر للزينة وعددًا من الجرار وآثارًا أخرى قليلة بعضها من العصر الجاهلي[4]، وإذا ما رجعنا إلى ما توافر لدينا من معلومات تاريخية حول بداية الحيرة،

(1) انظر: الشابشتي، الديارات، ص49، وسنأتي على ذلك لاحقًا.
(2) اليعقوبي، البلدان، ص146.
(3) من مؤلفات ابن الكلبي التي تتعلق بالحيرة: 1. الحيرة، 2. كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباد، 3. كتاب المنذر ملك العرب، 4. كتاب عدي بن زيد. لابن النديم، الفهرست، ص109ـ110.
(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص160.

فنجد أن المؤرخين يرجعون تاريخ مدينة الحيرة إلى زمن الملك البابلي نبوخذ نصّر (605-562 ق.م) على وفق رواية تاريخية أوردها الطبري في تاريخه يقول: ((فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها، فجمع من ظفر به منهم، فبنى لهم حيرًا[1] على النجف وحصّنه، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرسًا وحفظة))[2].

في حين يرى آخرون أن إنشاء مدينة الحيرة يرجع إلى (الأردوان) ملك الأنباط الذي ذكره ياقوت الحموي بقوله:((فبنى الأردوان (ملك النبط) حيرًا فأنزله من أعانه من العرب فسمى ذلك الحير الحيرة))[3]. وهناك من يرى أن الحيرة من إنشاء (تبع أبي كرب) فذكر البكري: ((سار تبع أبو كرب في غزوته الثانية، فلما أتى وضع الحيرة، خلّف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله، وتخلّف معه من ثقُلَ من أصحابه، في نحو اثني عشر ألفًا، وقال تحيروا هذا الموضع، فسمى الموضع الحيرة))[4].

وليس من شك أن مدينة الحيرة من المدن القديمة المهمة، وإن لم نعْرف امتداد هذا القدم في التاريخ، يقول د. جواد علي: ((وتاريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا نكاد نعرف من أمره شيئًا، فلم يرد خبرها في نص تاريخي مدون أو كتابة مدونة قبل الميلاد))[5]. لكنه في النتيجة يذهب إلى القول: إن أقدم ما وصل إلينا عن الحيرة هو كتابة ترجع إلى سنة (132م) ورد فيها ذكر المدينة باسم (حيرتا)، فإذا كان اسم (حيرتا) هذا هو (الحيرة) المدينة القديمة حقًا فأقدم ما نعرفه يعود إلى سنة (132م)[6].

وحين يذكر التاريخ الحيرة يذكرها مدينة قديمة، ويذكر ملوكها العرب وتعاقبهم على المملكة وشيئًا من سيرهم وخراب مملكتهم وقيام مدينة الكوفة على ظهرها، يقول ابن خلكان في وفياته: والحيرة ((مدينة قديمة كانت لبني المنذر ومَنْ تقدمهم من ملوك العرب مثل عمرو بن عدي اللخمي، وهو جد بني المنذر ومن بعده من أبنائه، وكانت من قبل عمرو لخاله جذيمة الابرش الأزدي صاحب الزباء، وخربت الحيرة وبنيت الكوفة في الإسلام على

(1) بن منظور، لسان العرب، ((الحَيرْ بالفتح شبه الحظيرة أو الحمى)) ج4، ص226.
(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص558.
(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص329.
(4) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص109.
(5) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص3، ص160.
(6) المصدر نفسه، ج3، ص157.

ظهرها سنة (سبع عشرة للهجرة))[1]. ويقول أيضًا: ((والحيرة بينها وبين الكوفة، كانت منزل آل النعمان بن المنذر ملوك العرب))[2].

ومن مصادر التراث العربي والإسلامي تجد مواصفات عالية وجميلة للمدينة ومناخها وطيبة أرضها وأنهارها، ومن ذلك ما يقول البكري: ((وكان مكان الحيرة من أطيب البلاد، وأرقه هواء وأخفه ماء وأعذاه تربة، وأصفاه جوًا، قد تعالى عن عمق الأرياف، واتضع عن حزونة الغائط، واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام، لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرهما))[3].

ويتحدث المسعودي في مروجه عن الحيرة كيف كانت وما آلت إليه يقول: ((ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا إلى صدر من أيام المعتضد، فإنه استولى عليها الخراب، وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس - كالسفاح، والمنصور والرشيد، وغيرهم - ينزلونها ويَصِلون المقام بها لطيب هوائها، وصفاء جوهرها، وصحة تربتها، وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها جنان، فلحقوا بغيرها من البلاد، لتداعي الخراب إليها، واقفرت من كل أنيس في هذا الوقت ليس بها إلا الصدى والبوم، وعند كثير من أهل الدراية التامة بما يحدث في المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران، وأن هذا النحس عنها سيزول، وكذلك الكوفة))[4].

والخلاصة: لا يمكن الاعتماد على المعلومات والأخبار التي تتحدث عن تاريخ الحيرة القديم (قبل الإسلام)، ولا سبيل إلى إثباته على كثرة ما يرويه الأخباريون، فهو لا يخلو من اضطراب ومن تناقض كما يقول الباحث د. جواد علي[5]. كما أن التنقيبات الآثارية لم توفر لنا معلومات تؤيد هذا التاريخ المتأخر عن نشأتها (الحيرة).

أما تاريخ الحيرة بعد الإسلام، وفي زمن الدولة العباسية خاصة، فقد تتالت أخبارها في مصادر التراث العربي والإسلامي، فذكرت بناءها وخرابها وارتياد الخلفاء والأمراء لرياضها الجميلة ورواباها الخضراء[6]، وبعد خرابها نقلت حجارتها إلى مدينة الكوفة الإسلامية الجديدة لبناء بعض مرافقها[7].

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص206.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص229.
(3) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص110.
(4) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص104ـ105.
(5) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب، ج3، ص162.
(6) انظر ما قاله المسعودي في ذلك، ج2، ص104.
(7) الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص45 و46.

ولا شك أن أهمية مدينة الحيرة تأتي من خلال موقعها الجغرافي المناسب، فالمدينة على ملتقى أهم الطرق التجارية البريّة التي تربط بين الجزيرة العربية ووادي الرافدين من جانب، وبين وادي الرافدين وبلاد الشام من جانب آخر، إضافة إلى وقوعها قريبًا من مدينة بابل التاريخية، وبالقرب من المناطق الزراعية ومنطقة السواد قرب نهر الفرات (غرب الفرات خاصة)، وتأتي أهميتها أيضًا من خلال نشوء مملكة المناذرة الشهيرة الذين اتخذوا الحيرة عاصمة لهم، لتحتضن هذه المدينة كيانهم السياسي والاجتماعي والديني والاقتصادي والثقافي، ولتمتد إلى ما جاورها من مناطق ومواضع.

أما أهميتها الأدبية والثقافية فتأتي من خلال كونها مقرًا لملوك وأمراء عرب شجعوا الأدباء والشعراء ورفعوا من أقدارهم، بغية مدحهم والثناء عليهم، يذكر اليعقوبي تعظيم ملوك الحيرة للشعراء بقوله: ((وكانت الملوك تعظم الشعراء وترفع أقدارهم لما يبقون لهم من المدح والذكر، فكان النابغة مقدمًا عند ملوكهم))[1]. ((وإضافة إلى النابغة كان عدي بن زيد العبادي وكان خطيبًا شاعرًا قد كتب العربية والفارسية))[2].

ومن اهتمامهم بالأدب والشعر كانوا يجمعون الشعر ويدفنونه تحت الأرض ((فَعن حماد الراوية قال: أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج - قال: وهي الكراريس - ثم دفنها في قصره الأبيض. فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له: إن تحت القصر كنزًا، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار))[3].

وفي الجانب الديني كانت مملكة الحيرة ملتقى لديانات متنوعة، كان فيها الديانة الوثنية والمانوية والمزدكية والمسيحية واليهودية، وحفلت بمراكز العبادة والمعابد والأديرة والكنائس وأماكن العبادة الأخرى.

ويذكر التاريخ أن سكان الحيرة الأول عبدوا الأصنام، ومن الأصنام التي وردت في تاريخ الحيرة اللات، والعزى والضيزنان وسبد ومحرف. ويذكر اليعقوبي: ((ثم أقبل جذيمة الأبرش فتكهن وعمل صنمين يقال لهما الضيزنان فاستهوى أحياء من أحياء العرب...))[4]. ويقول ابن سعيد الأندلسي: ((ومكانهما بالحيرة معروف وكان يُستسقى بهما ويستنصر بهما على

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص181.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص182.
(3) عثمان بن جني، الخصائص، ج1، ص387.
(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص178.

العدو))[1]. ويذكر الأصفهاني في أغانيه صنمًا آخر كان لأهل الحيرة يعرف بـ((سبد))[2]. ويذكر أيضًا أن المنذر بن النعمان كان يقول: ((لا واللات والعزى))[3]. ثم تنصر ملوك الحيرة، وقد اضطربت روايات المؤرخين في تنصرهم هذا، ويذكر التاريخ أن الملك امرؤ القيس البدء هو أول من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة[4] ثم انتشرت وسادت النصرانية في مملكة الحيرة في حدود القرن الرابع الميلادي، وكان الحيريون منذ ذلك التاريخ على اتصال مع المبشرين المسيحيين[5].

وكان معظم نصارى الحيرة من النساطرة[6]، ووجدوا من الفرس تشجيعًا لهم نكاية بالروم. وقد كانت الحيرة من المراكز الهامة في حركة التبْشير بالنصرانية بين العرب، ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين إلى اليمن والأجزاء الأخرى من جزيرة العرب، وفيها انعقد مجمع (دار يشوع) في سنة (424م) وفي هذه المدينة توفي الجاثليق (دار يشوع) ودفن فيها))[7]، وفي الحديث عن النصرانية في الحيرة يبرز اسم العباد أغلبية مسيحية واضحة داخل الحيرة وخارجها، والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانية[8]، ويذكر القفطي وابن العبري أنهم ((انفردوا عن الناس في قصور ابتنوها لأنفسهم بظاهر الحيرة وتدينوا بدين النصرانية))[9].

وثقافة العباد عربية مطعمة بالسريانية والفارسية، لغتهم العربية مشوبة برطانة أرامية سريانية نبطية، والسريانية لغة كنيستهم وطقوسهم وكانوا يتقنونها منذ الصغر[10]، ومن هذه النصوص التاريخية وغيرها مما ورد في التراث نعرف أن ثقافة أهل الحيرة وديانتها لم تقتصر على مدينة الحيرة ومملكتها وإنما سادت خارجها كما يشير القفطي وابن العبري المذكوران وغيرهم.

ومن المنطقي جدًا أن تستطيع مملكة الحيرة الشهيرة أن تتوسع وتمتد إلى خارج

(1) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج1، ص68.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص104.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص104.
(4) الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص53. وتاريخ ابن خلدون، ج2، ص315.
(5) سهيل قاشا، نصارى العراق، ص287.
(6) وكان إلى جانب النساطرة من يؤمن بالمذهب التوحيدي لطبيعة المسيح (ع).
(7) جورج قنواتي، المسيحية والحضارة الإسلامية، ص57.
(8) ابن دريد، الاشتقاق، ص11.
(9) القِفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص119. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص144.
(10) موسى مخول، الحضارة السريانية، ص543.

المملكة، فالمملكة نصرانية وتبحث عن أماكن لنشر دينها، والدليل يأتي من خلال انتشار الأديرة والكنائس والقصور والقلاع التي انتشرت خارج الحيرة، وانتشار المدارس والمعاهد التبشيرية المنبثة هنا وهناك لنشر الدين والفكر والثقافة المسيحية في كل مكان، ويمكن القول إن كثيرًا من المعلومات التي وصلتنا عن الحيرة والدين المسيحي انطلقت من خلال الأديرة والأماكن المسيحية في المنطقة، وشاهدنا الكبير في هذا المجال قول هشام ابن الكلبي المتوفى نحو سنة (204هـ) وهو من أقدم المؤرخين عن هذه المنطقة، قوله الذي أوردهُ الطبري في تاريخه: ((إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها))[1].

وإذا كانت النجف الأصل الجغرافي التي قامت عليه الحيرة، فإن الأصل الحضاري والثقافي والديني الذي قامت عليه النجف هو الحيرة، وفي هذه الحالة يمكن اعتبار النجف امتدادًا حضاريًا لمملكة الحيرة من جانب كما سنرى، وإن عاقولا القديمة (الكوفة لاحقًا) هي الامتداد الحضاري والثقافي والديني لمملكة الحيرة كما سنرى لاحقًا أيضًا.

ثالثاً: نجف الحيرة (النصرانية)

النجف في عمق التاريخ كانت معلمًا طبيعيًا متميزًا عما سواه من المعالم والأراضي المجاورة، كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

وبعد سيادة وانتشار الدين النصراني في مملكة الحيرة الشهيرة تأثر معلم النجف الطبيعي، وما يحيط به والمنطقة التي احتضنته، بهذا الكيان السياسي (الحيرة) التي دانت بالديانة المسيحية الجديدة، قبل ظهور الإسلام بقرون، فقد امتدت مملكة الحيرة بدينها النصراني زاحفة إلى حدودها الشمالية المرتفعة (معلم أو موضع النجف) جاعلة هذا الامتداد وهذا المعلم (النجف) وما يحيط به متنزهًا وساحة خصبة ومجانية لملوك مملكة الحيرة وشؤونهم السياسية والدينية والسياحية والصحية، وما إلى ذلك مما يخدم تلك المملكة الشهيرة.

من هنا يكون من المناسب أن نطلق على معلم النجف الطبيعي وما حوله، اللصيق أو القريب أو المجاور للحيرة النصرانية (نجف الحيرة النصرانية) أو (منطقة النجف النصرانية) وما إلى ذلك. وهو اطلاق ينطلق من شهرة الحيرة السياسية والدينية والثقافية وقوتها في التاريخ الحضاري القديم وتأثيرها في جوارها.

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص628.

وفي الحديث عن نجف الحيرة النصرانية سنركِّز على محيط (النجف المعلم)، وساحل النجف الممتد إلى الحيرة النصرانية. أما معلم النجف أو موضع النجف نفسه، فمعلوماتنا محدودة قليلة أو أقل من محيطه ولها علاقة بمعرفتنا التفصيلية المفقودة عن هذا المعلم، وبتوافرها يمكن الحديث عن الحالة الدينية للمعلم وما فيه من أماكن عبادية ودينية.

ويمكن الحديث دينيًا عن هذا المعلم النجفي من خلال عدد من الروايات والأخبار الدينية، التي ذكرت أو أشارت إلى أن أرض النجف أو معلم النجف احتوى على قبر النبي آدم ونوح وهود وصالح(ع). وما ذكر النبي إبراهيم(ع) من قدسية هذا الموضع الذي سيحتضن نحو سبعين ألف شهيد، وما ذكرته الروايات حول أرض النجف (أو ربوة النجف) التي احتضنت السيدة مريم وابنها النبي عيسى(ع) فترة من الزمن كما في بعض تفاسير آية الربوة {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}[1].

ونحن نعرف كم تؤدي هذه الروايات والأخبار وأمثالها من الاهتمامات الدينية بالموضع ولكن الحديث هنا لا يدور حول قدسية المكان أو الموضع مجرد قدسية، وإنما الحديث هنا عن نصرانية هذا الموضع الشاخص وما يحيط به ضمن منطقة النجف الكبرى وحركة هذا الدين على الأرض. وقد أشرنا إلى ذلك آنفًا.

وإذا ما عرفنا طبيعة (منطقة النجف) وموقع معلم أو موضع النجف في هذه المنطقة من شموخه وعلوِّه، إلى إطلاله على امتداد البحر (بحر النجف) الممتد إلى مملكة الحيرة، إلى إحاطته بالبر والبحر والأراضي الخضراء والبساتين والأنهار، إلى الهواء الصحي النقي البعيد عن أجواء المدن والقرى الملوثة والموبوءة، ونمو أعشاب ونباتات الرعي الخضراء على ربوع المعلم في فصل الربيع، الجاذبة لحيوانات الصيد من طيور وحيوانات برية نافعة، وقد تحدثنا عن ذلك آنفًا.

إذا عرفنا ذلك الواقع، أدركنا كم كان نجف الحيرة وما يحيط به، بل ومنطقة النجف كلها، مهمة وضرورية لمملكة الحيرة التي حَفلت بالملوك والأمراء والشعراء والأدباء وكبار الباحثين عن هذا النوع من الأماكن المناسبة لأمور المملكة وحاجاتها المتنوعة والكثيرة.

وعلى الرغم من أن مصادر التاريخ والآثار والتنقيبات لم تفصح عما يدل على وجود أماكن عبادية نصرانية مهمة على ربوع هذا المعلم (النجف)، يمكن أن نستنتج من خلال بعض المعطيات، كشموخه عاليًا وإطلاله على البحر وغير ذلك، وجود بعض أماكن العبادة

(1) سورة المؤمنون، الآية: 50، وانظر الفصل الثالث (4. النجف الموقع التاريخي المقدس).

النصرانية على أرض المعلم، كبعض الأديرة والكنائس والصوامع وأماكن العبادة الأخرى. وهو (أي المعلم) نقطة جغرافية لم تشذ عما جاورها من نقاط ومواضع امتدت بامتداد المنطقة المليئة بالأديرة والكنائس والبيع الموزعة بين الحيرة وامتداداتها في منطقة الحيرة أو منطقة النجف الشاملة لمنطقة عاقولا الكوفة، والمنطقة على عمومها هي منطقة نصرانية، منطقة أماكن عبادة مسيحية متنوعة كما تشير مصادر التاريخ والآثار والتنقيبات.

وعلى مستوى هذا المعلم الجغرافي الطبيعي (معلم النجف) استطيع أن ألتقط بيتًا من الشعر يشير من قريب أو بعيد إلى وجود أماكن عبادة نصرانية معينة دون تفصيل، يقول الشاعر:

فالدير فالنجف الأشم جبال أرباب الصليب[1]

وإذا عرفنا أن أماكن بناء الأديرة والكنائس والبيع أو أماكن عبادة النصارى، عادة ما تكون في المواقع المرتفعة المختارة أو الجميلة المطلة على المناظر الطبيعية كما في إطلال النجف على البحر والبساتين أو في أماكن أخرى، يقول الحموي: الدير ((إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال))[2]، ويقول البغدادي عنه: ((يكون في الصحارى والمواضع المنقطعة عن الناس، وقل أن يكون دَير أو عمر يخلو عن بستان))[3].

إذا عرفنا ذلك فيمكن القول إن جبال أرباب الصليب الواردة في البيت الشعري المذكور هي بدل عن النجف، وبالتالي فالنجف هي جبال أرباب الصليب، وهناك من يذهب إلى أن: ((الجهات القريبة من النجف المعروفة بـ(الطارات)، ويغلب على الظن أن هذه الكهوف المنحوتة في التلول إنما هي صوامع خاصة للرهبان وهي تحتاج إلى زيارات من قبل الأثريين للتحقيق الكامل في شأنها))[4].

وإذا لم تكن الأديرة والكنائس والبيع وأماكن العبادة المختلفة قائمة على معلم النجف أو لم تذكرها مصادر التاريخ والأدب، فالتاريخ المكتوب وحتى الآثار المكتشفة تؤكد وجود بعض الأديرة وأماكن العبادة منتشرة حول النجف وأطرافها ومحيطها وامتدادها، وإن لم تحدد أماكنها بشكل دقيق وواضح في كثير من الأحيان. والأخبار والروايات التي أوردها التاريخ تشير وقد تصرح وتحدد أديرة وكنائس وبيعًا محددة تقع في حوالي النجف أو بالقرب منها.

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص354.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص495.
(3) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص549.
(4) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ج6، ق1، ص49.

فمن خلال ما ورد في التاريخ يمكن أن نقترب ونتساءل: أين تقع ديارات الأساقف؟ يجيب التاريخ وبصراحة تامة: ((هذه الديارات بالنجف، بظاهر الكوفة وهو أول الحيرة، وهي قباب وقصور تسمى ديارات الأساقف. بحضرتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر أبي الخصيب مولى أبي جعفر وعن شماله السدير، وبين ذلك الديارات))[1]، ويظهر من هذا النص أنها عدد من الديارات والقبب والقصور، ولا بد أنها استوعبت مساحة ليست صغيرة، والنص يقول في النجف ويحتمل أن تكون قريبة من النجف المَعْلم أو امتدت إلى معلم النجف نفسه المتصل بالحيرة من شمالها، ويساعدنا على هذا الاقتران عدد من القرائن، منها قربها من قصر أبي الخصيب المشرف على النجف كما يقول النص.

ويبدو لنا أن أغلب هذه الديارات قريبة من النجف لا في معلم النجف نفسه بدليل: ((وبحضرتها نهر يعرف بالغدير)) الذي يقع عن ((يمينه قصر أبي الخصيب)) و((عن شماله السدير)) وبين ذلك الديارات، والغدير لا يقع في مرتفع النجف.

ومن خلال ما ورد في التاريخ يُمكن أن نقترب ونتساءل مرة أخرى، أين يقع (دير اللج) الذي ورد في عدد من مصادر التراث القديمة أنه في ظاهر الحيرة وقريب من النجف، حيث يزوره الملك النعمان كل أحد ثم ينطلق بعد الزيارة إلى معلم النجف؟ يذكر البكري: ((وكان النعمان يركب في كل أحد إليه (أي دير اللج) وفي كل عيد، ومعه أهل بيته خاصة من آل المنذر، عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المفصصة بالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان الذهب، وإذا قضوا صلاتهم انصرفوا إلى مستشرفة على النجف، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقية يومه، وخلع ووهب وحمل ووصل، وكان ذلك أحسن منظر وأجمله))[2].

فذهاب النعمان إلى (مستشرفة على النجف) وإكمال أعمال الطقوس العبادية يعني أن النجف قريبة من دير اللج وأنها مكان لبعض الطقوس العبادية، ويمكن أن يكون دير مارت مريم قريبًا من (معلم النجف) أو في محيطه، أو حواليه، فقد ورد في التاريخ أن دير مارت مريم يقع: ((بين الخورنق والسدير وبين أبي الخصيب مشرف على النجف))[3]. ويقول الشاعر الثرواني في حق هذا الدَيْر:

(1) الشابشتي، الديارات، ص236.

(2) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص203.

(3) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص204. ومثله مراصد الاطلاع للبغدادي، ج2، ص574.

بـــمـــارت مـــريـــم الـكـبـرى وظـــــل فـــنـــائـــهـــا فـقـف
بـقـصـر أبـــي الـخـصـيـب الـمشـ ـــرف الـمـوفـي عـلـى الـنـجـف
فـأكـنـاف الـخـورنـق والـسـ ـــديـــر مـــلاعـــب الـسـلـف
إلـــى الـنـخـل الـمـكـمـم والـحـمـائـم فـوقـه الـهُـتـف [1]

وفي هذه النصوص التاريخية قرائن على قربة من النجف، ولكن لا تحديد دقيقًا له، وهناك دير هند الكبرى الذين ورد عنه وقوعه ((على طف النجف))[2] أو ((على طرف النجف))[3].

وهناك دير عبد المسيح بن بقيلة بالجرعة، الواقعة كما يقول الحموي ((بين النجفة والحيرة))[4]. وفي اكتشاف تنقيبي حديث، عثر الآثاريون على بقايا دَيْر قديم قُرْبَ مطار النجف الدولي، ومعه حجر منقوش يدل على أن الدَيْر لعبد المسيح، وسنذكر ذلك لاحقًا ضمن: (كلمة آثارية أخيرة)، وهناك دير مارفايثون الواقع ((بالحيرة أسفل النجف))[5]، ومثله دير الأسكون ((وهو بالحيرة راكب على النجف))[6]، وهناك أديرة قريبة أخرى في ظاهر الحيرة أو ظاهر الكوفة أو في ظهرها، لا نعرف مدى قربها وبعدها عن معلم النجف، ولا نستبعد وقوع بعضها في محيط النجف أو حواليها.

وفي هذه الحالة يمكن القول أو الاحتمال دون القطع، حيث لا تتوافر لدينا الأدلة والقرائن الكافية على التحديد الدقيق، يمكن القول: إن معلم النجف مكان مناسب لبعض أماكن العبادة النصرانية في عصر ما قبل الإسلام، وخاصة حدود النجف المطلة على البحر (بحر النجف) والبساتين، ورؤوس الطارات، فهي مواقع مناسبة لإنشاء الأديرة والكنائس والصوامع، ويبقى على الباحثين المتخصصين والمنقبين الآثاريين دراسة هذه المنطقة تاريخيًا وعلميًا ثم البحث الجاد والتنقيب اللازم على وفق ما تقوله الدراسة التاريخية والعلمية للمنطقة.

---

(1) معجم ما استعجم، ج1، ص205. والخزل والدأل للحموي، ج2، ص180. ومعجم البلدان للحموي، ج2، ص531.

(2) معجم ما استعجم، ج2، ص211.

(3) الحموي، معجم البلدان ج2، ص542.

(4) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص121.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531. والخزل والدأل، ج2، ص182. البغدادي، ومراصد الاطلاع، ج2، ص574.

(6) معجم البلدان، ج2، ص498. ومراصد الاطلاع، ج2، ص551.

رابعاً: عاقولاء الحيرة (النصرانية)

والامتداد الديني النصراني الآخر لمملكة الحيرة هو منطقة الكوفة أو ناحية من منطقة الكوفة قبل إنشاء الكوفة الإسلامية، والتي عرفت قديمًا بالاسم غير العربي أو السرياني (عاقولا) على ما يذكر التاريخ والتراث.

وإذا كان معلم النجف أرضًا جغرافية طبيعية واضحة، شخصتها الطبيعة عما سواها من المعالم الطبيعية المجاورة، فإن منطقة عاقولا القديمة لم تكن كذلك، لم تكن واضحة جغرافيًا، وإضافة إلى عدم وضوحها الجغرافي وشخوصها الطبيعي على الأرض، كانت عاقولا القديمة غارقة في الغموض والخفاء، وخاصة على مستوى مصادر التراث العربي والإسلامي. وإذا ما ذكرت المصادر الجغرافية والتاريخية (عاقولا) فبإجمال شديد ومخلّ أحيانًا، فالبلداني الأندلسي البكري لم يذكر عاقولا في معجمه أصلًا. وذكرها ياقوت الحموي في معجمه موضعًا جغرافيًا دون أن يحدد هذا الموضع[1] ومثله البغدادي في مراصده[2] (وهو تلخيص معجم ياقوت).

وذكر الطبري (العاقول) موضعًا قرب الكوفة بقوله: ((ويربعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي العاقول))[3]، وذكرها مرة أخرى في مكان آخر من تاريخه بقوله: ((وأقبل أبو عبيد فنزل المروحة موضع البرج والعاقول))[4]، لكن اللغوي الفيروزآبادي المتوفى سنة (817هـ) يذكر عاقولا صريحة بقوله: ((عاقولى مقصورة اسم الكوفة بالتوراة))[5] ومثله الزبيدي المتوفى سنة (1205هـ) في تاجه: ((وعاقولى مقصورة اسم الكوفة في التوراة كما في العباب))[6].

ويذكر الدكتور جواد علي في مفصله: ((وورد في بعض مؤلفات السريان مع (الحيرة) اسم موضع آخر قريب منها هي (عاقولا) وقد ذهب ابن العبري إلى أنه الكوفة))[7].ويذهب كثير من الباحثين إلى أن كلمة (عاقولا) غير عربية، فهي حسب ما يقول المستشرق (شترك Streck): ((ما من شك في أن أصل هذا الاسم (عاقولا) آرامي مثله في ذلك مثل كثير من أسماء

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص69.
(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص910.
(3) الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص52.
(4) المصدر نفسه، ج3، ص454.
(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ص1034.
(6) الزبيدي، تاج العروس، ج30، ص30.
(7) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص157.

الأماكن الجاهلية الأخرى في العراق))[1]، ومثل شترك يرجع المستشرق ماسنيون (عاقولا) إلى السريانية (وهي فرع من اللغة الآرامية). يقول ماسينون: ((يا - كيو - او = عاقولا، وهو الاسم السرياني للكوفة))[2].

ويؤكد هذا المعنى الدكتور سهيل قاشا بقوله: ((إن عاقولا كلمة غير عربية، هي كلمة سريانية، ويؤكد عموم السريان أن الكوفة هي ذاتها عاقولا السريانية، وقد وردت في مؤلفاتهم بشكل واسع، ومن الذين أشاروا إليها مفريان تكريت ماردنحا الأول (649-659م) في سيرة مارماروثا))[3] ثم يقول: ((وتسمية المدينة فيما بعد باسم الكوفة قد يكون محرّفًا عن اللفظة السريانية كما يعتقد بذلك السريان أنفسهم، ويتفق معهم جمع من الباحثين القدامى والمعاصرين))[4].

لقد ركزنا في بحثنا عن المنطقة النصرانية في الكوفة قبل الإسلام على كلمة (عاقولا) دون كلمة (الكوفة)، لأن حديثنا في الأساس هو عن المنطقة النصرانية السريانية التابعة لمملكة الحيرة النصرانية آنذاك، لا عن (الكوفة الإسلامية) فيما بعد التي لم تدخل في بحثنا هذا عن المنطقة في العصر الجاهلي.

وإذا ما قارنا بين كلمة (عاقولا) وكلمة (الكوفة) فالاختلاف واضح في البنية والشكل، فالأولى (عاقولا) سريانية آرامية حسب قول الباحثين في هذا المجال، والثانية (الكوفة) عربية جاءت من مادة (كوف) العربية واشتقاقاتها الأخرى: تكوف تكوفوا كوفة كوفان وغيرها من اشتقاقات الكلمة، وتعني: ((الرملة الحمراء المستديرة أو كل رملة تخالطها حصباء))[5] أو معان قريبة أخرى ليست مجال بحثنا هنا[6].

وفي حديثنا عن هذه المنطقة (عاقولا - الحيرة) قبل الإسلام، لا يهمنا فيما إذا كان اسم الكوفة من عاقولا أو لها اسم مستقل، فذلك بحث آخر يأتي وقته. والذي يهمنا الآن هو حال منطقة عاقولا وعلاقتها بالحيرة النصرانية والنجف والمنطقة عمومًا.

وعلى الرغم من اندثار منطقة عاقولاء القديمة وعدم تحديد تاريخ المنطقة (منطقة

(1) مجموعة من المستشرقين ، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص362.
(2) لويس ماسنيون، خطط الكوفة، ص49.
(3) سهيل قاشا، تاريخ نصارى العراق، ص297.
(4) المصدر نفسه، ص298.
(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ص851.
(6) انظر مادة (كَوَفَ) في مصادر اللغة العربية والمصادر البلدانية.

عاقولاء) تحديدًا واضحًا وصريحًا، وغموض مكوناتها ومعالمها[1]، نستطيع أن نستنتج وبشكل إجمالي طبيعة هذه المنطقة من خلال نصرانية المنطقة التي فيها وقربها من الحيرة النصرانية أو قرب الحيرة منها وارتباطها بها.

يذكر المؤرخ اليعقوبي: ((والحيرة منها (أي من الكوفة التي يُعتقد أنها أنشئت في مكان عاقولا) على ثلاثة أميال))[2]. ويتحدث المستشرق ماسنيون عن الكوفة القديمة بقوله: فالكوفة، تقع أمام الحيرة حيث يوجد لسان من الرمل الذي يقترب عموديًا إلى الفرات[3]. ثم يقول: وهي متقدمة نحو الشط أكثر من الحيرة وكانت تسيطر على الجسر[4].

وفي الحديث عن تاريخ عاقولاء القديم، يذكر المؤرخون والباحثون أن منطقة عاقولاء (قبل أن تقوم الكوفة الإسلامية) هي من المستوطنات القديمة، فقد كانت منذ فجر التاريخ، وكان المسيحيون فيها بالأصل، وظلوا يقصدونها باستمرار دون انقطاع، وخاصة بعد الفتح الإسلامي، وبذلك أصبحت من أهم الحواضر المسيحية في العراق[5]. وعلى هذا احتوت هذه المنطقة المسيحيين السريان ممن كانوا قبل الفتح الإسلامي وبقوا بعده متمتعين بالحرية الدينية التي حفظها لهم الإسلام[6]. وكان كرسي عاقولاء قبل الإسلام ملحقًا بكرسي مملكة الحيرة، وكان أسقف الحيرة وعاقولا يتولى تدبير كرسي سلوقية وطيسفون عند وفاة جاثليق المدائن[7].

(1) لم استطع من خلال المصادر المتوافرة بين أيدينا العثور على الموقع الدقيق لعاقولا النصرانية وحدودها، باستثناء من ذكر أنها اسم الكوفة القديم أو وقوعها قرب الكوفة أو الحيرة. ولم اقرأ عن بعثة علمية اكتشفت تاريخها وأحوالها. لكن يقول الدكتور حسن الحكيم أستاذ التاريخ في جامعة الكوفة: ((لقد ثبت بأن منطقة عاقولا بين الحيرة والكوفة كانت مركزًا للسريان وثقافتهم وما تزال آثارها ماثلة حتى الآن)). مجموعة مواقع المدى، الأحد 10/ 4/ 2011 ومواقع أخرى. دون أن يذكر أية تفاصيل.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص146.

(3) لويس ماسينون، خطط الكوفة، ص13.

(4) المصدر نفسه، ص33.

(5) سهيل قاشا، تاريخ نصارى العراق، ص299.

* الجدير بالذكر أن الروايات والأخبار الدينية تعتبر (الكوفة القديمة) أو موقع الكوفة مهدًا لنشاطات عدد من الأنبياء، يذكر الحموي في حديثه عن الكوفة: ((وفي زاويته (أي مسجد الكوفة) فار التنور، وعند الاسطوانة الخامسة صلى إبراهيم (ع)، وقد صلى فيه ألف نبي وألف وصي، وفيه عصا موسى والشجرة واليقطين وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الفاروق وفيه مسير لجبل الأهواز، وفيه مصلى نوح (ع) ويحشر فيه يوم القيامة سبعون ألفًا ليس عليهم حساب ووسطه روضة من رياض الجنة وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهر المؤمنين لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبوًا)) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص492.

(6) سهيل قاشا، تاريخ نصارى العراق، ص299.

(7) المصدر نفسه، ص301.

لقد كانت منطقة عاقولاء القديمة قريبة من الحيرة وفي الوقت نفسه قريبة من الفرات - كما أشرنا آنفًا - ويعني ذلك أنها من المناطق المناسبة لارتياد المرتادين من أبناء القبائل التابعة للمناذرة ومحطًا لطرق القوافل التجارية[1]. ومن أهمية هذه المنطقة ومناسبتها كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر: ((إني قد نزلت بكوفة منزلًا بين الحيرة والفرات بريًا وبحريًا ينبت الحلي والنصّي))[2]، وفي مناسبتها لارتياد المرتادين واستقرار المستقرين، ذكر الحموي بعض مواصفاتها الطيبة بقوله: ((فهي برَيّة مريئة مَريعة، إذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رَضراض الكافور، وإذا هبت الجنوب جاءتنا ريح السواد وورده وياسمينه وأترنجه، ماؤنا عذب وعيشنا خَصِب))[3].

إن منطقة أو بقعة بهذه المواصفات، على مقربة من مملكة الحيرة النصرانية، متصلة بها، تقع على امتدادها أماكن دينية نصرانية متنوعة، لابد وأن تتأثر بالديانة النصرانية، وبالأصح بالحيرة النصرانية، أو هي نصرانية بالأصل بعد انتشار الديانة النصرانية، ولابد أيضًا أن تقوم على أرضها أماكن نصرانية، أديرة، كنائس بيع وما إلى ذلك من الشؤون المسيحية، وهي بالتالي لم تخرج عن هوية المنطقة النصرانية الكبيرة المكونة أساسًا من الحيرة الأم وعاقولا الحيرة ونجف الحيرة وما قاربها وما جاورها من مناطق.

ولم تخفِ مصادر التراث العربي والإسلامي هذه الأماكن العبادية المسيحية، فقد أشارت تلك المصادر إلى أماكن سكن وعبادة، من أديرة وكنائس وبيع وقصور ومنازل بأرض الكوفة أو بين مملكة الحيرة وعاقولا أو الكوفة القديمة، أو حوالي ذلك مما يقع ضمن منطقة النجف الكبرى.

ولكن المشكلة لا نعرف مواقعها الدقيقة، ولا سبيل إلى ذلك من خلال المصادر التراثية المكتوبة المتوافرة، في الوقت الحاضر، ويمكن وبشكل أقوى وأوضح من خلال التنقيبات الآثارية والعلمية، فيمكن أن تكشف لنا ما خبّأه الزمن عنا فترة طويلة.

أما أوضح ما ورد عن قصور الكوفة القديمة في منطقة الكوفة - عاقولا قبل الإسلام فهو (قصر العدسين) الذي ذكره الحموي بقوله: ((هو قصر كان بالكوفة في طرف الحيرة لبني عمار... وهو أول شيء فتحه المسلمون لما غزوا العراق))[4]، ومثله قال البغدادي: ((قصر

(1) المصدر نفسه، ص297.
(2) تاريخ الطبري، ج4، ص43.
(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص492.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص360.

العدسين... قصر كان بالكوفة في طرف الحيرة))[1]، لكن البلاذري يقول: أنه كان في طرف الحيرة دون ذكر الكوفة[2].

ثم هناك إشارات تدل على وجود أديرة وكنائس وبيع في منطقة الكوفة القديمة أو عاقولا، كدير هند الصغرى الشهيرة الذي ورد أن موقعه ((يقارب بني عبد الله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق في موضع نزه))[3] وقيل بالحيرة أو بين الحيرة والكوفة[4].

ومن الأديرة الأخرى التي أوردها التاريخ في الكوفة أو منطقة الكوفة القديمة أو عاقولا الحيرة ما نقل المؤرخ الطبري حين ذكر الكوفة فنقل: ((فأتينا عليها (أي الكوفة) وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة))[5] فهذه الأديرة الثلاثة التي ذكرها الطبري تقع بالكوفة أو منطقة الكوفة القديمة قبل تأسيس الكوفة الإسلامية. ومن المرجح أن يكون دير حرقة هو دير هند الصغرى التي لقبت بالحرقة، المذكور آنفًا.

ومن المحتمل أيضًا أن يكون دير أم عمرو هو دَيْر هند الكبرى التي يُعْرف بأم عمرو بن هند[6] وإذا أورد التاريخ بعض التفاصيل لدير هند الصغرى ودير هند الكبرى، فلا تفاصيل هناك لدير السلسلة، وكل ما عرفنا عنه وجوده بالكوفة أو في منطقة الكوفة عاقولا الحيرة.

وأورد التاريخ أيضًا أن دير الجماجم هو ((بشاطئ الفرات الغربي))[7]، ((وبظاهر الكوفة على طريق البر))[8]. وأورد أيضًا أن دير قرّة: ((هو ملاصق لطف البر ودير الجماجم مما يلي الكوفة))[9]، ودير السوا: ((كان في منازل إياد بسنداد))[10]، وسنداد تقع ((أسفل سواد الكوفة وراء نجران الكوفة))[11].

وهناك دير الأعور بظاهر الكوفة ودير الجرعة أو عبد المسيح الواقع في ظهر الحيرة

(1) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1099.
(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص401.
(3) معجم ما استعجم، ج2، ص209.
(4) الشابشتي، الديارات، ص244.
(5) الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص41.
(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص542.
(7) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص188.
(8) المصدر نفسه، ج2، ص188.
(9) المصدر نفسه، ج2، ص201.
(10) المصدر نفسه، ج2، ص197.
(11) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص266.

وأخرى غيرها يحتمل وقوعها في منطقة الكوفة قبل تأسيس الكوفة الإسلامية. وكل ذلك يدل على أن منطقة الكوفة القديمة أو عاقولاء هي منطقة مسيحية تتصل بشكل مباشر أو غير مباشر بمملكة الحيرة النصرانية ذات النفوذ الواسع والعريض.

وإذا ما جمعنا بين منطقة الكوفة عاقولاء النصرانية إلى منطقة نجف الحيرة النصرانية أيضًا إلى المملكة الأم مملكة الحيرة النصرانية، فسنكون أمام وحدة نصرانية واحدة كبيرة متداخلة إلى حد بعيد تاريخيًا وجغرافيًا، وليست هناك أيةُ فواصل وحدود تحدّ وتفصل هذه النقطة عن تلك، النجف عن الحيرة عن عاقولا الكوفة.

ولو تخيل متخيل واقع منطقة النجف الشاملة للحيرة والنجف وعاقولا قبل الإسلام لتخيّل منطقة مسيحية واسعة ممتدة يحدّها من امتدادها الشرقي منطقة عاقولا الحيرة (منطقة الكوفة) ومن امتدادها الجنوبي مملكة الحيرة وامتدادها الغربي بحر النجف، وامتدادها الشمالي طريق كربلاء. وهذا الامتداد الطبيعي على ما فيه من تضاريس طبيعية مختلفة يضم تاريخًا دينيًا متشابهًا تمتد أصوله إلى النصرانية أساسًا وإلى بعض الأصول اليهودية والوثنية والزرادشتية، وهو تاريخ يحكي الواقع الذي كان قبل الإسلام في المنطقة.

الفصل الخامس

أماكن العبادة النصرانية

أماكن العبادة النصرانية

تميزت منطقة النجف القديمة عن سائر مناطق العراق بكونها منطقة دينية بامتياز، ففي عصر ما قبل الإسلام انتشرت على أرضها الواسعة وفي كل اتجاه أماكن عديدة للعبادة، وكان للدين النصراني قبل الإسلام السيادة في المنطقة وأطرافها. وبعد ظهور الدعوة الإسلامية كانت السيادة للدين الإسلامي لتكون مدينة النجف الأشرف مركزًا مهمًا لهذا الدين الحنيف.

فمنطقة النجف قبل الإسلام هي في الحقيقة منطقة أديرة وكنائس وبيع وأماكن عبادية مسيحية، ذكرتها مصادر التراث العربي الإسلامي القديمة بأسمائها ومواقعها وبعض تفاصيلها، وإن أحاط الغموض والالتباس بعدد منها.

والدَيْر في مصادر اللغة العربية هو: ((دَيْر النصارى أصله الدار والجمع أديار، والدَيْرانيّ صاحب الدَيْر، ابن سيده: الدير خان النصارى))[1]. وعند البلدانيين والجغرافيين يقول ياقوت: ((الدَيْر بيت يتعبد به الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم، إنما في الصحارى ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر كانت كنيسة وبيعة))[2] ومثله ذكر البغدادي في مراصده[3]. ويذكر المستشرق فولتن أن كلمة الدَيْر سريانية[4].

وقد انتشرت الأديرة في منطقة النجف وأطرافها بشكل لافت للانتباه، ولا شك أن السبب الرئيس والأول هو وجود كيان مسيحي كبير في المنطقة هو مملكة الحيرة الشهيرة، وقد تحدثنا عنها في فصل سابق[5].

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص301.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص495. الحموي، الخزل والدأل، ج1، ص54.
(3) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص549.
(4) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص358.
(5) انظر الفصل الرابع (النجف منطقة دينية، 2. الحيرة الأم (النصرانية).

أما سبب توافر هذه الأديرة في امتداد وأطراف وحوالي المملكة فهو طبيعة المنطقة وخصوبة أراضيها ومناسبتها لطبيعة الأديرة والكنائس والبيع والصوامع التي عادة ما يُؤسسها النصارى في مثل هذه البيئة الخصبة، فمنطقة النجف، بقعة جغرافية متنوعة، فهناك معلم النجف الطبيعي المرتفع المطل على البحر والبر، وهناك البحر الكبير الذي يحاذي هضبة النجف، وهناك البر الممتد ليصل إلى سواد الكوفة الشهير ثم الكوفة وضفاف نهر الفرات، وبين هذه المعالم الطبيعية تجد الأرض الخضراء المعشبة الموشاة بالورود والنباتات الجميلة، وتجد الأنهار والترع والسواقي والطبيعة الخلابة، وهذه مواصفات مناسبة لأماكن العبادة عند النصارى.

ويتحدث الباحث كوركيس عواد عن الأمكنة التي تقام فيها الديارات فيقول: ((منها ما تسنم قمم الجبال أو ما توسد ضفاف الأنهار، ومنها ما اقترب من المدن والأرياف أو ما انفرد في البراري والقفار))[1]، وتختلف مساحات وأحجام الأديرة بعضها عن بعض بين صغير وكبير وفخم ومتواضع، وعادة ما كانت محصنة بأسوار شاهقة دفعًا لاعتداء المعتدين والطامعين وخاصة في الأماكن البعيدة[2]. وإن كبر الدير يدل على كثرة الرهبان والمتبتلين فيه والعكس بالعكس.

ويشترط في كل دير أن يحتوي على كنيسة يصلي فيها الديرانيون، كما يشترط أن يحتوي على صوامع تستوعب من فيه من رهبان، ويحتوي الدير أيضًا على المخازن وبيوت الطعام وغيرها من المرافق اللازمة للحياة.

على أن بعض الأديرة الكبيرة كانت تحتوي على أكثر من كنيسة، تقام كل واحدة على اسم قدّيس، أما الصوامع وهي قلالي الرهبان فكانت في بعض الأديرة تعد بالعشرات، بل وأكثر من العشرة بكثير[3]. ولا يخلو دير من الأديرة الكبيرة من مكتبة للكتب، يجد الرهبان فيها ما ينشدون من المؤلفات، كالكتب المقدسة وتفاسيرها والفلسفة واللاهوت وسير الشهداء والقديسين والحياة النسكية والعبادات والطقوس الدينية والأدب والشعر وغير ذلك[4].

ويذكر الطبري أن هشام بن الكلبي أخذ كثيرًا من معلوماته من هذه الديارات يقول

(1) الشابشتي (المقدمة)، الديارات، ص49.

(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص 551 من ذلك مثلاً، إن دير الأسكون كان حوله سور عال حصين، وعليه باب حديد.

(3) الشابشتي، الديارات، ص49.

(4) المصدر نفسه، ص49ـ50.

الكلبي: ((إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمارهم من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها))[1]، وإضافة إلى دورها الديني والثقافي لعبت دورًا كبيرًا في نشر المسيحية والتبشير بتعاليمها وقد ارتادها الناس من مختلف الطبقات ومن مناطق مختلفة لأغراض متنوعة، للعبادة أو السياحة والنزهة أو اللهو واللعب، كل حسب هدفه وذوقه.

وكان ملك الحيرة النعمان ((يركب في كل أحد إليه (أي إلى دير اللج في منطقة النجف) وفي كل عيد ومعه أهل بيته خاصة من آل المنذر، عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب وفي أوساطهم الزنانير المفصصة بالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان))[2].

وبقيت أديرة منطقة النجف أو بعضها إلى العصر العباسي، حيث كان الخلفاء العباسيون يرتادون المنطقة للسياحة والنزهة. فالمسعودي يتحدث في مروجه عن الحيرة ويقول: ((... أيام المعتضد فإنه استولى عليها الخراب، وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس - كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم - ينزلونها ويصِلون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان، فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعي الخراب إليها، وأقفرت من كل أنيس في هذا الوقت ليس بها إلا الصدى والبوم))[3].

أما اليوم فلم يبق من هذه الأديرة سوى الأسماء التي أوردتها مصادر التراث العربي والإسلامي، وقد أورد عدد من الجغرافيين والبلدانيين والمؤرخين أسماء بعض الديارات ومعها قليل من التفاصيل في هذه المنطقة (منطقة النجف) مع كثير من الغموض والتداخل والالتباس، عن مواقعها ومؤسسيها وكثير من تفاصيلها، إضافة إلى ما وفرت التنقيبات والاكتشافات الآثارية من معلومات، وهي قليلة وغير واضحة في كثير من الأحيان[4]، ولنقرأ الآن ما يمكن قراءته من هذه الأديرة وسنركِّز على مواقعها بشكل أساس:

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص628.
(2) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص203.
(3) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص104.
(4) في سنة (2009م) اكتشفت دائرة آثار النجف ما يعتقد أنه دير كنسي مكون من 46 غرفة مزخرفة الجدران فيها نقوش ورسوم صلبان/ موقع عنكاوا الإلكتروني.

1. دَيْر ابن براق

هو من أدْيرة الحيرة يقع في ظاهرها (ظاهر الحيرة)، وعلى مقربة من الخورنق. ذكر ياقوت الحموي المتوفى سنة (626هـ) موقعه بقوله: ((في ظاهر الحيرة))[1] وأورد فيه شعرًا، للشاعر عبد الرحمن الثرواني الكوفي:

يـا دَيْـر حنـة عـند الـقـائـم الساقي إلـى الخورنق من ديـر ابـن بـراق[2].

2. دَيْر ابن مزعوق

أطلق الشابشتي المتوفى سنة (388هـ) على هذا الدير دير ابن مزعوق[3] وأطلق عليه ياقوت الحموي المتوفى سنة (626هـ) مرّة دير المزعوق وأخرى دير ابن المزعوق[4]. وهو أحد أدْيرة الحيرة القديمة الكثيرة.

((يقع هذا الدير بالحيرة في وسطها قريب من دير الحريق))[5] أو ((في ظاهر الحيرة))[6] حدّد محمد بن عبد الرحمن الثرواني الكوفي موقعه بالنسبة لمواقع أخرى بقوله:

دَيْـر الـحـريـق فـبـيـعـة الـمـزعـوق بـيـن الـغـديـر وقـبـة الـسـنّـيـق[7]

وهذا البيت يؤكد وقوعه في الحيرة أو في ظاهر الحير، وصفه الشابشتي في دياراته بقوله: ((وهو دير كثير الرهبان، حسن العمارة أحد المتنزهات المقصودة والأماكن الموصوفة))[8].

وللشاعر محمد بن عبد الرحمن الثرواني فيه:

قـلـت لـه والـنـجـوم طـالـعـةٌ فـي لـيـلـة الـفـصـح أول الـسَـحـر
هـل لـك فـي مـارفـاثـيـون وفـي ديـر ابـن مـزعـوق غـيـر مختصر
يـفـيـض هـذا الـنـسـيـم مـن طـرف الـشـام ودرّ الـنـدى عـلـى الشجر

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص496. الحموي ، الخزل والدأل، ج1، ص257. للبغدادي، مراصد الاطلاع ج2، ص550.
(2) المصدر نفسه.
(3) الشابشتي، الديارات، ص230.
(4) معجم البلدان، ج2، ص537.
(5)الديارات، ص230.
(6) معجم البلدان، ج2، ص537. والخزل والدأل، ج2، ص217. مراصد الاطلاع، ج2، ص577.
(7) معجم البلدان، ج2، ص505. والخزل والدأل، ج2، ص10.
(8) الديارات، ص230

ونسأل الأرض عن منابتها وعهدها بالربيع والمطر
يا لك طيبًا وشم رائحةٍ كالمسك يأتي بنفحة السحر[1]

3- دَيْر ابن وضاح

دير ابن وضاح أو دير مر عبدا بنواحي الحيرة في منطقة النجف، يقول ياقوت الحموي المتوفى سنة (626هـ): ((دير مر عبدا بذات الأكيراح من نواحي الحيرة، منسوب إلى مَرْ عبدا بن حنيف بن وضاح الليحاني، كان مع ملوك الحيرة، وهو دير ابن وضاح))[2].

وفي هذا الدير يقول الشاعر بكر بن خارجة من أهل الكوفة:

دع البساتين من آسٍ وتفاح واقصد إلى الشيح من ذات الأكيراح
إلى الدساكِر[3] فالدير المقابلها لدى الأكيراح أو (دَيْر ابن وضّاح)
منازل لم أزلْ حينًا ألازمها لزومَ غادٍ إلى اللذات روّاح[4]

4. دَيْر أبو موسى

دير أبو موسى من أديرة منطقة الكوفة أو منطقة النجف الكبرى، ورد ذكره في كتاب نصر بن مزاحم (وقعة صفين)، ولم تذكره الكتب البلدانية في حدود اطلاعي. يقول نصر بن مزاحم المتوفى سنة (212هـ): ((ثم خرج - أي الإمام عليّ (ع) - حتى أتى دير أبي موسى، وهو من الكوفة على فرسخين فصلى بها العصر))[5]. ولا نعرف موقعه الدقيق من الكوفة ولا زمن تأسيسه.

5. دَيْر الأسْكون

دير الأسكون من أديرة الحيرة، يشرف أو يركب على النجف، ذكره ياقوت الحموي بقوله: ((وهو بالحيرة راكب على النجف))[6].

وصف دير الأسكون بأنه: ((وفيه قلالي وهياكل، وفيه رهبان يضيّفون من ورد عليهم،

(1) الديارات، ص230ـ231. معجم البلدان، ج2، ص537. والخزل والدأل، ج2، ص218.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص536.
(3) الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي، ص150، الدساكر جمع دسكرة وهي: بناء شبه قصر حوله بيوت. والجمع الدساكر تكون للملوك وهو معرب.
(4) ياقوت الحموي، الخزل والدأل، ج1، ص260 وج2، ص209. ومعجم البلدان، ج2، ص496.
(5) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص134.
(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص498. ومراصد الاطلاع، ج2، ص551.

وعليه سور حصين، وعليه باب حديد، وفيه يهبط الهابط إلى غدير بالحيرة، أرضه رضراض ورمل أبيض وله مشرعة تقابل الحيرة لها ماء إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة))[1].

ويذكر الحموي أيضًا: ((ورأيت أنا في طريق واسط قرب دير العاقول موضعًا يقال له الأسكون، فإن كان الذي بالحيرة غيره وإلا فالصواب أنه في طريق واسط)) [2]، وهذا يعني من المحتمل أن يكون هذا الدير في مكان آخر(طريق واسط).

6. دَيْر الأعور

دير الأعور من ديارات الحيرة الكثيرة، يسمى بالأعور نسبة إلى بانيه:((رجل من إياد يقال له الأعور بن حذاقة بن زهر بن إياد))[3]، يقع هذا الدير في ظاهر الكوفة[4]. وفي وقعة القادسية نزل القائد الفارسي رستم وجنوده فيه، متخذًا إياه مقرًا له. يقول الدينوري: ((وأقبل رستم بجنوده حتى نزل دير الأعور))[5]، ويقرب الطبري موضع هذا الدير بقوله: ((ثم ركب (رستم) ونادى في الناس بالرحيل، فخرج ونزل بحيال دير الأعور، ثم انصب إلى الملطاط، فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف بحيال الخورنق إلى الغريين ودعا بأهل الحيرة))[6]، ويورد البلاذري لأبي داود الإيادي بيتًا من الشعر في حق هذا الدير يقول:

وديـــــر يـــقـــول لـــه الـــرائـــدو ن وَيْـــل أمْ دار الـحُـذاقـيّ دارا[7]

7. دَيْر بني مَرِينا

دير بني مرينا أحد الأديرة القديمة بظاهر الحيرة. ودير بني مرينا نسبة إلى قوم من أهل الحيرة من العباد، وليست مرينا بكلمة عربية على حد تعبير الجواليقي[8]، ذكر الحموي هذا الدير بقوله: ((دير مرينا وهو دير قديم بظاهر الحيرة يُنسب إلى بني مرين قوم من أهل

(1) المصدر نفسه، ج2، ص498. الحموي، والخزل والدأل، ج1، ص269.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص498.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص499. الحموي، الخزل والدأل، ج1، ص277. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص552.
(4) معجم البلدان، ج2، ص499.
(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص119.
(6) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص508.
(7) الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص316.
(8) الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، ص316.

الحيرة))[1]، وذكر الحموي أيضًا أن الدير يقع في جفر الأملاك[2] و((جفر الأملاك)) في أرض الحيرة))[3]، وفي موضع هذا الدير قتل جماعة فَرَتاهم امرؤ القيس بقوله:

ألا يا عين بكّي لي شنينًا ... وبكّي لي الملوك الذاهبينا
ملوك من بن حُجر بن عمرو ... يساقون العشية يُقتلونا
فلو في يوم معركة أُصيبوا ... ولكن في ديار بني مرينا
فلم تُغسَل جماجمهم بسدر ... ولكن بالدماء مرملينا
تظّل الطير عاكفة عليهم ... وتنتزع الحواجب والعيونا[4]

8. دَيْر الجماجم

دير الجماجم من الأديرة الشهيرة في ظاهر الكوفة أو في منطقة النجف، ذكره البكري بقوله: ((سمي بوقعة إياد على أعاجم كسرى، بشاطئ الفرات الغربي))[5] ثم ينقل عن أبي الفرج الأصفهاني: ((وقال أبو الفرج: هو دير بظاهر الكوفة على طريق البر الذي يسلك إلى البصرة، وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وبين عبد الرحمن بن محمد الأشعث))[6]، ويزيد الحموي ومثله البغدادي بقوله: ((بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر السالك إلى البصرة))[7]. وذكر البكري أيضًا على مقربة من دَيْر قرّة[8]، ومن المستشرقين يقول شترك: يجب أن نبحث عن موقعه جنوبي الكوفة ((وأطلاله على مسيرة ما بين ستة أميال وثمانية أميال شرقي مشهد عليّ (أي النجف) في مكان ما بالجزء الجنوبي الشرقي من بحر النجف الحالي))[9].

وفي تسميته بدير الجماجم عدة أقوال: جاءت من وجود جماجم كانت في هذا الموضع. فقد ذكر البكري: ((دير الجماجم جمع جمجمة، سمي بوقعة إياد على أعاجم كسرى، بشاطئ الفرات الغربي، قتلت جيشه، فلم يُفلت منهم إلا الشريد، وجمعوا جماجمهم فجعلوها كالكوم

(1) الحموي، الخزل والدأل، ج1، ص293. للحموي، معجم البلدان، ج2، ص501. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص554.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص501. الخزل والدأل، ج1، ص293.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص146.
(4) المصدر نفسه، ج2، ص501. ياقوت الحموي، الخزل والدأل، ج1، ص295.
(5) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص188.
(6) المصدر نفسه، ج2، ص188.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص503. الخزل والدأل، ج1، ص309. مراصد الاطلاع، ج2، ص556.
(8) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص188.
(9) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص360.

فسمي ذلك المكان دير الجماجم))[1]. وقيل ((سمي بدير الجماجم لأنه كان يصنعُ فيه أقداح من خشب، وقدح الخشب يقال له جمجمة))[2]. وهناك أقوال أخرى.

9. دَيْر الحريق

دير الحريق من أديرة الحيرة القديمة، يذكر ياقوت الحموي: ((هو دَيْر قديم بالحيرة، سمي بذلك لأنه أحرق قوم في موضع هذا الدير، ودفن فيه قوم من أهليهم فعمل ذلك الموضع ديرًا))[3]، وقرَّبه آخرون من خلال اقترانه ببيعة المزعوق ونهر الغدير وقبّة السنّيق، وهي مواضع تقع في الحيرة أو في ظاهرها، يقول الشاعر عبد الرحمن الثرواني الكوفي:

ديـر الـحـريـق فـبـيـعـة الـمـزعـوق بـيـن الـغـديـر فـقـبّـة الـسـنّـيـق
اشـهـى إلـيّ مـن الـصـراة ودورهـا عند الصباح ومن رَحى البطريق[4]

فبيعة أو دير المزعوق في الحيرة أو في ظاهرها، ومثله نهر الغدير في الحيرة أو في ظاهرها، أما قبّة السنّيق أو الشتيق، فيقول الشابشتي: ((بالحيرة على طريق الحاج وبإزائها قباب يقال لها الشكورة))[5].

10. دَيْر حَنَّة بالأكيراح

دير حنّة بالأكيراح يقع ((بظاهر الكوفة والحيرة))[6] أيضًا. والأكيراح موضع بظاهر الكوفة، وحول هذا الدَيْر بساتين ورياض كثيرة[7] وفيه يقول الشاعر أبو نؤاس:

يـا ديـر حـنـة مـن ذات الأكـيـراح من يصح عنك فإني لستُ بالصاحي
يـعـتـاده كـل مـجـفـو مـفـارقـه مـن الـدهـان، عليه سحق أمساح
فـي فتنة لـم يـدع منهم تخوفهم وقـوع مـا حـذروه غـيـر أشـبـاح
لا يـدلـفـون إلـى مـاء بـبـاطـيـة إلا اغـتـرافًـا مـن الـغُـدران بـالـراح[8]

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص188.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص189. معجم البلدان، ج2، ص503. الخزل والدأل، ج1، ص309.
(3) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص9. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص505. مراصد الاطلاع، ج2، ص557.
(4) معجم البلدان، ج2، ص505. الخزل والدأل، ج2، ص10.
(5) الشابشتي، الديارات، ص241.
(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص507. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص20.
(7) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص21.
(8) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص192. والحموي، الخزل والدأل ج2، ص21.

ويفرِّق البكري الأندلسي وياقوت الحموي بين دير حَنّة بالأكيراح ودير حنة بالحيرة الآتي.

11. دَيْر حَنَّة بالحيرة

دير حنة هو من أديرة الحيرة كما يقول البكري[1]. ويذكر ما قاله أبو الفرج الأصفهاني: ((هو دير قديم بناه حيٌّ من تنَوخ يقال لهم بنو ساطع، تحاذيه منارة عالية كالمرقب تسمى القائم لبني أوس بن عمرو، ثم لبطن منهم يقال لهم بنو مبرِق، وكان فتيان الحيرة يألفونه ويشربون فيه))[2]، ويذكر الحموي أن تاريخ هذا الدير يرجع إلى زمن بني المنذر[3]، وحدد الشاعر عبد الرحمن الثرواني الكوفي موقع هذا الدير بقوله:

يا دير حنَّة عند القائم الساقي

إلى الخورنق من دير ابن برّاق

ليس السلُو وإن أصبحت ممتنعًا

من بغيتي فيك من شكلي وأخلاقي[4]

ونفهم من البيت الأول أنَّ (دير حنة) يقع بالقرب من هذه المواضع: القائم الساقي والخورنق ودير ابن براق (الواقع بظاهر الحيرة)[5]. ويعني ذلك أن دير حنة يقع في ظهر الحيرة أو ظهر الكوفة ضمن منطقة النجف الكبرى، ودير حنة هذا غير دير حنة بالأكيراح المذكور آنفًا (قبل هذا الدير)، كما تقول المصادر التراثية.

12. دَيْر حنظلة

ورد دَيْران باسم دير حنظلة أحدهما بالشام[6] والآخر بالحيرة، ذكر البكري عن أبي الفرج: ((ومن ديارات بني علقمة بالحيرة دير حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربَّى بن نمارة بن لخم))[7]، وقد وجد في صدر هذا الدير مكتوب بالرصاص في ساج محفور:((بُني

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص191.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص192. والحموي، الخزل والدأل، ج2، ص20.
(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص507. الخزل والدأل، ج2، ص20.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص507. الخزل والدأل، ج2، ص20.
(5) معجم البلدان، ج2، ص496. الخزل والدأل، ج1، ص257.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص190. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص506. مراصد الاطلاع، ج2، ص557.
(7) المصدر نفسه، ج2، ص191. معجم البلدان، ج2، ص507. مراصد الاطلاع، ج2، ص558.

هذا الهيكل المقدّس، محبة لولاية الحق والأمانة حنظلة بن عبد المسيح، يكون مع بقاء الدنيا تقديسه، وكما يذكر أولياؤه بالعصمة، يكون ذكر الخاطئ حنظلة))[1]، وفي هذا الدير يقول الشاعر:

بساحة الحيرة دير حنظلةْ عليه أثواب السرور مُسبلةْ
أحببت فيه ليلة مقتبلة وكأسنا بين الندامى معملة
والراح فيها مثل نار مشعلة وكلنا منتقِدٌ ما خوّله[2]

13. دَيْر زرارة

دير معروف من ديارات الكوفة، يقع بين جسر الكوفة وحمام أعين، وهذه الأخيرة (حمام أعين) موضع في الكوفة أو في ظاهرها على ثلاثة فراسخ منها[3]، وزرارة محلة بالكوفة سميت باسم زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكار وكانت منزله فأخذها معاوية منه[4] ويعتقد أن الدير نسبة إليه[5]، وصف الشابشتي هذا الدير وموضعه من الكوفة بقوله: ((وهو دَيْر حسن، بين جسر الكوفة وحمام أعين، ناحية عن الطريق على يمين الخارج من بغداد إلى الكوفة، وهو موضع نزه حسن كثير الحانات والشراب عامر بمن يطرقه لا يخلو ممن يطلب اللعب ويؤثر البطالة. وهو من المواطن المستحصلة لذلك))[6].

طرقه عدد من الشعراء كيحيى بن زياد الحارثي (من شعراء الكوفة (المئة الثانية للهجرة) ومطيع بن أياس وسليمان بن محمد الأموي وغيرهم، ذكرهم الشابشتي في دياراته[7]، ويتحدث ياقوت الحموي عن مصير هذا الدَيْر فيقول: ((ويذكرون أن عليًا (رضي الله عنه) علم بأمره وبكثرة حاناته فعبر الفرات إليه على الجسر، ثم قال عليَّ بالنار أضرموها فيه، فاحترق من جهة الغرب))[8]

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص191.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص191. معجم البلدان، ج2، ص507.
(3) الطبري، تاريخ الطبري، ج7، ص419.
(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص135.
(5) ويعتقد كوركيس عواد ذلك أيضًا، الديارات، الشابشتي، ص247 (الهامش).
(6) الشابشتي، الديارات، ص247.
(7) المصدر نفسه، ص247ـ249.
(8) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص50. معجم البلدان، ج3، ص135.

14. دَيْر الزُرنُوق

ذكره الحموي عن الشابشتي ((دون أن يذكره الشابشتي في كتاب الديارات المنشور))[1] يقول الحموي: ((قال الشابشتي: كان هذا الدير يسمى باسم دير طيزناباذ بين الكوفة والقادسية على وجه الطريق بينه وبين القادسية ميل))[2]. انظر دير طيزناباذ، فقد أوردناه ضمنه.

15. دَيْر السلسلة

جاء ذكر دير سلسلة مع دير آخر دير الحرقة (أي دير هند الصغرى) ودير أم عمرو (ومن المحتمل أن أم عمرو هي هند الكبرى) والأديرة الثلاثة تقع في أرض الكوفة أو في ظاهرها. ذكر هذه الأديرة الطبري بقوله: ((وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة، فأتيا عليها، وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة وخِصاص خلال ذلك...))[3].

16. دَيْر السوا

دير السوا من أديرة منطقة النجف، والسوا موضع أضيف الدير إليه، وهو بظاهر الحيرة، وسموه بذلك لأنه على السواء والعدل، وكانوا يتحالفون عنده فيتناصفون[4]، وينسب هذا الدير إلى رجل من إياد، وقيل ينسب إلى بني حذاقة، وقيل إن السوا امرأة منهم، وقيل: إن السوا أرض نسب الدير إليها[5]، ورد ذكره في شعر أبي داود قال:

بل تأملْ وأنت أبصرُ مني قصد دير السواء بعين جَلية[6]

ويقول البكري: ((وقد قيل إنه دير خرب، كان في منازل إياد بسنداد[7]، وسنداد ((نهر فيما بين الحيرة إلى الأبلة وعليه كانت منازل إياد))[8].

17. دَيْر الشاء

لم تذكر المصادر التراثية معلومات كافية عن دير الشاء، وقد ذكره ياقوت الحموي في أرض

(1) ذكره الأستاذ كوركيس عواد في ذيل ديارات الشابشتي، ص339.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص511. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص53.
(3) الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص41.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص517. والخزل والدأل، ج2، ص91.
(5) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص91.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص197. الخزل والدأل، ج2، ص92.
(7) المصدر نفسه، ج2، ص197.
(8) المصدر نفسه، ج3، ص46.

الكوفة بقوله: ((وهو بأرض الكوفة على رأس فرسخ وميلٍ من النخيلة))[1]. وذكره البغدادي بقوله: ((بأرض الكوفة على رأس أربعة أميال من النخيلة))[2]، والنخيلة: ((موضع قرب الكوفة على سمت الشام))[3]، فهو على ما يبدو بين الكوفة والنخيلة، ولا نعرف موقعه بشكل دقيق.

18. دير سرجس

دير سرجس وبكس أو دير سرجس وحدها او دير طيزناباذ، يقع هذا الدير في منطقة طيزناباذ، ويصف الحموي هذه المنطقة أو الموضع أو البقعة بقوله: طيزناباذ ((وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر))[4]، ونحن لا نعرف ما إذا كانت هذه الأسماء لدير واحد أو أكثر من دير، فمنطقة أو موضع طيزناباذ - على ما يبدو - منطقة مناسبة للأديرة النصرانية. فقد ذكر الحموي ديرًا باسم (دير طيزناباذ) منفردًا دون أن يذكر هذا الاسم غيره بقوله: ((قال أبو الفرج في الديرة[5]: دير في موضع نزه بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق على جادة الحاج بينه وبين القادسية ميلان، من أنزه المواضع تحفه الكروم، وحوله المعاصر والحانات، مقصود لأصحاب اللهو والبطالة))[6].

وذكر الحموي في مكان آخر أيضًا ديرًا باسم (دير سرجس وبكس) بالمواصفات نفسها تقريبًا يقول بعد أن ينسبه إلى راهبين بنجران[7]. يقول: ((قال الشابشتي كان هذا الدير بطيزناباذ وهو بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق بينه وبين القادسية ميل واحد وكان محفوفًا بالأشجار والكروم والحانات والمعاصر وكان أحد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة))[8]، وذكر الشابشتي في دياراته ديرًا باسم (دير سرجس) يقع في طيزناباذ يقول: ((وهذا الدير كان بطيزناباذ وهو بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق، وبينها وبين القادسية ميل، وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكانت إحدى البقاع المقصودة والنزه الموصوفة))[9].

(1) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص94. للحموي، معجم اللبلدان، ج2، ص518.
(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص565.
(3) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص278.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص55.
(5) أي كتاب الديرة للأصفهاني وهو مفقود.
(6) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص115.
(7) المصدر نفسه، ج2، ص74.
(8) المصدر نفسه، ج2، ص74.
(9) الشابشتي، الديارات، ص233.

وإضافة إلى ذلك فحين يتحدث الحموي عن دير الزرنوق يذكر كلام الشابشتي الذي يعتبر هذا الدير هو دير طيزناباذ، يقول الحموي قال الشابشتي: ((كان هذا الدير يسمى باسم (دير طيزناباذ) وهو بين الكوفة والقادسية، على وجه الطريق بينه وبين القادسية ميل))[1]، فهل هذه الديارات ذات المواصفات الواحدة أو المتشابهة دير واحد أم عدة أديرة؟ أظن أن المنطقة تستوعب أكثر من دير.

19. دَيْر عبد المسيح

دير عبد المسيح أو دير الجرعة هو دير نصراني يقع في الكوفة أو ظاهرها أو في الجَرَعة الواقعة قرب الكوفة، المكان الذي فيه سهوله ورمل[2] سمي بدير عبد المسيح لأنه ينسب إلى عبد المسيح بن عمر بن بقيلة الغساني[3] من أهل الحيرة، وسمي بدير الجرعة نسبة إلى موقعه في الجَرعَة بظاهر الحيرة بين الكوفة والحيرة[4]. أو بين النجفة والحيرة كما يقول الحموي[5]، ويذكر التاريخ أيضًا: ((وخرب الدير بعد مدة، فظهر فيه أزج معقود من حجارة فظنوه كنزًا ففتحوه، فإذا فيه سرير رخام، وعليه رجل ميت، وعند رأسه لوح مكتوب فيه: أنا عبد المسيح بن عمر بن بقيلة.

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى فوق المزيد
فكافحت الأمور وكافحتني فلم أخضع لمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلود))[6]

وعلى مستوى التنقيبات الآثارية عُثر سنة (2009م) على بقايا دَيْر قديم قرب مطار النجف، وعثر لاحقًا في المكان نفسه على حجر نقش فيه اسم (عبد المسيح) مما يدل على أنَّ الدير باسمه[7].

(1) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص53. وذكره كوركيس عواد في ذيل الديارات للشابشتي بعنوان دير الزرنوق ذيل 3 ص339.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص127. مراصد الاطلاع للبغدادي، ج2، ص556.
(3) معجم البلدان، ج2، ص521. الخزل والدأل، ج2، ص120. مراصد الاطلاع، ج2، ص568.
(4) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج5، ص33. الطبري، تاريخ الطبري، ج5، ص107. معجم البلدان للحموي، ج2، ص127.
(5) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص121.
(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص521. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص121. الشريف المرتضى، وأمالي المرتضى، ج1، ص265.
(7) انظر، ((كلمة آثارية أخيرة)).

20. دَيْر العذارى

دير العذارى اسم أطلق على الدير الذي يضم عددًا من النساء العذارى ترهبن وأقمن به للعبادة فسمي بهن[1]، وهناك ستة أديرة سميت بهذا الاسم (دير العذارى) ذكرها ياقوت الحموي في كتابه (الخزل والدأل)، أحد هذه الأديرة بالحيرة يقول ياقوت الحموي: ((وبالحيرة أيضًا دير العذارى))[2] ولم يذكر موقعه من الحيرة، أما الخمسة الأخرى فذكر: أحدها بين أرض الموصل وبين أرض باجرمى من أعمال الرقة، والآخر بسر من رأى، والآخر أسفل الحظيرة على شاطئ دجلة، وببغداد، وبظاهر حلب[3].

21. دَيْر علقمة

دير علقمة أحد أديرة الحيرة القديمة، ينسب هذا الدير إلى علقمة بن عدي بن الرميك بن ثوب بن أسس بن ربّى بن نماره بن لخم كما يذكر ياقوت الحموي[4]. ويقول أيضًا: ((دير علقمة بالحيرة من ديرتها القديمة[5]، وفي هذا الدير يقول الشاعر عدي بن زيد العبادي:

نادمت في الدير بني علقما ... مشمولة تحسبها عندما
كأن ريح المسك في كأسها ... إذا مزجناها بماء السماء
من سره العيش ولذاته ... فليجعل الخمر له سلما
علقم ما بالك لم تأتِنا ... أما اشتهيت اليوم أن تنعما))[6]

22. دَيْر قرّة

دير قُرّة من الأديرة التي تقع في ظاهر الكوفة، على مقربة من دير الجماجم المذكور آنفًا: يقول الأصفهاني عن هذا الدير: ((وهو ملاصق لطف البر ودير الجماجم مما يلي الكوفة))[7]. وذكره الحموي بقوله: ((على طرف من البر))[8].

---

(1) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص126. والحموي، معجم البلدان، ج2، ص522.
(2) الخزل والدأل، ج2، ص130. معجم البلدان، ج2، ص523. مراصد الاطلاع للبغدادي، ج2، ص569.
(3) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص125–130. والحموي، معجم البلدان، ج2، 522–523.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص524. والبكري، معجم ما استعجم، ج2، ص199.
(5) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص134.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص199. والحموي ، معجم البلدان، ج2 ، ص524. والخزل والدأل للحموي ، ج2 ، ص135 (مع تغيير بسيط).
(7) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص201.
(8) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص148. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص526.

ودير قُرَّة نسبة إلى رجل من إياد يسمى قرّة، بُنيَ أيام ملك المنذر، يقول الأصفهاني: ((قرة الذي بناه رجل من لخم، بناه في أيام ملك المنذر))[1]. ولما وقعت الحرب بين ابن الأشعث والحجاج نزل ابن الأشعث في دير الجماجم ونزل الحجاج بازائه بدير قرة[2]، وسأل الحجاج: وما هو هذا الذي نزلناه؟ فقيل له: دير قرة، قال: يستقر به أمرنا وتقرّ به أعيننا إن شاء الله. فكان الأمر على ما ذكره[3].

23. دَيْر اللُّج

دير اللج من افخم الأديرة التي تقع في منطقة النجف، يذكر التاريخ أنه دير قديم يقع في الحيرة أو في ظاهر الحيرة، وأن الذي بناه الملك النعمان بن المنذر[4]، ويقول البكري: ((دير بالحيرة، قال أبو الفرج: بناه أبو قابوس النعمان بن المنذر أيام ملكه، ولم يكن في ديارات الحيرة أحسن منه بناء ولا أنزه موضعًا))، وفيه يقول الشاعر:

سقى الله دير اللج غيثًا فإنه ... على بعده دير الـيّ حبيب
قريب إلى قلبي، بعيد محله ... وكم من بعيد الدار وهو قريب
يهيِّج ذكراه غزال يَحُلَّه ... أغنُّ سحور المقلتين ربيب
إذا رجَّع الإنجيل واهتز مائدًا ... تذكّر محزون الفؤاد غريب
وهاج لقلبي عند ترجيع صوته ... بلابل أسقام به ووجيب[5]

وقد أورد التاريخ اهتمام الملك النعمان بهذا الدَيْر فكان يذهب إليه كل أحد للعبادة والنزهة، ويرسم البكري صورة لهذا الذهاب بقوله: ((وكان النعمان يركب في كل أحد إليه، وفي كل عيد ومعه أهل بيته خاصّة من آل المنذر، عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المفصصة بالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان الذهب، وإذا قضوا صلاتهم انصرفوا إلى مستشرِفة على النجف، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقية يومه، وخلع ووهب، وحمل ووصل، وكان ذلك أحسن منظر وأجمله))[6].

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص201. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص148ـ149.
(2) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص188. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص526.
(3) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص149. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص526.
(4) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص203. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530. الخزل والدأل، ج2، ص175. مراصد الاطلاع للبغدادي، ج2، ص573.
(5) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص203. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530. الخزل والدأل للحموي، ج2، ص175.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص203.

ومن خلال ما ورد عن هذا الدير ككونه (بظاهر الكوفة) وعبارة: (إلى مستشرِفة على النجف) (وقريب إلى قلبي بعيد محله) أي عن الحيرة مقرّ الملك النعمان، من خلال كل ذلك يمكن الاستنتاج أن هذا الدير قريب من معلم النجف أو هو أقرب إلى هذا المعلم منه إلى مدينة الحيرة.

24. دَيْر مارت مريم

دير مارت مريم أو دير مارة مريم كما يقول البكري، ويقول أيضًا هو اسم أعجمي[1]، وهناك ثلاثة أديار باسم دير مارت مريم بالحيرة والشام ومصر[2]، والذي يهمنا هنا هو دير مارت مريم أو مارة مريم الذي بناه آل المنذر في مملكة الحيرة أو في ظاهرها. وهو دير نصراني قديم حدّد المؤرخون والجغرافيون مكانه بين قصري الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب، وهو مشرف على النجف.

ذَكر البكري: ((قال أبو الفرج: هذا دَيْر قديم، من بناء المنذر، حسن الموضع، بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب مشرف على النجف))[3]، ومثله قال ياقوت الحموي، والبغدادي[4]، ويحدد الشاعر الثرواني موقع هذا الدير من خلال قوله:

بـمـارة مـريـم الـكـبـرى وظِـل فـنـائـهـا فـقـف
بـقـصـر أبـي الـخـصـيـب الـمـشـرف الـمـوفي عـلى النجف
فـأكـنـاف الـخـورنـق والـسـديـر مـلاعـب الـسـلـف
إلـى الـنـخـل الـمـكـمَّـم والـحـمـائـم فـوقـه الـهـتـف
فـدع قـول الـعـذول وبـا كـر الـصـهـبـاء فـي لَـطـفِ[5]

وقد استمر دير مارت مريم إلى العصر العباسي، إلى زمن الواثق المتوفى سنة (232هـ)، فقد ورد أن إسحاق قال لما خرجت مع الواثق إلى النجف درنا بالحيرة ومررنا بدياراتها فرأيت دير مريم بالحيرة فأعجبني موقعه وحسن بنائه فقلتُ:

(1) المصدر نفسه، ج2، ص204.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531.
(3) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص204.
(4) الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص180. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص574.
(5) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص204. الحموي ، معجم البلدان، ج2، ص531. الخزل الدأل، ج2، ص180.

نعم المحل لمن يسعى للذته ديـر لمريم فوق الظهر معمور
ظل ظليل وماء غير ذي أسن وقاصرات كأمثال الدمى حورُ[1]

ويبدو من المعلومات التي وردت عن هذا الدير كوقوعه بين قصري الخورنق والسدير وقصر أبي الخصيب ومشرف على النجف أنه قريب من النجف (المَعْلم).

25. دَيْر مارفايثون

يورد ياقوت الحموي دير مارفايثون ويقول: إنه بالحيرة في أسفل النجف[2]، ويؤكد وجوده في هذه المنطقة مقترنًا بدير ابن مزعوق، الواقع بظاهر الحيرة[3]، يقول الثرواني:

قلت والنجوم طالعة في ليلة الفصح أول السحر
هل لك في (مارفايثون) وفي ديـر ابن مزعوق غير مقتصر[4]

ثم يورد الحموي في مادة أخرى عنوان (دَيْر فثيون) من أديرة سامراء[5]، ويقرنه بدير ابن مزعوق أيضًا البعيد عنه تمامًا، يقول الشاعر:

هل لك في دَيْر فَثْيون وفي ديـر ابن مزعوق غير مقتصر[6]

ومثل ذلك (أي دير فثيون في سامراء) قال البكري[7] والبغدادي[8]. فهل دير مارفايثون الحيرة هو دير فثيون السامرائي أم هناك التباس في الأسماء أو اشتراك في الأسماء؟! ويصف الشاعر الثرواني حياة اللهو والجمال والغزل فيكمل أبياته بقوله[9]:

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص428. معجم البلدان، ج2، ص 531. الخزل والدأل، ج2، ص180.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص182. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص574.
(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص537. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص217. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص577.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص537. الحموي ، الخزل والدأل، ج2، ص182.
(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص525. الحموي، الخزل والدأل، ج2، ص139. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص570.
(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص537. الحموي ، الخزل والدأل، ج2، ص182.
(7) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص199.
(8) مراصد الاطلاع، ج2، ص570.
(9) هكذا ورد في ديارات الشابشتي. ويقول كوركيس عواد: ((والوجه تقديم الثاء على الياء. وهذا الاسم قد يكتب أيضًا ((فثيون)). وينطق به اليوم نصارى العراق بصورة ((بثيون)) و((بيثون))، الشابشتي، الديارات، ص230، الحاشية.

هل لك في مارفاثيون وفي ... دير ابن مزعوق غير مختصرِ
يفيض هذا النسيم من طرف ... الشام ودرّ الندى على الشجر
ونسأل الأرض عن منابتها ... وعهدها بالربيع والمطر
يا لك طيبًا وشم رائحة ... كالمسك يأتي بنفحة السحر
في شرب خمر وسمع مُحسنة ... تلهيك بين اللسان والوتر[1]

26. دَيْر هند الصغرى

دير هند الصغرى، هو الدير الأشهر والأبعد صيتًا بين ديارات الحيرة، ومنطقة النجف عمومًا. وهو واحد من ثلاثة أديرة تُعرف باسم (دَيْر هند)، الديران الآخران هما دير هند الكبرى في الحيرة ودير هند في الشام[2]، ودير هند الصغرى هو الأهم بين هذه الثلاثة بل وعموم الأديرة في الحيرة كما ذكرنا، وذلك لكثرة ما أوردته مصادر التراث العربي والإسلامي من معلومات واهتمامات، وخاصة على مستوى الشعر والأدب الذي دار حوله.

ذكرت المصادر التراثية القديمة أنَّ هذا الدير بالحيرة[3]. وفي تحديد موقعه يذكر البكري ((وهذا الدير يقارب بني عبد الله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق في موضع نزه))[4]، أو ((بين الحيرة والكوفة))[5]، كما يقول الشابشتي وبالقرب منه منزل الشاعر معن بن زائدة الشيباني[6]، وقد ورد أن (دير هند) كان يشاهد من منطقة مسجد الكوفة، فقد أورد الطبري: ((عن عطاء أبي محمد مولى إسحاق بن طلحة، قال: كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد، وليست له مجنبات ولا مواخير، فأرى منه دير هند وباب الجسر))[7]. وإذا كان المقصود بدير هند الصغرى فيعني أنه قريب من الكوفة فعلًا.

(1) الشابشتي ، الديارات، ص230ـ231.
(2) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص208ـ211. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص541ـ543. الخزل والدأل، ص245ـ250.
(3) الشابشتي، الديارات، ص244. البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص208. معجم البلدان، ج2، ص541. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص579.
(4) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص209. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص541. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص579.
(5) الشابشتي، الديارات، ص244.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص209.
(7) الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص47.

وصفت المصادر التراثية ((هذا الدير من أعظم ديارات الحيرة وأعمرها))[1]، وقد ((حُكي أن النعمان كان يصلي به ويتقرب فيه، وإنه علّق في هيكله خمسمئة قنديل من ذهب وفضة، وكانت أدهانها في أعياده من زئبق وبان وما شاكلهما من الأدهان، ويوقد فيه من العود الهندي والعنبر شيئًا يجل عن الوصف))[2].

بنت هذا الدير الأميرة هند بنت النعمان بن المنذر التي تعرف بحرقة ويقال حريقة[3] و((ترهبت هند ولبست المسوح وأقامت في ديرها مترهبة حتى ماتت ودفنت فيه))[4] كما دفن أبوها النعمان فيه أيضًا[5]، وكانت هند بنت النعمان أميرة نبيلة ذات رأي وعقل، ترهبت على أثر حادثة - سنأتي عليها - وسكنت الدير الذي بنته دهرًا طويلًا ثم عميت[6]، ويذكر التاريخ عدة روايات في سبب بناء هذا الدير، منها ما ذكره هشام الكلبي: ((كان كسرى قد غضب على النعمان بن المنذر فحبسه فأعطت بنته عهدًا لله إن رده الله إلى ملكه أن تبني ديرًا تسكنه حتى تموت فخلّى كسرى عن أبيها النعمان فبنت الدير وأقامت به إلى أن ماتت ودفنت فيه))[7].

وما أورد أبو الفرج الأصفهاني: ((وكانت معه (أي عدي بن زيد العبادي) حتى قتله النعمان فترهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة، وقال ابن الكلبي: بل ترهبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة))[8]، وما أورد الأصفهاني أيضًا من أن هند كانت تهوى زرقاء اليمامة، ولما قتلت جزعت ولبست المسوح وبنت ديرًا يعرف بدير هند إلى الآن فأقامت فيه حتى ماتت[9]، زار هذا الدير عدد من القادة والولاة، فقد أوردت المصادر أن خالد بن الوليد حين فتح الحيرة سنة (12هـ) دخل دير هند الصغرى والتقى بهند بنت النعمان وسألها في حوائج تطلبها[10]وزار الدير أيضًا سعد بن أبي وقاص حين فتح

(1) الشابشتي، الديارات، ص244.
(2) الشابشتي، الديارات، ذيل كوركيس عواد، ص389.
(3) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص209.
(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص135.
(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص542.
(6) الشابشتي، الديارات، ص244.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص541.
(8) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص131.
(9) المصدر نفسه، ج2، ص132ـ133.
(10) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص541.

العراق سنة (17هـ) وأكرم، ساكنته هند[1]. وزاره أيضًا المغيرة بن شعبة أثناء ولايته لمدينة الكوفة[2]. وكذلك الحجاج الثقفي حين زار الكوفة سنة أربع وسبعين زار دير هند الصغرى[3]، وزاره آخرون غير المذكورين.

توفيت هند بنت النعمان نحو سنة (74هـ)[4]، ودفنت في الدير مع عائلتها آل النعمان، بقي الدير إلى سنة (315هـ) حيث نقل ابن الجوزي أن أبا طاهر الهجري رئيس القرامطة نزل بدير هند في هذه السنة[5].

27. دَيْر هند الكبرى

وهو واحد من ثلاثة أديرة تعرف بـ(دير هند) اثنان منها في الحيرة وهو دير هند الكبرى ودير هند الصغرى، والثالث يقع في قرى الشام[6]، أطلق البكري على هذا الدير (أي دير هند الكبرى) (دير هند الأقدم): ((وهو دير بنته هند الكبرى أم عمرو بن هند))[7] وأطلق عليه الحموي وغيره ((دير هند الكبرى)) وهو أيضًا بالحيرة بنته هند أم عمرو بن هند، وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي))[8]. أو بظاهر الحيرة[9]. أو ((على طرف النجف))[10] أو ((على طف النجف)) كما يقول البكري[11].

وقد تواترت بعض المعلومات عن هذا الدير من خلال صخرة كانت في صدره ذكرها البكري وغيره: ((بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر، الملكة بنت الأملاك، وأم الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح، وأمّ عبده، وأمةُ عبده، في زمن ملك الأملاك، خسرو انوشِرْوان، وفي زمن أفراييم الأسقف. فالإله الذي بنت له هذا البيت يغفر خطيّتها ويترحم عليها وعلى ولدها، ويقبل بهما ويقومهما إلى إقامة الحق؛ ويكون الإله معها ومع ولدها

(1) الشابشتي، الديارات، ص245.
(2) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص210.
(3) الشابشتي، الديارات، ص244.
(4) الأعلام الزِركلي، ج8، ص98.
(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص263.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص208ـ211.، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص541ـ543. الخزل والدأل، ج2، ص245ـ250.
(7) معجم ما استعجم، ج2، ص210.
(8) معجم البلدان، ج2، ص542. الخزل والدأل، ج2، ص247.
(9) الخزل والدأل، ج2، ص248.
(10) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص542.
(11) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص211.

الدهر الداهر))[1]، استمر هذا الدَيْر إلى العصر العباسي، فقد ورد أنَّ الرشيد المتوفى سنة (193هـ) زار هذا الدَيْر: ((ورأى في جانب حائطه شيئًا مكتوبًا فدعا بسلّم وأمر بقراءته وكان مكتوب:

إن بني المنذر عام انقضوا ... بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفاريّهم ... وعنبر يقطبه القاطب
والقزّ والكتان أثوابهم ... لم يُجب الصوف لهم جائب))[2]

28. ديارات الأساقف

هي عدد من ديارات نصرانية شهيرة، ذكرها الشابشتي والحموي والبغدادي وغيرهم مؤكدين على موقعها وما يحيط بها من مواضع، وذكر الشابشتي هذه الديارات بقوله: ((هذه الديارات بالنجف بظاهر الكوفة، وهو أول الحيرة. وهي قباب وقصور تسمى ديارات الأساقف وبحضرتها نهر يعرف بالغدير عن يمينه قصر أبي الخصيب مولى أبي جعفر وعن شماله السدير وبين ذلك الديارات))[3]. ثم يذكر قصر أبي الخصيب ويقول: ((وهو مشرف على النجف وعلى ذلك الظهر))[4]، ويمكن أن يفهم من كلام الشابشتي أنَّ هذه الديارات قريبة من مَعْلم النجف، وإذا كانت كثيرة فلعل بعضها امتد إلى المَعْلم نفسه الذي يتصل بالحيرة أساسًا، والأماكن المرتفعة أماكن مناسبة للأديرة النصرانية، ويذكر علي بن محمد الحماني مواضع هذه الديارات بالأبيات الشعرية التالية:

كم وقفة لك بالخور - ... -نق لا توازى بالمواقف
بين الغدير إلى السدير- ... -ير إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرهبان في ... أطمار خائفة وخائف
دِمنٌ كأن رياضها ... يكسين أعلام المطارف
وكأنما غدرانها ... فيها عشور في مصاحف[5]

(1) معجم ما استعجم، ج2، ص211. معجم البلدان، ج2، ص542. الخزل والدأل، ج2، ص248.
(2) معجم ما استعجم، ج2، ص211. معجم البلدان، ج2، ص542. الخزل والدأل، ج2، ص249.
(3) الشابشتي، الديارات، ص236. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص498.الحموي، الخزل والدأل، ج1، ص267.
(4) الديارات، ص236.
(5) المصدر نفسه، ص236. معجم البلدان، ج2، ص498. الخزل والدأل، ج1، ص268.

29. قُبّة الشتيق

من الأماكن العبادية النصرانية القديمة في منطقة الحيرة أو منطقة النجف قبّة الشتيق أو قبّة السَنّيق كما في بعض المراجع[1]، ويرجح الباحث كوركيس عواد اسم الشتيق ويقول: ((وعندنا أنه الأصح))[2]. ثم يقول: والشتيق لفظة سريانية (شتيقا) بمعنى الساكت والصامت. ولا يبعد أن هذه القبة كانت منسكًا لراهب انقطع عن الناس ولازم السكوت فعرفت به من هذه الجهة. وفي الديارات من كان أصحابها يلازمون الصمت والسكوت حتى عرفوا بالسكوتيين))[3].

ذكر الشابشتي هذه القبة ضمن دياراته وحدد موقعها بالحيرة على طريق الحاج بقوله: ((وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج. وبإزائها قباب يقال لها الشكورة، جميعها للنصارى))[4]، ومن هذا الكلام نعرف أن الشتيق هو قبة مع عدد من القبب، أو مكان يقصده الزوار بطقوس نصرانية خاصة للتقرب إلى الله تعالى حسب طريقتهم. يقول الشابشتي ((فيخرجون (أي النصارى) يوم عيدهم من الشكورة إلى القبة، في أحسن زي، عليهم الصلبان، بإيديهم المجامر والشمامسة والقسّان معهم يقدسون على نغم واحد، متفق في الألحان، ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين وأهل البطالة، إلى أن يبلغوا قبة الشتيق. فيتقربون ويتعمدون، ثم يعودون بمثل تلك الحال. فهو منظر مليح))[5].

30. قُلاية القَس

قُلاية القَس هي أحد أماكن العبادة النصرانية في الحيرة أو منطقة النجف. ذكرها البكري والحموي والبغدادي في معاجمهم الجغرافية والبلدانية، يقول البكري: تقع قلاية القس (على الحيرة)[6] ويقول الحموي ((وكانت في ظاهر الحيرة))[7] ومثله البغدادي[8]، والقُلاية عند

(1) الشابشتي، الديارات، ص141. وورد اسم السنّيق في معجم البلدان للحموي ضمن البيت الشعري التالي، دير الحريق فبعية المزعوق***بين الغدير فقبّة السنّيق. معجم البلدان، ج2، ص505.
(2) المصدر نفسه، ص241 (الهامش).
(3) الشابشتي، الديارات، الهامش كوركيس عواد، ص241.
(4) المصدر نفسه، ص241.
(5) المصدر نفسه، ص241.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص326.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص386.
(8) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1115.

النصارى: ((بناء كالدير قلت: هي مسكن الرهبان))[1] والقَس اسم رجل، وقلاية القس نسبة إليه، يقول البكري: ((كان ينزلها (أي القلاية) قَس وكان أحسن الناس وجهًا فعرفت به))[2]، ويكمل الحموي فيقول: ((وكان هذا القس مَعْروفًا بكثرة العبادة، ثم ترك ذلك واشتغل باللهو، فقال فيه بعض الشعراء:

إن بالحيرة قَسًا قد مَجَن فتن الرهبان فيه وافتتن
هجر الأنجيل من حب الصبا ورأى الدنيا متاعًا فَرَكن))[3]

وفي هذه القُلاية يقول الشاعر الثرواني الكوفي:

خليلي من تيم وعِجْل هديتما أضيفا بشرب الكأس يوحي إلى أمسِ
وإن أنتما حييتماني تحيةً فلا تعدوا ريحان قُلاية القَسِ
إذا أنتما حييتماني فاخلوا حميدين دوني بالخلوق وبالورسِ [4]

31. كنيسة الباغوتة

كنيسة الباغوتة من كنائس الحيرة، ذكرها الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) من مواضع العبادة بالحيرة، ولم يحدد الهمداني موقعها من الحيرة سوى قوله: ((وكنيسة الباغوتة بالحيرة))[5]. وكذلك لم يحدد زمن تأسيسها وتاريخها.

(1) المصدر نفسه، ج3، ص1115.
(2) معجم ما استعجم، ج3، ص326.
(3) معجم البلدان، ج4، ص386. معجم ما استعجم، ج3، ص326 (مع بعض التغيير).
(4) معجم ما استعجم، ج3، ص326. معجم البلدان، ج4، ص386 (مع بعض التغيير).
(5) الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص240.

الفصل السادس

قصور منطقة النجف

أولًا: قصور حضارية متنوعة

1. القصر الأبيض
2. قصر بني بُقيلة
3. قصر بني مازن
4. قصر بني مقاتل
5. قصر سنداد
6. قصر الطين
7. قصر العباد
8. قصر العدسيين
9. قصر العُذيب
10. قصر عون العبادي
11. قصر الفِرس
12. قصر المسقطات

ثانيًا: الخورنق والسدير قصران نموذجيان ــ القصران التوأمان

1. قصر الخورنق التوأم الأكبر
2. قصر السدير التوأم الأصغر

أولًا: قصور حضارية متنوعة

ذكرنا أن منطقة النجف مساحة كبيرة واسعة، انتشرت في رحابها وفي مختلف أرجائها أماكن العبادة النصرانية خاصة، من أديرة وكنائس وبيع، وأماكن عبادية أخرى، وبالطبع لم تكن أماكن العبادة هي الوحيدة في تلك المنطقة الواسعة، وإنما كانت إلى جانبها، قريبة أو بعيدة عنها، قصور أو منازل ومبان متنوعة اقتضاها امتداد سلطة مملكة الحيرة الكبيرة وبسط نفوذها على كامل المنطقة الشاملة لموضع النجف العالي والمطل على بحر النجف، ومنطقة عاقولا الكوفة القريبة من نهر الفرات وأطراف المنطقة الأخرى.

وإذا عرفنا أنَّ منطقة النجف في مجملها منطقة زراعية طيبة التربة خصبة، تكثر في أرضها الأنهار والنباتات والورود وحيوانات الصيد والهواء الصافي النقي البعيد عن تلوث المدن وأوبائها، كما ذكرنا ذلك في فصل سابق، إذا عرفنا ذلك، أدركنا معنى امتداد عمران الحيرة إلى ما جاورها من مناطق، وامتدادها إلى أنحاء مختلفة من المنطقة، قريبة أو بعيدة، ولم تكن قصور الحيرة مجرد أماكن سياحية جميلة لغرض النزهة والاستجمام وإنما كان بعضها على الأقل مراكز قرار أو ضيافة أو ما قارب ذلك مما يتعلق بشؤون المملكة الواقعة تحت سلطة الملك أو الأمير، وإن كانت معلوماتنا عن هذا الأمر محدودة.

لكن ورد مثلًا: أن قصر الخورنق الشهير (الذي سنتحدث عنه مستقلًا) كان مركز قيادة وذا أهمية إستراتيجية لسلطة مملكة الحيرة. ففي الحديث عن هذا القصر يذكر المؤرخون والجغرافيون ما يدل على أنَّ الخورنق كان قصر قيادة وضيافة وترفيه، أكثر من كونه قصرًا شخصيًا عائليًا، فمن معاني الخورنق: ((موضع الشرب))[1] أو هو: ((المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب))[2]. ومن يقرأ تاريخ القصر وما يتوافر عنه من معلومات من نزول الخلفاء والقواد فيه واستخدامه لأغراض قيام المجالس والمناسبات فيه أحيانًا[3]، سيعرف أن بعض القصور تجاوزت القصور الشخصية إلى قصور حكومية رسمية. مما يدلّ على أن تصميمه كان لأغراض عامة ومتنوعة.

ومن خلال التراث التاريخي والأدبي وصفت قصور الحيرة وامتداداتها في منطقة النجف بالفخامة والعظمة والأبهة والترف، يقول غوستاف لوبون: ((وكانت قصور الحيرة مؤثثة بأثمن الأثاث وكانت حدائقها مكسوّة بأعز الأزهار))[4]، ومما وفرت بعض التنقيبات الآثارية ((توصل الحفارون إلى العثور على نقوش من الجبس مما تكسى به الجُدر للزينة))[5] ولا بد أن تكون هناك أصول ومواصفات معمارية فنية خفيت علينا. ويقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم: ((أخذ فنانو الحيرة أصول هذا الفن (أي العمارة) عن طريق الفرس، بحكم مجاورتهم وتبعيتهم لهم، ولكنهم طوّروا في نظام العمارة عندهم تطويرًا أبعده عن أصوله الأولى، وأصبح الطراز الحيري في فن البناء طرازًا قائمًا بذاته))[6].

(1) أبو منصور الجواليقي، المُعَرَّب من الكلام الأعجمي، ص126.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص79.
(3) ورد ضمن تاريخ سنة (71ه): ((أن عبد الملك لما قتل مصعب ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر إلى الخورنق، وأذن إذنًا عامًا فدخل الناس فأخذوا مجالسهم)) الطبري، تاريخ الطبري، ج6، ص167.
(4) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص93.
(5) د. جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص160.
(6) د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص217.

ولم يمت الطراز الحيري بعد ذهاب الحيرة، وإنما ظل معروفًا على ما يبدو إلى العصر الإسلامي، إلى زمن المتوكل على ما ينقل المسعودي في مروجه يقول: ((وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه، وهو المعروف بالحيري والكمين والأروقة))[1].

ويكفي معرفة أهمية البناء الحيري شهرة ما ورد عن قصري الخورنق والسدير وما ورد في حقهما من أخبار مثيرة وأوصاف أدبية وشعرية عالية، ولسنا الآن في صدد تفصيل الدرجة العمرانية والفنية لقصور منطقة الحيرة أو النجف، فذلك له متخصصون، وإنما أردنا أن نقول: إن في امتداد منطقة النجف قصورًا ومنازل فخمة وعظيمة أو بعضها على الأقل، وهي مكون رئيسي من مكونات هذه المنطقة، والآن لنقرأ ما تيسرت معرفته من قصور منطقة النجف.

1. القصر الأبيض

ذكر لنا التاريخ الحضاري أكثر من قصر أبيض، فهناك القصر الأبيض في إفريقيا[2]. وهناك القصر الأبيض في البصرة (البطيحة)[3]، وهناك القصر الأبيض في المدائن[4]، وقصر آخر أبيض بالرقة[5]، إضافة إلى القصر الأبيض في مملكة الحيرة القديمة، وهو موضوعنا هنا.

والقصر الأبيض بالحيرة أحد القصور المشهورة في منطقة النجف، وقد ذكره البلاذري ضمن البيوت التي تحصّن أهل الحيرة فيها. يورد البلاذري: ((ثم أتينا الحيرة وقد تحصن أهلها في القصر الأبيض))[6]، وذكره الحموي بقوله: ((والقصر الأبيض من قصور الحيرة))[7]، وذكره أيضًا في مادة (لحيان) بقوله: ((وهو أبيض النعمان قصر كان له (أي للنعمان) بالحيرة))[8]، وذكره الشابشتي على ما يبدو باسم (الأقصى الأبيض) من قصور الحيرة[9]، وفي تسميته بالأبيض يذكر د. جواد علي: ((قصر بالحيرة عرف بـ(القصر الأبيض) لبياضه، يظهر أن جدرانه كانت مجصصة فظهرت بيضاء))[10].

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص87.
(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص328.
(3) المصدر نفسه، ص486.
(4) المصدر نفسه، ص366. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1096.
(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص354. مراصد الاطلاع، ج3، ص1096.
(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص341.
(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص354.
(8) معجم البلدان، ج5، ص15. مراصد الاطلاع، ج3، ص1201.
(9) الشابشتي، الديارات، ص238.
(10) جواد علي، المُفصَّل في تاريخ العرب، ج5، ص213.

أما صاحب هذا القصر الأبيض، فمن خلال اسمه أبيض النعمان فهو للنعمان، لكن يذكر الأصفهاني في أغانيه يقول: ((وجابر هو صاحب القصر الأبيض بالحيرة))[1]، وجابر هذا هو: ((جابر بن شمعون وهو الأسقف أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب))[2]، ولم يتبين من هو المالك الحقيقي للقصر من خلال ما ورد التراث العربي الإسلامي.

يرد اسم القصر الأبيض في مصادر التاريخ الإسلامي مع قصر ابن بقيلة وقصر العدسين وقصر بني مازن أو ابن مازن[3]، وهي قصور تقع - على ما يبدو من مجريات التاريخ - عند مدخل الحيرة ضمن منطقة النجف، ويحدد الطبري في تاريخه موقع القصر الأبيض عند حديثه عن قيادة خالد بن الوليد معركة فتح الحيرة سنة (12هـ) بقوله: ((عَسْكَرَ (أي خالد) بين الغريين والقصر الأبيض))[4]. ويعني كلام الطبري أن هذا القصر قريب من موضع النجف المجاور للغريين كما ورد في التاريخ.

بقي هذا القصر إلى العصر الإسلامي، فمن خلال مصادر التاريخ المتوافرة عرفنا أن هذا القصر كان في زمن المختار بن أبي عبيد المتوفي سنة (67هـ) في العصر الأول الهجري، فقد ورد: أن المختار بن أبي عبيد دخل القصر الأبيض وعثر على أشعار مدفونة كان النعمان بن المنذر قد دفنها فيه[5]، بقي القصر الأبيض إلى سنة (132هـ) ففي أحداث هذه السنة ذكر الطبري أن سفيان بن معاوية وأهله نزلوا فيه يقول الطبري: ((وخرج من فوره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه، ثم ارتحلوا منه إلى كسكر))[6]، ولم نعرف أخبار القصر بعد ذلك.

2. قصر بني بُقيلة

قصر بني بُقيلة أو قصر عبد المسيح بن بقيلة من قصور الحيرة المشهورة الواقعة ضمن منطقة النجف، ومن خلال التسمية يعرف القصر أنه لعبد المسيح بن بُقَيلة الحيري المعروف، يذكر ابن دريد: ((بقيلة صاحب القصر الذي يقال له قصر بني بقيلة بالحيرة. منهم عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة))[7].

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص115.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص115.
(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص341. الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص360.
(4) تاريخ الطبري، ج3، ص360.
(5) ابن جني، الخصائص، ج1، ص387.
(6) الطبري، تاريخ الطبري، ج7، ص420.
(7) ابن دريد، الاشتقاق، ص485.

ويقول الشابشتي: ((وكان هذا القصر لعبد المسيح بن بقيلة الغساني، وإنما سمي بُقيلة، لأنه خرج يومًا على قومه في حُلّتين خضراوين قد اتزر بإحداهما واشتمل بالأخرى، فقال قومه ما هو إلا بقيلة. فَسمي بذلك))[1]، يقع القصر على ما يبدو خارج الحيرة أو في ظهرها أو ظاهرها، وليس في داخل الحيرة. ويقرّب موقعه بالقرب منها لا في داخلها ما أورد الطبري من أن قصر بني بُقَيْلة كان أحد القصور التي أمر خالدين الوليد بمحاصرتها قبيل دخول الحيرة[2]، ويذكر أيضًا ((وكان المثنى محاصرًا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح))[3]، ومن هذه المعلومة نستنتج وجود القصر خارج الحيرة، وفي كلا الحالين وجوده داخل الحيرة أو في خارجها هو في منطقة الظهر أو منطقة النجف، ويذكر الشريف المرتضى المتوفى سنة (436هـ) في أماليه: ((ويقال إن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بقيلة قال:

لقد بنيتُ للحدثان حصنًا ... لو أن المرء تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخرًا ... لأنواع الرياح به حنين))[4]

وهذا يدل على أن قصر بني بقيلة فخم عظيم شامخ ليس عاديًّا.

ويقول أيضًا: ((وذكر أن بعض مشايخ أهل الحيرة خرج إلى ظهرها يختط ديرًا، فلما احتفر موضع الأساس، وأمعن في الاحتفار أصاب كهيئة البيت، فدخله فإذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة: أنا عبد المسيح بن بقيلة:

حلبت الدهر أشطره حياتي ... ونلت من المنى بُلغَ المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني ... فلم أحفل بمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ... ولكن لا سبيل إلى الخلود))[5]

3. قصر بني مازن

قصر بني مازن أو قصر ابن مازن أحد قصور منطقة النجف، أورد هذا القصر الطبري وابن الجوزي وابن الأثير في تواريخهم كأحد القصور التي أمر خالد بن الوليد محاصرته قبيل الدخول إلى مملكة الحيرة لفتحها، فقد أورد المؤرخ الطبري: ((وكان ضرار بن مقرن المزني

(1) الشابشت، الديارات، ص239. الشريف المرتضى، أمالي المرتضى، ص262.
(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص360.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص360. ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص104. ابن الأثير، الكامل، ج2، ص390.
(4) الشريف المرتضى، أمالي المرتضى، ص264.
(5) المصدر نفسه، ص265.

عاشر عشرة إخوة له محاصرًا قصر بني مازن وفيه ابن آكال))[1]، ولم تتوافر معلومات عن بقائه بعد هذا التاريخ.

4. قصر بني مقاتل

قصر بني مقاتل أو قصر ابن مقاتل أو قصر مقاتل، ورد في التاريخ على الصور الثلاث المذكورة. وهو أحد قصور منطقة الحيرة أو منطقة النجف.

ذكر ياقوت الحموي موقع هذا القصر بقوله: ((قصر كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطقطانة وسُلام ثم القريّات))[2].

ويبدو من خلال كلام أبو الفرج الأصفهاني أن القصر يقع خارج مملكة الحيرة، وفي منطقة، مناسبة للصيد، يقول الأصفهاني: إن عمرو بن امرئ القيس وغيره ((خرجوا إلى الصيد فأتوا قصر ابن مقاتل فمكثوا فيه يتصيدون))[3]. و((ينسب هذا القصر إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة من تميم))[4]، ويذكر الحموي: ((وخرّبه عيسى بن علي بن عبد الله، ثم جدد عمارته فهو له، ذكره ابن طخماء الأسدي بقوله:

كـأن لـم يكن بالقصر قصر مقاتل وزوره ظـل نـاعـم وصـديـق))[5]

ويبدو أن قصر مقاتل كان موقعًا إستراتيجيًا مهمًا، فقد ورد أن عبيد الله بن الحر الجعفي قال:

وبالقصر مـا جربتموني فلم أخم ولـم أك وقـافًـا ولا طـائـشًـا فشل
وبـــادرتُ أقـوامًـا بـقـصـر مقاتل وضاربتُ أبطالًا ونازلت من نـزل[6]

5. قصر سنداد

من خلال مصادر التراث العربي والإسلامي، يستطيع الباحث التقاط قصر مهم على نهر سنداد الواقع ضمن منطقة النجف، فقد أورد البكري عند حديثة عن نهر سنداد: ((نهر عظيم بالسواد كان عليه قصر مشرف))[7]، ويقع نهر سنداد كما يقول البكري: ((وهو نهر فيما بين الحيرة إلى الأبلة

(1) تاريخ الطبري، ج3، ص360. ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص104. ابن الأثير، الكامل، ج2، ص390.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص364. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1100.
(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص154.
(4) ابن الفقيه، البلدان، ص217. البلاذري، فتوح البلدان، ص397. معجم البلدان، ج4، ص364.
(5) معجم البلدان، ج4، ص364.
(6) المصدر نفسه، ج4، ص364.
(7) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص188.

وعليه كانت منازل إياد))[1]، ويفصِّل ياقوت الحموي في مادة سنداد هذا القصر بقوله: ((وسنداد: نهر فيما بين الحيرة إلى الأبلة كان عليه قصر تحج العرب إليه، وهو القصر الذي ذكره الأسود بن يعفر، مرّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جفنه فتمثل مزاحم مولاه بقول الأسود بن يعفر النهشلي:

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازل وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد))[2]

ويبدو من هذه النصوص التراثية أن هناك قصرًا يشرف على نهر سنداد، وهو ذو الشرفات الوارد في الشعر العربي على ما يبدو من السياق... ويمكن أن يستدل الباحث من خلال وقوعه على النهر العظيم (سنداد) والموصوف بذي الشرفات وتحج العرب إليه أنه لا بد أن يكون قصرًا مهمًا فخمًا منيفًا غير عادي كسائر القصور، إضافة إلى وروده مع الخورنق والسدير الشهيرين.

6. قصر الطين

قصر الطين أحد قصور الحيرة كما ورد في التاريخ، ذكره ياقوت الحموي بقوله: ((قصر الطين من قصور الحيرة))[3]، وأورد الحموي قصرًا آخر باسم قصر الطين بباب الشمالية بناه يحيى بن خالد[4]، ومثل ياقوت تمامًا ذكره البغدادي، فعده من قصور الحيرة))[5]. ولم يرد أي تفصيل لمكانه وزمان إنشائه ولا تفاصيل أخرى عنه.

7. قصر العباد

قصور العباد أو قصور العباديين هي قصور ابتنوها بظاهر الحيرة الواقعة ضمن منطقة النجف الكبرى. وقد أورد التاريخ ذكر العباد وقصورهم، يقول المؤرخ ابن العبري: ((العباد وهم قوم من النصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة، وتسمّوا بالعباد لأنه لا يضاف إلا إلى الخالق، وأما العبيد فيضاف إلى المخلوق والخالق))[6]، ومن ديار العباديين ما يقع قرب الكوفة يقول الأصفهاني: ((ديار بني مرينا العباديين بين دير هند والكوفة))[7].

(1) المصدر نفسه، ج3، ص46.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص266.
(3) المصدر نفسه، ج4، ص359.
(4) المصدر نفسه، ج4، ص359.
(5) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1099.
(6) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص144.
(7) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص80.

8. قصر العدسيين

قصر العدسيين هو قصر آخر من قصور مملكة الحيرة الواقعة ضمن منطقة النجف الكبرى، وينسب هذا القصر إلى بني عمار بن عبد المسيح بن قيس الكلبي، وسمى بالعدسيين نسبة إلى جدتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي[1]. ويقول ابن الفقيه ((وقصر العدسيين في طرف الحيرة))[2]. ويقول الحموي: ((قصر كان بالكوفة في طرف الحيرة))[3]. ويقول البغدادي: ((قصر العدسيين جمع العدسي الذي يطبخ العدس قصر بالكوفة في طرف الحيرة))[4]، أما البلاذري فيقول إن القصر بطرف الحيرة دون أن يذكر الكوفة[5].

ويعد قصر العدسيين من أوائل القصور التي فتحها المسلمون أثناء الفتوحات الإسلامية، فقد ورد في التاريخ أنه أحد القصور التي حاصرها ضرار بن الخطاب بأمر من خالد بن الوليد[6]. ويقول الحموي عند حديثه عن هذا القصر: ((قصر العدسيين لبني عمار بن عبد المسيح... وهو أول شيء فتحه المسلمون لما غزوا العراق))[7]، وقد ظل هذا القصر قائمًا إلى القرن الرابع الهجري، فقد ذكر الشابشتي المتوفى سنة (388هـ) في دياراته أنه باق لزمانه[8].

9. قصر العُذيب

قصر العذيب من قصور منطقة النجف، ويذكر المؤرخون والجغرافيون أنه يقع في موضع العذيب، والعذيب تقع ضمن منطقة النجف، يقول البكري: ((العذيب الذي بظهر الكوفة وبارق هناك أيضًا))[9].

ذكر هذا القصر اليعقوبي بقوله: ((... وكان سعد يومئذ عليلًا فصار إلى قصر العذيب فنزله وتحصن فيه))[10]، وذكره الطبري كمنطقة عسكرية إستراتيجية وحصنًا ومحبسًا وقصرًا مهمًا،

---

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص218. البلاذري، فتوح البلدان، ص401.

(2) ابن الفقية، كتاب البلدان، ص218.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص360.

(4) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، 1099.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص401.

(6) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص360. ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص104. ونقل ابن الأثير، ((وكان ضرار بن الخطاب محاصرًا قصر الغريين)) ج2، ص390، ويبدو أنه خطأ في النقل أي يقصد (العدسيين) فتاريخ ابن الأثير في غالبه نقل عن الطبري.

(7) معجم البلدان، ج4، ص360.

(8) الشابشتي، الديارات، ص240.

(9) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص192.

(10) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص99. الطبري، وتاريخ الطبري، ج3، ص573.

يقول الطبري: ((سار (سعد بن أبي وقاص) إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادس - قرية إلى جانب العذيب - فنزل الناس بها ونزل سعد في قصر العذيب))[1]، وقال الطبري أيضًا: ((وسعد في منزله وَجِع قد خرج به قرح شديد ومعه أبو محجن بن حبيب الثقفي محبوس في القصر، حبسه في شرب الخمر))[2]، وهذا يدل على أنه قصر ومحبس ومركز قرار.

10. قصر عون العبادي

قصر عون العبادي أحد قصور الحيرة الواقع ضمن منطقة النجف الكبرى. ذكره الشابشتي في دياراته وعده من قصور الحيرة، وهي مما يلي النجف[3] ولا نعرف هل هو في داخل الحيرة تمامًا أم في منطقة الحيرة.

ومن خلال اسمه (قصر عون العبادي) عرفنا أن صاحبه هو عون العبادي، مِنْ عباد الحيرة، وهم من نصارى الحيرة المشهورين، ولا نملك تفاصيل عن هذا القصر، لكن يبدو أنه قصر شهير نزل فيه الخليفة هارون الرشيد المتوفى سنة (193هـ) في طريقه إلى بغداد. يذكر الطبري: ((أن الرشيد حج في سنة سِت وثمانين ومئة وأنه انصرف من مكة، فوافى الحيرة في المحرم من سنة سبع وثمانين ومئة عند انصرافه من الحج، فأقام في قصر عون العبادي أيامًا))[4]، ويعني هذا أن القصر كان سليمًا في نهاية القرن الثاني الهجري.

11. قصر الفِرس

قصر الفِرس هو أحد قصور منطقة الحيرة أو النجف الكبرى، ذكره الحموي بقوله: ((والفِرس ضرب من النبات، وقد ذكر في الفرس، وهو أحد قصور الحيرة الأربعة))[5]، ومثل ذلك قال البغدادي في مراصده، قال ((أحد قصور الحيرة))[6].

ويذكر ابن الجوزي في بعض نسخ المنتظم (الأصل) أن خالد بن الوليد أمر ضرار بن الخطاب بمحاصرة (قصر الفِرس) لكن لم يرد ذلك في المصادر القديمة كالبلاذري والطبري، وحتى ابن الجوزي في النسخة المحققة، وإنما الأدق - على ما يبدو - كما ذكرت المصادر القديمة أو الأقدم، أن ضرار بن الخطاب قام بمحاصرة (قصر العدسيين) وليس (قصر الفرس)،

(1) تاريخ الطبري، ج3، ص573.
(2) المصدر نفسه، ج3، ص573.
(3) الشابشتي، الديارات، ص240.
(4) الطبري، تاريخ الطبري، ج8، ص295. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص336.
(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص362.
(6) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1099.

كما ذكر الطبري[1] الأسبق زمنًا والنسخة المحققة للمنتظم لابن الجوزي[2]، ولم تتوافر معلومات كافية عن هذا القصر الحيري.

12. قصر المسقَّطات

قصر المسقطات أحد قصور الحيرة الواقعة ضمن منطقة النجف الكبرى، فقد تحدث الشابشتي عن ديارات الأساقف ووصفها بقوله: ((وهي قباب وقصور تسمى ديارات الأساقف))[3]، ومن هذا النص نعرف أن ديارات الأساقف تشمل عدة قصور، ثم ذكر الشابشتي أيضًا: ((ومن هذه الأبنية المسقَّطات وهو قصر فيه آزاج مستطيلة مسقطة شرقي الحيرة على طريق الحاج))[4].

وإذا كان قصر المسقطات ضمن منطقة ديارات الأساقف، الواقعة قرب موضع النجف، فهو كذلك قرب هذا الموضع، أي موضع النجف.

ثانيًا: الخورنق والسدير: قصران نموذجيان

القصران التوأمان

الخورنق والسدير اسمان شهيران في عالم العمارة القديم، أو قصران شهيران في تاريخ القصور القديمة، ذكرتهما مصادر التراث العربي والإسلامي على أنهما قصران بُنيا قبل العصر الإسلامي في منطقة الحيرة أو منطقة النجف.

وفي حسابات العمارة والحصون والبناء في العالم القديم يقع الخورنق والسدير ضمن عدد من القصور أو الأبنية الشهيرة في العالم، يذكر شهاب الدين النويري المتوفى سنة (733هـ) هذين القصرين من: ((مباني العرب المشهورة: وهي غمدان وحصن تيما والخورنق والسدير والغريّان))[5]، وإذا أورد التاريخ مواصفات لقصر غمدان الشهير والأبعد في التاريخ[6]، فإن التاريخ كان شحيحًا علينا بمواصفات قصري الخورنق والسدير، ولعلَّ هذه الشحة المعلوماتية كانت وراء شهرة القصرين التراثيين.

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص360.
(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص104.
(3) الشابشتي، الديارات، ص236.
(4) المصدر نفسه، ص238.
(5) شهاب الدين النويري، نهاية الارب في فنون الأدب، ج1، ص384.
(6) المصدر نفسه، ج1، ص384.

أما على مستوى المنطقة (منطقة النجف) التي احتضنت عددًا من القصور الشهيرة، فقصر الخورنق والسدير هما أهم وأشهر قصور المنطقة دون أي شك.

لقد ورد هذان القصران في مصادر التراث العربي والإسلامي وخاصة على مستوى الأدب والشعر، وردا متلازمين متعانقين، فلم يذكر قصر الخورنق إلا ومعه قصر السدير، ولم يذكر السدير إلا ومعه الخورنق. ذُكرا وكأنهما توأمان متلاصقان لا ينفك أحدهما عن الآخر في حال حياتهما وفنائهما، وقصر الخورنق والسدير هما من ممتكلمات مملكة الحيرة الشهيرة في التاريخ، ينسب تشييدهما إلى بعض ملوك الحيرة، حتى ليمكن القول إن شهرة هذين القصرين التراثيين فاقت شهرة مؤسسيهما النعامنة أو المناذرة، بل وحتى شهرة المملكة مملكة الحيرة نفسها.

فإذا كانت مملكة الحيرة إحدى الممالك القديمة الكثيرة، وملوك الحيرة ضمن عدد الملوك القدماء الكُثر، فإن قصري الخورنق والسدير هما فريدان بين القصور، خورنق واحد وسدير واحد، ليس لهما ما يشابههما في العالم القديم، من هذا المنطلق وعلى هذا الأساس، أفردنا لكل منهما بحثًا خاصًا به.

1. قصر الخورنق (التوأم الأكبر)

الخورنق من القصور الشهيرة والمهمة في التاريخ الحضاري القديم، بل لعلّه أشهر قصر أو عمارة تراثية قديمة وصل إلينا خبرهُ، حيث حظي هذا القصر باهتمام كبير من المؤرخين والجغرافيين وأهل الأدب والشعر وغيرهم إلى درجة كبيرة، ومن أهمية هذا القصر التاريخية الكبيرة وشهرته الواسعة في الآفاق، دارت حوله الأساطير والخرافات والقصص الخيالية والخوارق والمعجزات. وهذه الأمور أضرَّت كثيرًا بحقيقة هذا القصر التاريخية الواقعية، فغاب عنا كثير من الحقائق والمعلومات، لنكون أمام قصر أشبه بالقصور الخيالية التي وردت في قصص ألف ليلة وليلة.

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين والجغرافيين والتراثيين في مدلول أو مداليل أو مصاديق (الخورنق)، وفيما إذا كان قصرًا أو بلدًا أو قرية أو مجلسًا للأكل والشرب، فإنه يصعب تجاوز شهرته قصرًا تراثيًا منيفًا عظيمًا لم يَصِل إلى عظمته وشهرته وفخامته أي قصر في الدنيا القديمة.

وإذا ما دخلنا في صميم القصر (قصر الخورنق) في قراءة أصل تسميته ونقطة بدايته (زمانه) ومكانه وأخبار تأسيسه والبحث عن مؤسسه وبانيه ومواصفاته وفخامته ودرجته العمرانية وامتداده في التاريخ ونقطة نهايته، فسنكون أمام كم تراثي ضخم مكدّس من الأخبار

تمتزج فيه الحقائق بالأخطاء بالمبالغات بالاضطرابات المعلوماتية بالأقوال المتضاربة الكثيرة، شأنه شأن أيِّ أمر عظيم. وفي هذه الحالة لا يمكن الاطمئنان إلى نتائج بحثية معلوماتية دقيقة إلا في حدود، وما لم تتعاضد المادة التراثية المكتوبة بالاكتشافات والتنقيبات الآثارية الحديثة بالبحوث العلمية التحليلية الجادة والدقيقة لا يمكن قراءة قصر الخورنق قراءة واقعية أو قريبة من الواقعية.

الخورنق: أصل التسمية

فعلى مستوى أصل الاسم (التسمية) اختلف التاريخ بين أن يكون الاسم (الخورنق) من أصل عربي أو من أصل غير عربي، وقد ورد في ذلك أقوال وآراء جديدة، فمنهم من أرجع الاسم إلى اللغة الفارسية.

يقول الخليل الفراهيدي المتوفى سنة (175ه): ((والخورنق نهر وهو بالفارسية خُرَنْكاه فَعُرِّب الخَوَرْنَق))[1]، ويقول البكري الأندلسي المتوفى سنة (487ه): ((والخورنق خَوَرنقاه أي الوضع الذي يأكل فيه الملك ويشرب))[2]، ويقول الجواليقي المتوفى سنة (540ه): ((والخَوَرنق كان يسمى (الخُرَنْكاه) وهو موضع الشرب فأعرب))[3]، ويقول الحموي المتوفى سنة (626ه): ((...إنما هو من الخُوْرَنكاه، بضم الخاء وسكون الواو وفتح الراء وسكون النون والكاف، يعني موضع الأكل والشرب بالفارسية، فَعَربته العرب فقالت الخورنق، ردته إلى وزن السَفرجل))[4].

ويقول ابن منظور المتوفى سنة (711ه): ((والخورنق: المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب فارسي معرب))[5]، وهناك أقوال وآراء مشابهة أخرى لا مجال لذكرها هنا.

وهناك من يرجع أصل الخورنق إلى اللغة العربية: قال الخليل الفراهيدي: ((الخِرنق الفتي من الأرانب))[6]، وورد في ذلك أيضًا: ((قال الأصمعي سألت الخليل بن أحمد عن الخورنق فقال ينبغي أن يكون مشتقًا من الخِرنق الصغير من الأرانب))[7]، وفي أصل الخرنق يقول الأزهري المتوفى سنة (370ه): ((وقال الليث الخِرْنِق الفتيُّ من الأرانب))[8] ويقول أيضًا:

(1) الخليل الفراهيدي، العين، ج4، ص321.
(2) معجم ما استعجم، ج2، ص141.
(3) الجواليقي، المعرَّب من الكلام الأعجمي، ص126.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص401.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص79.
(6) الخليل، العين، ج4، ص321.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص401.
(8) الأزهري، تهذيب اللغة، ج7، ص256.

((وقال الليث الخرنق ولد الأرنب))[1]، ويقول الجوهري المتوفى سنة (393هـ): ((والخِرْنِق: ولد الأرنب))[2].

وهناك أقوال وآراء مشابهة أخرى: ومن المعاصرين يقول المستشرق لويس ماسنيون: ((والظاهر أن الاسم الخورنق من أصل إيراني (هڤرنه) أي ذي السقف الجميل في رواية اندرياس أو خورنر أي مكان العيد في رواية فولرز))[3]، و((كما أن نولدكه يربط بينه وبين كلمة عبرية ربانية معناها الشجر أو الغرْس))[4].

الخورنق: مداليل الكلمة

وإذا ما تجاوزنا أصل الكلمة الخورنق إلى ما تحمل من مداليل ومصاديق ومعان موجودة على الأرض في امتداد تاريخ الكلمة، فسنعرف أن التاريخ الحضاري يحدثنا في الأساس عن قصر عظيم منيف شهير تتجاوز شهرته المحلية والشخصية إلى قصر ملوكي فخم فريد من نوعه، حتى عدّهُ النويري المتوفى سنة (733هـ) من ((مباني العرب المشهورة: وهي غمدان وحصن تيما والخورنق والسدير والغريّان))[5].

وقد ذكره عدد من الجغرافيين والمؤرخين والأدباء والباحثين قصرًا تاريخيًا مهمًا، ومن هؤلاء يمكن أن نذكر قول البكري الأندلسي: ((الخورنق قصر النعمان))[6] وقول الحموي: ((الخورنق قصر كان بظهر الحيرة))[7] وقول البغدادي المتوفى سنة (739هـ): ((إنه القصر القائم إلى الآن))[8]. وهناك آخرون ذكروا الخورنق قصرًا[9]، وإضافة إلى كونه قصرًا عظيمًا ورد بمداليل أخرى: ورد مجلسًا، ذكر الجواليقي بناء على فارسية الخورنق أنه: ((موضع الشرب))[10]، ومثله ابن منظور يقول: ((والخورنق: المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب))[11].

(1) المصدر نفسه، ج7، ص256.
(2) الجوهري، الصحاح، ج4، ص1468.
(3) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص35.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص35–36.
(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص384.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص141.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص401.
(8) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص489.
(9) منهم مثلاً، القزويني في آثار البلاد، ص186، وابن منظور في لسان العرب، ج10، ص79، والفيروزآبادي في قاموسه، ص879، وغيره آخرون.
(10) الجواليقي، المعرَّب، ص126.
(11) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص79.

وورد أيضًا ليدل على موضع محدد، يقول الحموي: ((موضع بالكوفة))[1]، وورد أيضًا ليدل على نهر، يقول الخليل: ((الخورنق نهر))[2]، ووردت الكلمة لتدل على بلد بالمغرب[3]، ووردت الخورنق لتدل على نبت (ولعلّها بيت مُصَحَّفة)[4]، ويجمع الفيروزآبادي هذه المداليل والمصاديق أو أغلبها ليقول في مادة الخورنق: ((الخورنق قصر للنعمان الأكبر معرب خورنكاه أي موضع الأكل ونهر بالكوفة وبلد بالمغرب وقرية ببلخ))[5]، وهنا يمكن القول: إن كلمة الخورنق، يمكن أن ينضوي تحتها أكثر من مصداق ومدلول، كأن يكون هناك قصر باسم الخورنق، وكذلك نهر وبلد وقرية وهكذا، ومثل هذه الحالة واردة على مستوى التاريخ والجغرافية في التراث الإسلامي.

أين يقع قصر الخورنق؟

من خلال ما وصل إلينا من التراث والتاريخ بشكل عام، ومن خلال ما وصل إلينا من تراث وتاريخ مملكة الحيرة بشكل خاص، عرفنا أنَّ قصر الخورنق هو أحد العناصر والأركان الشهيرة في مملكة الحيرة الواقعة إلى جنوب بابل ضمن العراق.

فهو إذن يقع ضمن منطقة الحيرة أو منطقة النجف، ويمكن حصره من خلال التعبير التراثي في ظهر الحيرة أو ظاهر الحيرة. يقول البكري الأندلسي: الخورنق...((قصر النعمان بظهر الحيرة))[6] ثم يتحدث عن هذا المكان بقوله: ((إن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مريء، صحيح من الأدواء، فَذُكر له ظهر الحيرة، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان، وأمره ببناء الخورنق مسكنًا له في عشرين حجة))[7].

وهو اختيار له معناه البيئي: ((فَوُصف له هواء بين البدو والحضر فبنى له ذلك))[8] ويقول القزويني: ((بنى النعمان... قصرًا بظاهر الحيرة))[9]. وظهر الحيرة أو ظاهر الحيرة منطقة ممتدة واسعة كما ذكرنا، فأين يقع قصر الخورنق من هذا الظهر أو الظاهر؟

---

(1) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص401. مراصد الاطلاع، ج1، ص489.
(2) الخليل، العين، ج4، ص321. الجواليقي، المعرب، ص127. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص489. ابن منظور، لسان العرب، ج10/ ص79. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص879.
(3) معجم البلدان، ج2، ص401. القاموس المحيط، ص879.
(4) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص79.
(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص879.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص141. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص401.
(7) المصدر نفسه، ج2، ص141.
(8) الجواليقي، المعرَّب، ص126.
(9) زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص186.

وإذا عرفنا أن الحدود بين هذا الموضع وذاك غير واضحة وغير مرسَّمة وغير محددة في زمن لم يكن الاهتمام واضحًا في أمور الحدود ومعالم البلدان والمدن، مع التاريخ البعيد الذي يفصلنا عن زمانه، إذا عرفنا ذلك أدركنا صعوبة تحديد أيٍّ نقطة من نقاط الظهر. وهنا سنقف أمام عدد من المواقع يمكن أن يكون بعضها موقعًا للقصر أو احتمالًا.

فمن ذلك ما أورده اليعقوبي المتوفى سنة (284هـ)، بقوله: ((والخورنق بالقرب منها - النجف - مما يلي الشرق، وبينه وبين الحيرة ثلاثة أميال والسدير في برية تقرب منها[1]، ويذكر ابن الفقيه المتوفى نحو سنة (290هـ) موقع القصر العام بقوله: ((فصعده (أي صعد القصر) النعمان على دابته فنظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه))[2]، ثم يحددهُ أكثر فأكثر فيورد ابن الفقيه: ((فجلس (النعمان) ذات يوم في مجلسه من الخورنق فأشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق، والخورنق قصر بحذاء الفرات، يدور عليه في عاقول كالخندق))[3].

ويورد الطبري المتوفى سنة (310هـ) عند ذكره خروج رستم، القول: ((فخرج ونزل بحيال دير الأعور، ثم انصب إلى الملطاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف بحيال الخورنق إلى الغريَّين))[4]، ويذكر الثعالبي المتوفى سنة (429هـ): ((فبنى الخورنق على فرات الكوفة للنعمان بن امرئ القيس في مدة عشرين سنة))[5]، ويذكر البكري الأندلسي المتوفى سنة (487هـ) في مادة أنقرة: ((موقع بظهر الكوفة أسفل من الخورنق))[6].

ويذكر الحموي المتوفى سنة (626هـ) الخورنق: ((هو موضع بالكوفة))[7]، ويذكر ابن سعيد الأندلسي المتوفى سنة (685هـ) موقع ((الخورنق والسدير في جهة الحيرة على مياه الفرات))[8]، ويتحدث النويري المتوفى سنة (733هـ) عن الخورنق فيقول: ((فكان الخورنق على ثلاثة أميال من الحيرة، والسدير في برية بالقرب منها))[9]، ويقول أيضًا: ((فدفع ابنه بهرام

(1) اليعقوبي، البلدان، ص146.
(2) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص212.
(3) المصدر نفسه، ص213.
(4) تاريخ الطبري، ج3، ص508.
(5) الثعالبي، ثمار القلوب، ص139.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص188.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج2/ 401. مراصد الاطلاع: 1/ 489.
(8) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج1، 275.
(9) نهاية الأرب، النويري: ج1، 385.

جور إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق فبناه على نهر في عشرين سنة))[1]، ويورد ابن بطوطة المتوفى سنة (779هـ) أن الخورنق: ((وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات))[2].

ومن المعاصرين، ذكر المستشرق ماسنيون: أن الخورنق ((موضع على مسيرة نحو ميل من النجف من أعمال الجزيرة سكنته في أول الأمر قبيلة إياد))[3]، وذكر أيضًا: أن الخورنق ((قصر بناه في هذا الموضع الأمير اللخمي النعماني لمولاه الساساني بعد عام 418م))، وذكر أيضًا: ((وكان خرائب وأطلالًا في القرن الخامس عشر الميلادي))[4]. ويبدو أن المستشرق استند في هذا التاريخ إلى ما ذكره ابن بطوطة المتوفى سنة (779هـ) أو بعده بقليل. ويقول (أيْ ماسنيون) أيضًا: ((وأذكر هناك فقط الخورنق الذي أخذت لأسسه عدة تصاوير))[5].

ويذكر د. جواد علي: ((ويتبيّن من روايات أهل الأخبار عن الخورنق... لم يكن بعيدًا عن الحيرة، وإنما كان على مقربة منها، وربما كان على مسافة ميل من الحيرة))[6]، ويقول د. حسن الحكيم: ((إن قصر الخورنق يقع على مرتفع بحر النجف، وقد بقيت آثاره إلى مطلع القرن العشرين))[7]. ثم يقول: ((وكنت قد وقفت على أطلال الخورنق المطلة على بحر النجف، فوجدت المسافة بينه وبين مركز المدينة لا تزيد على خمسة كيلومترات))[8].

ويورد الأستاذ طالب الشرقي رأي الأستاذ فؤاد سفر (مدير الآثار العراقية) بقوله: ((موقع الخورنق يشكل مع النجف والكوفة الحاليتين مثلثًا متساوي الأضلاع طول ضلعه عشرة كيلومترات، ويقع القصر على الحافة اليمنى من نهر الفرات))[9]. ويذكر أيضًا رأي الأستاذ ناجي الأصيل (مدير الآثار العراقية) بقوله: ((بين النجف وأبي صخير على حافة مسناة مشرفة على أرض مطمئنة تقع بقايا الخورنق قصر المناذرة))[10]. فعلى الرغم من المعلومات والأخبار غير القليلة الواردة عن قصر الخورنق الشهير، فهي معلومات وأخبارٌ لا توفر التحديد الدقيق

(1) المصدر نفسه: ج1، 386.
(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص199.
(3) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص35.
(4) المصدر نفسه، ج9، ص35.
(5) ماسنيون، خطط الكوفة، ص14.
(6) جواد علي، المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص201.
(7) حسن الحكيم، المفصَّل في تاريخ النجف، ج1، ص55.
(8) المصدر نفسه، ج1، ص55.
(9) طالب الشرقي، قصور العراق العربية والإسلامية، ص29.
(10) المصدر نفسه، ص29.

لموقعه في منطقة النجف، فالقصر هو في منطقة النجف دون أي شك في ذلك، ولكن المشكلة في أي نقطة من نقاط المنطقة، هذا ما لم توفره النصوص التراثية الواردة إلينا من التاريخ، وذلك لعدم دقة المعلومات وتضاربها في كثير من الأحيان وعدم توفير التنقيبات وعمليات البحث عن الآثار نقوشًا ومواد آثارية نافعة أو علامات مهمة تدل على حقيقة القصر ولو مجملة.

والذي يتبين من مجموع المعلومات التاريخية الواردة عن هذا القصر التراثي الشهير أنه يقع على نهر أو فرع من نهر أو حتى على بحر (بحر النجف)، وعلى الأكثر على فرع من نهر الفرات، وعلى مقربة من (النجف) إلى الشرق منها كما في قول اليعقوبي[1]، ومشرف على النجف كما في قول ابن الفقيه[2]، وهناك نصوص تراثية أخرى تؤيد هذا الموضع كما أشرنا آنفًا. وكل هذا يشير إلى وقوع القصر بين النجف والحيرة دون تحديد دقيق لنقطة وقوعه. ويمكن ذلك (أي تحديد الموقع) إذا جاءت التنقيبات والاكتشافات الآثارية بأدلة مادية قاطعة تدل على موقعه.

وفي المحصلة النهائية، ما لم تتعاضد المعلومات التنقيبية والآثارية والمعلومات التاريخية المكتوبة مع دلائل مادية، نقوش، بقايا من أجزائه تدل عليه، فلا نستطيع تحديد مكانه الحقيقي وتعيين حقيقته التاريخية؛ أما على مستوى الاحتمالات فهي كثيرة وغير محدودة.

من أسس قصر الخورنق ولماذا؟

يرد قصر الخورنق في التاريخ القديم كأحد أشهر ممتلكات ملوك الحيرة، وعلى الرغم من اختلاف الروايات التاريخية واضطرابها وتنوع الأخبار الواردة عن تأسيس القصر ومؤسسه، فإن غالبها ينسب هذا القصر إلى الملك الحيري الشهير النعمان بن امرئ القيس المعروف بالنعمان الأكبر أو الأول أو الأعور أو السائح وأمه شقيقة بنت ربيعة بن ذهب بن شيبان (403-431م) والذي أطلق عليه التاريخ صاحب الخورنق أو بانيه أو ربه وغير ذلك.

يذكر ابن قتيبة المتوفى سنة (276هـ): ((النعمان بن امرؤ القيس. وكان أعور، وهو الذي بنى الخورنق، وهو النعمان الأكبر))[3]، ويذكر اليعقوبي المتوفى سنة (282هـ): ((ثم ملك النعمان وهو الذي بنى الخورنق))[4].

(1) اليعقوبي، البلدان، ص146.
(2) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص213.
(3) ابن قتيبة، المعارف، ص647.
(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص180.

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني المتوفى سنة (356هـ): ((وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة، وهو الذي ساح على وجهة فلم يعرف له خبر))[1]، ويذكره ابن قتيبة وغيره (برب الخورنق) يقول الشاعر عدي بن زيد:

وتبيّن رب الخورنق إذ أشرف يومًا وللهدى تفكيرُ[2]

ويذكر ابن سعيد الأندلسي المتوفى سنة (685هـ): ((قال صاحب تواريخ الأمم: كان ملكه (أي النعمان بن امرؤ القيس) إلى أن ساح في الأرض ثلاثين سنة، ويقال له السائح الأعور وهو باني الخورنق والسدير))[3]. وهناك أقوال مشابهة أخرى لا مجال لذكرها هنا.

وقد بناه النعمان بن امرؤ القيس استجابة لرغبة الملك الساساني يزدجرد الأول (399-420م) المعروف بالأثيم ليكون منزلًا ومصحًا لابنه بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف: ((وذلك أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد، وكان بهرام أصابه جن في صغره، فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدواء، فقالت الأطباء لا يبرأ حتى تخرجه من أرضك إلى بلاد العرب، ويسقى أبوال الإبل وألبانها، فوجهه يزدجرد إلى النعمان وأمر ببناء الخورنق مسكنًا له ليعالج فيه، فعولج فبرأ))[4].

وإذا كان مؤسس قصر الخورنق النعمان بن امرئ القيس (403-431م) أي في القرن الخامس الميلادي فإن د. جواد علي يورد غير هذا التاريخ، يورد تاريخًا أقدم يقول: ((يرى بعض الباحثين أن قصر الخورنق لم يكن بناء النعمان، وأنه إنما بني قبل ذلك، ويرى أن النعمان قد أسكن بهرام فيه))[5]، ويقول د. جواد علي أيضًا: ((ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن إقامة (بهرام) إنما كانت في قصر الخورنق، ويرون أنَّ بناء هذا القصر كان قد تمَّ قبل ذلك بزمن))[6].

وهناك روايات تاريخية أخرى تنسب تأسيس القصر إلى النعمان بن المنذر وهي الأقل حسب ما وردنا. فقد ورد أنه (أي النعمان بن المنذر) (صاحب الخورنق)[7] ويقول المسعودي:

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج2، ص144. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص315.
(2) ابن قتيبة، المعارف، ص647.
(3) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج1، ص275.
(4) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص213. الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص65. والبكري، معجم ما استعجم، ج2، ص141.
(5) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب، ج3، ص202.
(6) المصدر نفسه، ج2، ص646.
(7) الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص75.

((وملك النعمان بن المنذر فارس حليمة، وهو الذي بنى الخورنق وكردس الكراديس))[1]، ومثل ذلك يقول البغدادي في مراصده[2]. وابن منظور في لسانه[3].

مهندس القصر والجزاء الظالم

في التاريخ القديم تبرز شخصية هندسية شهيرة أسمها سنمّار الرومي، استقدمه ملوك الحيرة من الروم لبناء قصرهم الشهير (الخورنق) في منطقة الحيرة – النجف، ويبدو أنه مهندس وبنّاء قصور وحصون على مستوى الملوك والأمراء والدول، ذكره أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة (429هـ) بقوله: ((وكان سنمّار الرومي مشهورًا ببناء المصانع والحصون والقصور للملوك))[4].

وذكره اللغوي ابن منظور المتوفى سنة (711هـ) بقوله: ((سنمّار بنّاء مجيد رومي فبنى الخورنق الذي بظهر الكوفة))[5]. وفي حقه قيل المثل المشهور (جزاء سنمّار) المذكور في المصادر القديمة وكتب الأمثال، يقول الزمخشري المتوفى سنة (538هـ): ((وسنمّار بنّاء بنى للنعمان بن امرؤ القيس الخورنق، فقتله لئلا يعمل لغيره مثله. يضرب في عقوبة المحسن البريء))[6]، وذكره الميداني المتوفى سنة (518هـ) أيضًا بقوله: ((جزاء سنمار، أي جزائي جزاء سنمار))[7].

ويذكر هذه النهاية أو الحكاية المفجعة أغلب المؤرخين الذين ذكروا الخورنق، بل أن نهايته لصيقة بالقصر، يذكر ابن الفقيه وغيره: ((فصعده النعمان على دابته فنظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه، ورأى الحوت والضب والضبي والطير والظليم والنخل والزرع فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قط. فقال له سنمار: أما إني أعلم موضع آجرة لو زالت زال هذا القصر كله. فقال له النعمان: أيعرفها غيرك؟ قال: لا. قال: لا جرم لأدعنها لا يعرفها أحد. ثم أمر فقذف سنمّار من فوق القصر فتقطع، فضربت العرب به المثل فتقول: جازاني جزاء سنمار. فقال الشاعر:

جـزانـي جـــزاه الـلـه شـــرَّ جـزائـه جـــزاء سـنـمّـار ومـــا كـــان ذا ذنـبِ

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص98.
(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص489.
(3) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص383.
(4) أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب، ص139.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص383.
(6) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج2، ص52.
(7) الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص180.

سـوى رَمِّـه الـبـنـيـان سـتـيـن حجة يُـعَـلِّـي عـلـيـه بـالـقـراميـد والـسـكـبِ
فـلـمـا رأى الـبـنـيـان تـم سـحـوقـه وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعبِ
وظـنَّ سـنـمّـار بـه كـل خِـيـرةٍ وفـوزٍ لـديـه بـالـمـودَّة والـقُـرب
فـقـال اقـذفـوا بالعلج مـن فـوق رأسـه فهذا لعمر الله من أعجب الخطب))[1]

وذكر النويري روايةً أخرى يقول فيها: ((فلما فرغ من بنائه، عجب النعمان من حسن بنائه وإتقانه، فأمر أن يلقى سنمار من أعلاه حتى لا يَبنِي مثله لأحد. ويقال إنه إنما فعل ذلك به لأنه لما أعجبه، شكره على عمله ووصله، فقال: لو علمتُ أنَّ الملك يحسن إلي هذا الإحسان، لبنيتُ له بناءً يدور مع الشمس كيفما دارت، فقال له النعمان: وإنك لتقدِر على أن تبني أفضل منه، ولم تبنه؟ فأمر به، فطرح من أعلاه.

وقيل: بل قال: أنا أعرف فيه حجرًا متى أُخذ من موضعه، تداعى البناء. فخاف النعمان إن هو لم يُنصفه في أجرته فعل ذلك، فقتله. والعرب تضرب المثل بفعل النعمان مع سنمّار في المكافأة على الفعل الحَسَن بالقبيح، فيقال: جازاه مجازاة سنمّار))[2]، وذكر الثعالبي في ثماره: ((ويقال: بل قتله مخافة أن يَبني مثله لغيره من الملوك))[3]. ومثله ذكر الزمخشري[4].

فخامة القصر ومواصفاته

لم تصلنا مواصفات وافية خاصة محددة لقصر الخورنق من التاريخ القديم، ولا حتى من الاكتشافات والتنقيبات الآثارية، القليلة بالأساس، وكل ما وردنا من مواصفاته كلمات وعبارات وقرائن تدل على عظمة القصر وفخامته، يتخلل ذلك الكثير من التمجيد والخرافات والمبالغات والقصص الخيالية أحيانًا، فقد ورد أن بناءه دام نحو ستين أو سبعين سنة أو عشرين سنة، وهي مدة تدل على عظمة القصر وفخامته، يقول ابن الفقيه: ((وبنى - النعمان - الخورنق في ستين سنة))[5]، ثم يورد:

سـوى رمِّـه الـبـنـيـان سـتـيـن حجة يعلي عليه بالقراميد والسكب[6]

ويورد الزمخشري شعرًا يقول في بيت منه إن القصر بُني في سبعين سنة. يقول شرحبيل الكلبي:

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص212.
(2) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص386.
(3) الثعالبي، ثمار القلوب، ص139.
(4) الزمخشري، المستقصى، ج2، ص52.
(5) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص212.
(6) المصدر نفسه، ص212.

جـزانـي جـــزاه الـلـه شـر جـزائـه جـــزاء سـنـمّـار ومـا كـان ذا ذنـب
سـوى رصَّــهِ البنيان سبعين حجة يَـعُـلُّ عليه بالقراميد والـسـكـب[1]

ويقول البكري: ((فبناه (النعمان) في عشرين حجة))، ويورد البيت التالي:

جـزانـي جـــزاه الـلـه شـر جـزائـه جـــزاء سـنـمّـار ومـا كـان ذا ذنـب
سـوى رصَّــهِ البنيان عشرين حجة يعالي عليه بالقراميد والسكب [2]

وهذه الأرقام الستين والسبعين والعشرين، ولعل هناك أرقامًا أخرى، تدل على اختفاء الرقم الصحيح، وإذا ابتدأنا بجماليات القصر، فأول ما يُطالعنا وقوعه على النهر كما في عدد من الروايات التاريخية، ومنها ما يقول الثعالبي: ((فبنى الخورنق على فرات الكوفة للنعمان))[3]، ومثله النويري، فيقول: ((فبناه - النعمان - على نهر سنداد))[4]. والبناء على النهر يقع ضمن جماليات القصر، وإذا أضفنا إلى النهر جمال المنطقة المختارة اختيارًا خاصًا، والمكونة من ((البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق))[5] فسنكون أمام موقع إستراتيجي وجميل ومناسب.

إن أكثر المواصفات التي وردت في حق الخورنق هي مواصفات تمجيدية وتعظيمية عامة لا مواصفات تفصيلية جزئية، ومن تلك التمجيدية التعظيمية العامة، ما أورد البكري: ((عجبوا من حسنه، وإتقان عمله))[6] أو ((عجب النعمان من حسن بنائه وإتقانه))[7]. وما ورد عن ابن الفقيه في قول النعمان بن امرؤ القيس: ((ما رأيت مثل هذا البناء قط))[8]. وأورد الحموي قول شريح القاضي في محاورة له مع الضحاك بن قيس، فقال: ((يا أبا أمية أرأيت بناءً أحسن من هذا (أي الخورنق)؟ فقال نعم، السماء وما بناها...))[9] وهذا يعني أنه لم تَفُقْهُ إلا السماء، وأورد القزويني: ((وكان يبني (أي سنمار) على وضع عجيب لم يعرف أحد أن يبني مثله))[10].

(1) الزمخشري، المستقصى، ج2، ص52.
(2) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص141.
(3) الثعالبي، ثمار القلوب، ص139.
(4) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص386.
(5) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص213.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص142.
(7) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص386.
(8) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص212.
(9) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص403.
(10) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص186.

ومن دلائل فخامته وضخامته ما ورد من أعجاب النعمان به وحرصه على أن لا يبني مثله، وقتل بانيه سنمار من أجل ذلك، فقد ورد: ((وسنمار هو الذي بنى الخورنق، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: لو علمت أنكم تؤتوني أجري وتصنعون بي ما أنا أهله لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت. فأمر به فطرح من أعلى الخورنق))[1]، ومن خلال هذه الرواية التاريخية ظنَّ الملك أن قصره لم يبن مثله من حيث الجمال والكمال، لم ينقصه شيء سوى تصميمه ليدور مع الشمس، وأظن أن في الرواية مبالغة في بانيه لتنسحب على المبنى القصر بالضرورة.

ومن يستطع أن يحرك قصرًا ضخمًا مع حركة الشمس، وهو اليوم أمر صعب فكيف بما قبل ما يقارب السبعة عشر قرنًا من الزمان، ومن مواصفات القصر ما ورد في الشعر العربي من الفخامة، يقول الشاعر علي بن محمد العلوي الحماني:

فيا أسفي على النجف المعَرّى وأوديـــة منـــورة الأقـاحـي
ومـا بسط الخورنق من رياض مـفـجـرَّة بـأفـنـيـةٍ فـسـاحِ[2]

ففي البيت الشعري الثاني وصف لقصر الخورنق ذي الرياض أي ذي الماء والعشب، والأفنية جمع فناء الدار ما امتد من جوانبها[3]. ويقول الشاعر شرحبيل الكلبي:

جـزانـي جـزاه الـلـه شـر جـزائـه جـزاء سـنـمّـار ومـا كـان ذا ذنـب
سـوى رصَّـهِ البنيان عشرين حجة يـعـالـي عـلـيـه بـالـقـراميـد والـسـكـب
فـلـمـا رأى الـبـنـيـان تـمَّ سُـحـوقـه وآضَ كمثل الطوْد ذي الباذخ الصعب[4]

والقراميد جمع قرميد وهو الآجر. والسكب النحاس أو الرصاص وسحوقه طوله، وآضَ صار، والطود الجبل. وهي معان تدل على الفخامة والعظمة، وفي آخر وصف مباشر للقصر هو ما ذكر الرحالة ابن بطوطة المتوفى سنة (779هـ) عند زيارته له يقول: ((وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات...))[5]، ومن المعاصرين قال المستشرق ماسنيون: ((وقد أشاد بذكره شعراء العرب الجاهليون في كثير من أشعارهم وعدّوه هو

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص142.
(2) معجم البلدان، ج5، ص271.
(3) الجوهري، الصحاح، ج6، ص2457 مادة فني.
(4) الثعالبي، ثمار القلوب، ص139.
(5) رحلة ابن بطوطة، ص199.

وحصن صدير (السدير)... المجاور له من عجائب الدنيا الثلاثين))[1]، وأورد د. جواد علي في وصفه: ((وبناه بنيانًا عجيبًا لم تر العرب مثله))[2].

نهاية القصر

وقصر الخورنق كأي موجود أو شيء له بداية وله نهاية، قد تطول وقد تقصر، ولم تشذ عن موجودات الله الكثيرة في هذه الحياة الدنيا، ولأهمية هذا القصر ذكرت مصادر التراث العربي حياته وامتداداته في الزمان.

فإذا كان قد بني على يد الملك النعمان بن امرئ القيس في القرن الخامس الميلادي، وأنه زهد به وتركه بعد فترة من الحياة فيه، فإن القصر لم ينتهِ بنهاية مؤسسه الملك وإنما استمر في الزمان بعد مؤسسه عدة قرون، وعلى الأقل إلى القرن الثامن إلى زمن ابن بطوطة المتوفى سنة (779هـ)، وإن كان الزمن قد هدّه في هذا الوقت (أي وقت ابن بطوطة).

ويذكر التاريخ أن قصر الخورنق كان على امتداد حياته وبقائه محطة مهمة للزيارة والتفقد والمتابعة المستمرة، يخضع للصيانة والتجديد والترميم، بل وحتى الأبنية الإضافية الجديدة على ما يبدو مما ورد في التاريخ: ((قال الهيثم بن عدي: لم يقدم الكوفة أحد إلا أحدث في هذا القصر شيئًا، يعني الخورنق، فلما قدمه الضحّاك بن قيس بناه وعمرهُ))[3]، ويقول الحموي: ((فلما قدم الضحاك بن قيس بنى مواضع وبيّضه وتفقده))[4]، وقد بقي القصر إلى ما بعد الإسلام، فقد أورد التاريخ عند الحديث عن فتح الحيرة سنة (12هـ) أن خالدًا قصد ((الحيرة وسار حتى نزل الخورنق والنجف))[5]. والطبري يقول: ((وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف، فقدِم خالد الخورنق))[6].

وفي سنة (16هـ) دخل سعد بن أبي وقاص العراق، ((واحتوى سعد على قصر الخورنق والسدير))[7]، وفي زمن الإمام علي بن أبي طالب(ع) الذي دخل الكوفة سنة (36هـ)، أورد التاريخ ((عن هارون بن عنترة عن أبيه، قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب بالخورنق وهو

(1) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ج9، ص35.
(2) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص200.
(3) ابن الفقيه، البلدان، ص314.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص403.
(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص103.
(6) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص360.
(7) أبو عبد الله الواقدي، فتوح الشام، ج2، ص174.

يرعد تحت سمل قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله ما أرزأكم من مالكم شيئًا، وانها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي، أو قال من المدينة))[1].

وفي سنة (71ه) ورد: ((ان عبد الملك لما قتل مصعب ودخل الكوفة، أمر بطعام كثير فصنع. وأمر إلى الخورنق وأذِن إذنًا عامًا فدخل الناس فأخذوا مجالسهم))[2]، وفي سنة (105ه) اجتمع الخوارج ((بالخورنق، وأمّروا عليهم مصعبًا ومعه أخته آمنة وساروا عنه))[3]، ولما أسست الدولة العباسية ((أقطع الخورنق إبراهيم بن سَلَمة أحد الدعاة بخراسان... وإبراهيم أحدث قبة الخورنق في خلافة أبي العباس ولم تكن قبل ذلك))[4]، ويذكر البغدادي المتوفى سنة (739ه): ((والمعروف أنه القصر القائم إلى الآن بالكوفة بظاهر الحيرة))[5].

أما آخر ما ورد عن قصر الخورنق فما ذكره ابن بطوطة المتوفى سنة (779ه) عند ذهابه إلى مشهد الإمام علي (النجف) يقول: ((وخرجنا من مشهد علي فنزلنا الخورنق موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات))[6].

2. قصر السدير التوأم الأصغر

السدير قصر تراثي شهير أيضًا، من قصور منطقة الحيرة أو منطقة النجف، اقترن اسمه بقصر الخورنق الشهير المذكور آنفًا، فقالوا: (الخورنق والسدير) فأصبح السدير كالظل للخورنق، وخاصة على مستوى الأدب والشعر.

وإذا ما قارناه بالخورنق، فهو كذلك دارت حوله أساطير وقصص خيالية (وإنْ بأقل من زميله الخوارق)، وفَوَّتت علينا الكثير من حقائق القصر أو الموضع، فشأنه شأن أي أمر شهير في العالم والتاريخ، والتاريخ القديم خاصة.

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين والجغرافيين والباحثين والتراثيين في مدلول أو مداليل السدير أو مصاديقه، وما إذا كان قصرًا أو موضعًا أو نهرًا أو غير ذلك، فإن شهرته قصرًا منيفًا

(1) أبو النعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج1، ص124. ابن الأثير، الكامل، ج3، ص399–400.
(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج6، 167. ابن الأثير، الكامل، ج4، ص332.
(3) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص119.
(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص404.
(5) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص489.
(6) رحلة ابن بطوطة، ص199.

عظيمًا في التراث القديم هي الأرجح من بين مداليله الأخرى ومصاديقه المتعددة، وإذا ما دَخلنا في صميمه، في قراءة أصل تسميته ونقطة بدايته (زمانه) ومكانه وأخبار تأسيسه والبحث عن مؤسسه ومواصفاته ودرجة العمرانية وامتداد وجوده في التاريخ الحضاري ونقطة نهايته، فسنكون أمام كم تراثي مكدّس من الأخبار والمعلومات، تختلط فيه الحقائق بالقصص الخيالية بالمبالغات بالاضطرابات المعلوماتية بالأقوال المتضاربة، شأنه شأن زميله قصر الخورنق، وبالتالي فمن الصعب أن نطمئن إلى نتائج معلوماتية دقيقة، وهذا ما عرف عن كل التراث القديم غير الموثق بالوثائق الدقيقة وغير المدعوم بالاكتشافات والتنقيبات الآثارية العلمية.

السدير: أصل التسمية

فعلى مستوى أصل التسمية بالسدير اختلف اللغويون والمؤرخون والجغرافيون والباحثون في أصل الكلمة (السدير) فمنهم من أرجع التسمية إلى اللغة الفارسية، فقد أورد ابن دريد الأزدي المتوفى سنة (321ه): ((قال أبو حاتم سمعت أبا عبيدة يقول هو السِّدِلَّى فأعرب فقيل سدير))[1].

وقال البكري الأندلسي المتوفى سنة (487ه): ((وقال الأصمعي وغيره: السدير بالفارسية: سِهْ دِلَّى، كان له ثلاث شعب))[2]، وقال الجواليقي المتوفى سنة (540ه): ((والسدير فارسي معرب وأصله سادلي، أي: فيه ثلاث قباب مداخلة، ويسميه الناس (سِهْ دِلِي) فأعرب))[3]، ويقول أيضًا: ((سمعت أبا عبيدة يقول: هو السِدِلَّى، فأعرب، فقيل سدير))[4]، وأورد ياقوت الحموي المتوفى سنة (626ه): ((السدير فارسية أصله سِه دل، أي قبّة فيها ثلاث قباب متداخلة، وهو الذي تسميه الناس اليوم سِدِلَّى فَعَربته العرب فقالوا سدير))[5]، ويقول ابن منظور المتوفى سنة (711ه): ((والسدير وأصله بالفارسية سِهْ دِلَّه أي فيه قباب مُداخَلة))[6]، وهناك أقوال أخرى.

أما الذين يقولون إن الكلمة عربية، فيمكن أن نذكر منهم: ابن الفقيه المتوفى نحو سنة

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص741.
(2) لبكري، معجم ما استعجم، ج 21، ص141.
(3) المعرَّب من الكلام الأعجمي، ص187.
(4) المصدر نفسه، ص188.
(5) معجم البلدان، ج3، ص201.
(6) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص355.

(290هـ): ((وسمي السدير لأن العرب نظرت إلى سواد النخل فسدرت أعينهم أي تحيّرت، فقالوا: ما هذا إلا سدير))[1]، ويذكر البكري المتوفى سنة (487هـ): ((والسدير: سدير النخل، قال: وهو سواده وشخوصه يقال سدير إبل وسديرُ نَخْل هذا قول محمد بن حبيب))[2]، ثم يقول: ((السدير... سدير العراق، معروف سُمي بذلك لأن العرب لما نظرت إلى سواد نخله، سدرت أعينهم، فقالوا ما هذا إلا سدير))[3]، ويقول ياقوت الحموي المتوفى سنة (626هـ): ((وقيل: سمي السدير لكثرة سواده وشجره، ويقال إني لأرى سدير نخل أي سواده وكثرته، وقال الكلبي: إنما سمي السدير لأن العرب حيث أقبلوا ونظروا إلى سواد النخل سدرت فيه أعينهم بسواد النخل، فقالوا: ما هذا إلا سدير))[4]، ويقول ابن منظور: ((وسدير النخل: سواده ومجتمعه))[5]، وهناك أقوال مشابهة أخرى.

السدير: مداليل الكلمة

ما هو السدير ما هي دلالته؟ وماذا ينضوي تحت هذه الكلمة الشهيرة من دلالات ومصاديق، وعلى أي شيء أطلقها التاريخ الحضاري في مسيرته الطويلة؟ لقد أورد التاريخ عدة دلالات وعدة مصاديق كما الخورنق، ولكن دائرة مصاديق السدير أضيق، فهي أساسًا - كما عرفنا من التراث الواصل إلينا - تدل على قصر شهير معروف في التاريخ الحضاري اقترن اسمه باسم قصر الخورنق الشهير كما ذكرنا آنفًا.

فقد ذكر التاريخ السدير أحد القصور الشهيرة في التاريخ، يقول النويري عند ذكره المباني الشهيرة عند العرب ((وهي غمدان وحصن تيما والخورنق والسدير والغريّان))[6]، وذكره الشابشتي المتوفى سنة (388هـ) بقوله: ((السدير قصر عظيم من أبنية ملوك لخم))[7]، وذكره الحموي في مادة سدير: ((ويقال قصر))[8]. وقد ورد في التراث أن السدير قصر، وعلى نطاق واسع، وإضافة إلى دلالته على القصر المعروف في منطقة النجف، وردت الكلمة لتدل على

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص213.
(2) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص141.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص19.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص201.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص356.
(6) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص384.
(7) الديارات، الشابشتي، ص236.
(8) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص201.

نهر، يقول ابن دريد: ((السدير النهر أيضًا))[1]، ويقول الجواليقي المتوفى سنة (540هـ): ((وقد قالوا السدير النهر أيضًا))[2]، ومثل ذلك قال الحموي[3]، والبغدادي[4].

وأطلق السدير أيضًا ليدل على موضع محدد يقول ابن دريد الأزدي: ((والسدير موضع معروف كان المنذر الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم))[5]، ويقول الحموي: ((السدير موضع معروف بالحيرة))[6]، وورد السدير أيضًا ليدل على أرض باليمن[7]، وورد السدير أيضًا ليدل على: ((مستنقع الماء وغيضه في أرض مصر بين العباسية والخشبي تنصبّ فيه فضلات النيل إذا زاد واكتفي به))[8]، ويجمع الفيروزآبادي تحت كلمة السدير عدة أشياء يقول: السدير ((كأمير نهر بناحية الحيرة وأرض باليمن منها البرود، وموضع بمصر قرب العباسية))[9].

أين يقع قصر السدير؟

السدير هو القصر الشهير الآخر الذي بَعُد زمانه عنا واضطربت أخباره، فلا نعرف موقعه الدقيق من منطقة الحيرة أو منطقة النجف، على الرغم من ورود أخبار ومعلومات تقول بقربه من زميله الخورنق الذي لم نتأكد من موقعه (أي الخورنق) الدقيق أيضًا.

ويمكن تعيينه أو تحديده الإجمالي من خلال عدد من النقاط الجغرافية الواقعة في منطقة الظهر ظهر الحيرة أو ظاهر الحيرة القريبة من موضع النجف، وقد حدد بعض المؤرخين والجغرافيين موقع قصر السدير من خلال بعض المواقع المعروفة غير المحدّدة علميًا وجغرافيًا أساسًا على الرغم من شهرتها، فمن ذلك ما يقول المؤرخ اليعقوبي المتوفى سنة (284هـ): ((والخورنق بالقرب منها (أي الحيرة) مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلاثة أميال، والسدير في برية تقرب منها))[10]. فأين تقع البرية؟! ويقول ابن الفقيه المتوفى نحو

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص741.
(2) الجواليقي، المعرَّب من الكلام الأعجمي، ص188.
(3) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص201.
(4) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص700.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص741.
(6) الحموي، صمعجم البلدان، ج3، ص201.
(7) المصدر نفسه، ج3، ص201.
(8) المصدر نفسه، ج3، ص202.
(9) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص405.
(10) اليعقوبي، البلدان، ص146.

سنة (290هـ) عن السدير: ((وقالوا السدير ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر))[1]، ويقول الشابشتي: ((السدير شمال نهر الغدير))[2].

أمّا الحموي فيحدد السدير بقوله: ((وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام))[3]، ثم يذكر الحموي دير مارت مريم الواقع بنواحي الحيرة ويحدده بقوله: ((بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب، مشرف على النجف))[4]، ويقول أيضًا: ((قصر أبي الخصيب بظاهر الكوفة قريب من السدير بينه وبين السدير ديارات الأساقف))[5]، ويقول النويري المتوفى سنة (733هـ): ((فكان الخورنق على ثلاثة أميال من الحيرة، والسدير في برية بالقرب منها (أي من الحيرة)))[6]، ويقول البغدادي المتوفى سنة (739هـ): ((وبالحيرة الخورنق على ميل منها من جهة الشرق، والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام[7]. ويقول أيضًا: ((وقيل قصر قريب من الخورنق، اتخذه النعمان لبعض ملوك العجم))[8]، ويذكر د. جواد علي: إن الروايات تقول إن قصر الخورنق لم يكن بعيدًا عن الحيرة: ((أما السدير فكان على مسافة بعيدة، وقد ورد أنه كان في وسط البرية التي بينها وبين الشام))[9]، أما المستشرق ماسنيون، فيعتقد أن قصر السدير هو قصر الأخيضر الواقع قرب كربلاء يقول: ((والسدير الذي اعتقد بأنه الأخيضر ذاته...))[10].

ومن خلال هذه المعلومات التاريخية غير المعززة بالتنقيبات الأرضية لا يمكن تحديد هذا القصر تحديدًا دقيقًا من منطقة النجف التي هو فيها دون أي شك. وهناك دلائل تشير إلى وجوده بالمنطقة قرينًا مشابهًا وقريبًا من قصر الخورنق، وإن كان أبعد من الخورنق عن الحيرة، ولكنه على أي حال هو قريب من قصر أبي الخصيب المشرف على النجف ودير مارت مريم وديارات الأساقف، وهي مواقع قريبة من النجف كما ذكرنا سابقًا، وبناء على

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص225.
(2) الشابشتي، الديارات، ص236.
(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص328.
(4) المصدر نفسه، ج2، ص531.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص354.
(6) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص385.
(7) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص441.
(8) المصدر نفسه، ج2، ص700.
(9) جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص201.
(10) ماسنيون، خطط الكوفة، ص14.

هذه المعلومات وأخرى مشابهة ومقاربة لا يمكن أن يكون السدير هو الأخيضر كما اعتقد المستشرق لويس ماسنيون، لأن قصر الأخيضر بعيدٌ عن قصر أبي الخصيب ودير مارت مريم وديارات الأساقف كما هو الواقع على الأرض.

من أسس قصر السدير؟

وإذا كان مؤسس قصر الخورنق معروفًا إلى حد ما من خلال ما أورد المؤرخون والجغرافيون والأدباء من أن النعمان بن امرؤ القيس هو المؤسس والباني، فإن معرفة مؤسس قصر السدير أكثر صعوبة من معرفة مؤسس قصر الخورنق فهناك من ينسب قصر السدير إلى النعمان بن امرئ القيس (الأكبر) أيضًا[1]، وهناك أخبار أخرى لم تشر بالتعيين إلى مؤسس محدد لبناء وتشييد هذا القصر، بل تكتفي بالقول: ((والسدير قصر عظيم من أبنية ملوك لخم في قديم الزمان. وما بقي الآن منه فهو ديارات وبيع نصارى))[2].

ويذكر محمد بن أحمد الخوارزمي الكاتب ((أن باني القصرين هو النعمان بن امرئ القيس))[3]، ومثله قال ابن سعيد الأندلسي في نشوته[4]، وفي الوقت نفسه ينسبون بناءه إلى سنمّار الرومي باعتباره المنفذ الفعلي[5]، وإذا كان المؤرخون والجغرفيون والأدباء وغيرهم من القدماء لم يتحدثوا عن مؤسسه، فإن الباحث المعاصر أعجز منهم بالقطع، ومن المعاصرين يذكر د. جواد علي بأن النعمان هو الذي بنى السدير، يقول ((واقترن اسم هذا القصر في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضًا إلى هذا النعمان، هو السدير))[6].

فخامة القصر ومواصفاته

لم تصلنا معلومات كافية وافية عن قصر السدير ولا عن مواصفاته وفخامته الشهيرة، ويمكن أن نفهم من بعض ما ورد في التراث والأدب والشعر أن الغدير قصر فخم ذو مواصفات جيدة وعالية.

فاقترانه أساسًا بقصر الخورنق الفخم الذي يقع في منطقة خضراء مزروعة ورياض جميلة

(1) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص201. ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج1، ص275. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص700. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص385.
(2) الشابشتي، الديارات، ص236.
(3) محمد الخوارزمي الكاتب، مفاتيح العلوم، ص111.
(4) ابن سعيد الأندلسي، نشوة الطرب، ج1، ص275.
(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص387.
(6) جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص201.

وعلى نهر له دلالة على فخامته وحسن موقعه. وهو (أي السدير) ليس بعيدًا عن النهر وعن ديارات الأساقف والتي ((هي قباب وقصور تسمى ديارات الأساقف. وبحضرتها نهر يعرف بالغدير. عن يمينه قصر أبي الخصيب مولى أبي جعفر، وعن شماله السدير وبين ذلك الديارات))[1]. ومن المواصفات التي وردت عن قصر السدير، ما قاله الحموي في حق هذا القصر، ((ويقال قصر، وهو معرب واصلة بالفارسية سِه دِلَه، أي فيه قباب مداخلة مثل الجاري بكمين))[2]. وفي مكان آخر من معجمه قال الحموي أيضًا: ((أي قُبّة فيها ثلاث قباب متداخلة))[3]، وقد ورد في الشعر العربي ما يدل على فخامته ومواصفاته العالية، فمن خلال أبيات المنخل اليشكري المتوفى نحو سنة (597م) التالية، يمكن أن يفهم القارئ مدى فخامة هذا القصر ومعه الخورنق، يقول:

ولقد شربت من المدامة بالصغيرِ وبالكبيرِ
ولقد شربت الخمر بالخيل الإناث وبالذكور
فإذا سكرت فإنني ربّ الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني ربّ الشُويهة والبعير[4]

وفي العصر العباسي ذكر الشاعر ابن أبي فنن مثل ما قال المنخل، يقول:

فكأنني في نعمتي رب الخورنق والسدير[5].

وهناك أبيات شعرية مشابهة أخرى، ويمكن أن يفهم الباحث فخامة قصر السدير من بقائه قائمًا معافى إلى زمن الرشيد، حيث اهتم الرشيد وموكبه به، فقد ورد: ((ولما نزل الرشيد الحيرة وقت منصرفه من الحج ركب جعفر بن يحيى إلى السدير فطافه ونظر إلى بنائه))[6].

نهاية القصر

لم يذكر التاريخ تفاصيل عن مراحل قصر السدير، متى كان الأوج ومتى كان الحضيض، ومتى هجر القصر، لكن الباحث والمحلل يستطيع أن يستنتج من مجريات التاريخ وأحداثه، وخاصة فيما يتعلق بمملكة الحيرة، فيذكر لنا التاريخ أن هارون الرشيد المتوفى سنة (193هـ)

(1) الشابشتي، الديارات، ص236.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص201.
(3) المصدر نفسه، ج3، ص201.
(4) الجاحظ ، البيان والتبيين، ج3، ص346، وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج21، ص4.
(5) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص396.
(6) الشابشتي، الديارات، ص238.

دخل موكبه قصر السدير عند رجوعه من الحج، يقول الشابشتي: ((ولما نزل الرشيد الحيرة، وقت منصرفه من الحج، ركب جعفر بن يحيى إلى السدير، فطافه ونظر إلى بنائه ثم وقعت عينه على كتاب أعلاه فأمر من صعد إلى الموضع فقرأه، فقال في نفسه: قد جعلته فألًا لما أخافه من الرشيد، فقرئ فإذا هو:

إن بني المنذر عام انقضوا بحيث شادَ البيعة الراهب
أضحوا ولا يرجوهم راغب يومًا ولا يرهبهم راهب
وأصبحوا أكلًا لدود الثرى وانقطع المطلوب والطالب

فحزن جعفر لذلك وصار ينشد الأبيات ويقول: ذهب والله أمرنا))[1]، وفي القرن الرابع الهجري أي إلى زمان الشابشتي المتوفى سنة (388هـ) لم يعد للقصر أثر كما يدل كلام الشابشتي، يقول: ((والسدير قصر عظيم من أبنية ملوك لخم في قديم الزمان، وما بقي الآن منه فهو ديارات وبيع للنصارى))[2]. ومن هذا الكلام لا يبدو أننا نستطيع أن نعثر الآن على بقايا منه، وقد اختفى منذ نحو ألف سنة كما يشير النص.

(1) المصدر نفسه، ص238.
(2) المصدر نفسه، ص236.

الفصل السابع

معالم شهيرة في منطقة النجف

1. **الغريّان (النُصبان المُتَّهمان)**
2. **بحر النجف (البحر الأخضر)**
3. **خندق سابور (كري سِعْدة)**
4. **بانقيا مدينة من عمق التاريخ**
5. **معالم ومواضع أخرى**

وإذا تجاوزنا مملكة الحيرة، ومَعْلَم النجف، وعاقولا الحيرة (الكوفة)، وتجاوزنا معها أماكن العبادة من أديرة وكنائس وبيع، وتجاوزنا أيضًا القصور والمنازل، ومنها أشهرها قصر الخورنق والسدير، وهي مكونات أساسية مهمة في منطقة النجف، إذا تجاوزنا ذلك، فسنكون أمام كم متنوع آخر من المواضع والمعالم كالغريين القائمين في المنطقة، وبحر النجف الملاصق لمعلم النجف، وخندق سابور، ومدينة بانقيا وعدد آخر من المدن والقرى والمواضع والمعالم أقل شهرة من المذكورة.

وسنفرد لكل من الغريين وبحر النجف وخندق سابور، ومدينة بانقيا بحثًا مستقلًا موجزًا. أما سائر المواضع والمعالم المنتشرة في منطقة النجف، سنذكرها أو نعرّفها مجرد تعريف وذكر، دون أن نفرد لكل واحد منها بحثًا مستقلًا منفردًا، لأننا لسنا في صدد عمل موسوعي شامل، وإنما هو قراءة وبحث تحليلي لمنطقة النجف، لنتبين من خلاله هوية المنطقة وطبيعتها العامة، قبل الإسلام.

ومن خلال هذا المجموع من المواضع والمعالم نكون قد أتينا على قراءة وبحث مجمل مكونات منطقة النجف، وعلى هذا فبعد هذه المقدمة القصيرة سنتحدث بقليل من التفصيل عنها:

1. الغَرِّيّان (النُصبان المُتَّهمان)

الغريّان بناءان أو مَعْلَمان أو قائمان أو حجران قديمان من الأبنية والمعالم الشهيرة في تاريخ مملكة الحيرة أو منطقة النجف في التاريخ الحضاري البشري القديم، والغريّان مثنى الغريّ، والغريّ تسمية استعارتها مدينة النجف في العصر الإسلامي. وأصبح (الغري) أحد أسمائها الشهيرة بعدما أصبحت مدينة مقدسة بحلول جسد الإمام علي(ع) فيها.

وعلى الرغم من شهرة الغريّين الكبيرة فإن التاريخ الحضاري ضيَّع الكثير من أخبار ومواصفات هذين البناءين الشهيرين، فنحن لا نعرف زمان الغريين وبداية انطلاقهما الدقيقة في التاريخ الحضاري، ولا مكانهما الدقيق بين المعالم الكثيرة في منطقة النجف، ولا شكليهما وهيئتيهما الخارجية على الأرض، وينسحب الاختلاف حتى على حقيقتهما وطبيعتهما. وكل ما أورد التاريخ والتراث هو وجود الغريين في منطقة الكوفة والنجف، مع معلومات وأخبار مضطربة ومتضاربة ومختلفة أحيانًا، عن مؤسسهما وسبب تأسيسهما وبضع معلومات مضطربة أخرى لا يمكن الاطمئنان إلى دقتها والركون إليها.

والمشكلة الأساس - في اعتقادي - هو بعد العهد بيننا وبينهما، وغياب وجود بقايا أو آثار تدلّ عليهما، كما في آثار الأهرام المصرية أو مسلّة حمورابي العراقية أو بقايا المعابد في بابل ومصر وغيرهما، فضلًا عن غياب المنهج العلمي في كتابة التاريخ عند القدماء.

معنى الغَريَّين

ومن يرجع إلى اللغة العربية يجد أن الغريّين مثنى الغري، وللغري عدة معانٍ منها: ذكر ابن سيده المتوفى سنة (458هـ): ((الغريُّ الحَسَنُ والغرَى الحُسْن))[1]، وذكر أيضًا: ((الغريُّ صبغ أحمر وأنشد: كأنما جبينه غَرِيّ))[2]، وذكر أيضًا: ((... بناء غريّ كذلك فعيل بمعنى مفعول، وكل حَسَن غريّ ولكنه غلب على البناء ثم غلب في باب البناء على الغريين المشهورين بالكوفة...))[3]، ومن معاني الغري الأخرى ما أورد الأزهري المتوفى سنة (370هـ)

(1) ابن سيده، المخصص، ج1، ص526.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص275.
(3) المصدر نفسه، ج2، ص599.

((الغري نصب كان يذبح عليه العتائر))[1]، وأورد ابن منظور: ((الغريّ صنم طُلي بدم))[2]، ويذكر نشوان الحميري: ((الغري طربال كان لبعض لخم يُغرِّيه بدم القتلى))[3].

ومعنى الطربال ((قطعة من جبل أو قطعة من حائط تستطيل في السماء وتميل))[4]، ويقول الأزهري: ((... هو شبيه بالمنظرة من مناظر العجم كهيئة الصومعة والبناء المرتفع))[5]، ويقول أيضًا: ((وقال ابن شميل: الطربال بناء يُبنى عَلمًا للخيل يستبق إليه ومنه ما هو مثل المنارة))[6]، والذي نفهمه من معاني الغري في منطقة النجف، هو ذلك الذي يتعلق بالبناء على الأرض، فموضوعنا هو الحديث عن بناءين أو طربالين أو قائمين اشتهرا في التاريخ الحضاري في منطقة النجف عرفا باسم الغريين، عرفا بالصفة التي لازمتهما بـ(الغريين) كما أورد التاريخ، وهذه الصفة هي التي ضيّعت علينا أصلهما وحقيقتهما الحجرية التي لم يذكرها أحدٌ صراحة، فالغريّان صفة للبنائين أو الطربالين، ولا يمكن أن تكون الصفة دون موصوف، وعلى هذا فما هو أصل الغريين؟ ما هو شكل الغريين؟ وعلى أي هيئة كانا في مكانهما؟

شكل الغَرِيّين

وإذا كان التاريخ الحضاري قد شحَّ علينا بمعلومات مفيدة ومواصفات حقيقية عن هذين البناءين أو المَعْلَمين (الغريين)، وغيّب عنا واقعهما الآثاري على الأرض، فهل يمكن أن نستنتج أو نقترب منهما، من حقيقتهما، من شكليهما، أو هيئتيهما، من خلال القليل من المواصفات والأخبار الواردة إلينا، والمعطيات الآثارية الأخرى الباقية التي تشبههما أو القريبة منهما كالمسلات والنصب والأحجار الشاخصة الموجودة الآن؟

لا شك أن المعلومات والمواصفات الواصلة إلينا قليلة وقليلة جدًا، ويمكن حصرها إلى حد ما بالأقوال التالية وأخرى مشابهة ومقاربة، فقد تحدث ابن قتيبة المتوفي سنة (276هـ) عن الغريين بقوله: ((وهما طربالان يغرّيهما بدم من يقتله))[7] (أي النعمان بن المنذر).

وتحدث ابن الفقيه المتوفى سنة (292هـ) عن الغريين بقوله: ((وأمر ببناء طربالين عليهما،

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، ج8، ص160.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص122.
(3) نشوان الحميري، شمس العلوم، ج8، ص4931.
(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص196.
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، ج14، ص40.
(6) المصدر نفسه، ج14، ص40.
(7) ابن قتيبة، المعارف، ص649.

وهما صومعتان))[1]. ومثله قال الحموي[2] وكذلك البغدادي[3]، ووصفهما الجوهري المتوفى سنة (393هـ) بقوله: ((هما بناءان طويلان... كان (النعمان) يغرّيهما بدم مَنْ يقتله))[4]، ومثله قال ابن منظور[5]، أما النويري فقد قال: ((وأما الغريان فهما أسطوانتان))[6]، وقال الفيروزآبادي: ((بناءان مشهوران))[7]، وينفرد المسعودي بوصفهما بالقبَّة، فيقول: ((وبنى على قبريهما قبّة وسماها الغريين))[8]، وهناك من ذكرهما باسم القائم أو القائم المائل لأحدهما، فقد قال صفوان أثناء مروره بالكوفة: ((فلما صرنا إلى قائم الغري))[9]، وهناك أقوال ومواصفات مشابهة ومقاربة للذي ذكرنا أعلاه.

وماذا يمكن أن يخرج الباحث من هذه المعلومات والمواصفات، وأخرى مشابهة ومقاربة غيرها؟ يمكن أن يخرج دون أيِّ التباس إلى أن هناك: بناءين أو عمودين أو شاخصين أو قائمين أو جدارين أو اسطوانتين أو نُصبين كانا موجودين على الأرض في وقت ما، ومثل هذين البناءين أو العمودين البائدين هناك أبنية وأعمدة قديمة بقيت حيّة شاخصة ضمن بقايا الآثار القديمة المنتشرة على الأرض هنا وهناك. وهي بقايا موجودة معروفة ومدروسة ويمكن أن تلقي ضوءًا كاشفًا على الغريين البائدين، فنعرف مواصفاتهما العامة وبعض خصائصهما ولو بشكل مجمل.

ويقترب الدكتور جواد علي من هذا التشخيص ليصفهما بالنُصبين، يقول: ((ولكننا نستطيع أن نقول إنَّ الغري أو الغريين من المواضع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان، ومن الجائز أنهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرابين في المواسم الدينية وفي الأعياد، وقد عرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تُطلى بها، وما الغريان إلا نصبان من هذه الأنصاب))[10]، وهو تحليل مناسب جدًا للمواصفات القليلة الواردة عن هذين المعلمين (الغريين)، وإذا ما أمعنا النظر في المواصفات القليلة الواردة

(1) ابن الفقيه، البلدان، ص215.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص196.
(3) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص991.
(4) الجوهري، الصحاح، ج6، ص2445.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص122.
(6) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص387.
(7) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1317.
(8) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص330.
(9) فرحة الغري، ص226.
(10) جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص238.

إلينا من التاريخ عن الغريين، وقارناهما بما هو موجود من بقايا النصب والمسلات، وجدنا العديد من التشابه، وخاصة إذا ما جردنا الغريّين من الغراء الذي ألصق بهما ونظرنا إليهما حجرين أو بنائين مجردين من الغراء.

فنحن لا نستبعد كون الغريين مسلتين من تلك المسلات المعروفة على امتداد المنطقة العربية، والتي يعتقد أن أصلها من مصر[1]، وليست المسلات غريبة على بلاد الرافدين، فهناك عدد من المسلات التاريخية فيه، ومن أشهر المسلات (مسلة حمورابي) التي تضمنت شريعة حمورابي الشهيرة[2]. وهناك مسلتان في آشور جلبهما آشور بانيبال من مصر، وأخرى غيرها لا مجال لذكرها هنا[3]، ومن خلال المواصفات الواردة عن الغريين ومواصفات المسلات التاريخية الموجودة على أرض الواقع يمكن القول: إن الغريين هما نوع من المسلات التاريخية أقيمتا على أرض النجف أو منطقة النجف.

فلنقرأ مواصفات المسلات التاريخية لنتبيّن مدى قرب الغريين منها (من المسلات) بل هما مسلتنان كبقية المسلات، فمن خلال المسلات الآثارية الباقية على أرض الواقع نعْرف أن المسلة هي نُصب تذكاري ديني، حجري عمودي كبير أو صغير. وقد وصفت المسلة بإنها: ((كتلة واحدة رأسية ضخمة من الحجر المصقول بإتقان يستدق عند قمته ليأخذ شكلًا هرميًا))[4]، والمسلات أبنية معروفة في مصر القديمة على نطاق واسع، فكان ملوك مصر يشيدون المسلات نصبًا تذكارية لإله الشمس الفرعوني[5].

ومن مواصفات المسلات أن تقام أزواجًا، وإن تطلى بطلاء براق لعكس الضوء (ضوء الشمس) بالذهب أو بالنحاس أو بغيرهما، أما الهدف الأساس من نصب المسلات فهو ديني مقدس، ومواصفات المسلات هذه تنسجم والمعلومات القليلة الواردة عن الغريين، فهما أساسًا نصبان تذكاريان من حجر (بناءان) مطليان بنوع من الغراء (هو الدم كما يذكر التاريخ) وورد أنهما صومعتان أو كالصومعتين، للدلالة على هدفهما الديني، وعلى هذا فنحن لا نستبعد أن يكون الغريّان نوعًا من المسلات المعروفة في المنطقة العربية التي شاعت المسلات في أرجائها.

(1) جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص306.
(2) هنري عبودي، اقرأ عن مسلة حمورابي (حمورابي، شريعة) معجم الحضارات السامية، ص364ـ367.
(3) جورج بوزنر، معجم الحضارة المصرية القديمة، ص306.
(4) آنا رويز، روح مصر القديمة، ص255.
(5) الموسوعة العربية العالمية، ج23، ص272.

موقع الغَرِيَّين

الغريان من المكونات الشهيرة في منطقة النجف، يقعان ضمن المنطقة دون أن نستطيع تحديد مكانيهما تحديدًا دقيقًا. وذلك لعدم وجود أي آثار أو بقايا نقوش أو رسوم أو آثار عنهما في جزء من المنطقة، وكل ما بقي منهما كدس غير منظم وغير دقيق من المعلومات والأخبار لا يقدم معرفة دقيقة بمكان وجودهما.

وكل ما يمكن قوله في المكان الذي احتضنهما هو ظهر الكوفة أو ظاهرها أو منطقة النجف موضوع بحثنا، وهو مكان عام غير محدّد، وأغلب المصادر التي ذكرت الغريين تشير إلى الكوفة أو ظهر الكوفة أو ظاهرها.

يقول ابن الفقيه المتوفى سنة (291ه): ((فَحُفر لهما حفيرتان بجانب البئر بظهر الكوفة))[1] مشيرًا إلى مكان بناء الغريين على الحفرتين، ويقول أيضًا: ((ولما دخل معن بن زائدة الكوفة رأى الغريين))[2]، ويقول ابن سيدة المتوفى سنة (458ه): ((الغريّان المشهوران بالكوفة))[3]، ويقول البكري المتوفى سنة (487ه): ((الغريان معروفان بالكوفة))[4]، ويقول الحموي المتوفى سنة (626ه): ((وإنما بُني الغريان اللذان في الكوفة))[5]. ويقول أيضًا: ((الغريين بظاهر الكوفة))[6]، ويقول النويري المتوفى سنة (733ه): ((وأما الغريان فهما اسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة))[7]، ويقول البغدادي المتوفى سنة (739ه): ((... كانا بظهر الكوفة قرب القبر الذي يقال له قبر علي رضي الله عنه))[8]، ويقول ابن منظور المتوفى سنة (711ه): ((والغريان المشهوران بالكوفة))[9]، ويقول القزويني المتوفى سنة (682ه) مرة بالكوفة[10] وأخرى بظهر الكوفة[11]، ويقول

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص215.
(2) المصدر نفسه، ص215.
(3) ابن سيده، المخصص، ج7، ص193.
(4) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص249.
(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص197.
(6) المصدر نفسه، ج4، ص198.
(7) النويري، نهاية الأرب من فنون الأدب، ج1، ص387.
(8) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص991.
(9) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص122.
(10) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص226.
(11) المصدر نفسه، ص426.

الفيروزآبادي المتوفى سنة (817هـ): ((الغريان بناءان مشهوران بالكوفة))[1]، وهناك أقوال أخرى مشابهة لا مجال لذكرها.

وعلى الرغم من عمومية الموقع الذي ذكرته الأخبار: الكوفة وظهر الكوفة وظاهر الكوفة، فإنه محدّد إلى حد ما بموقعه قريبًا من الكوفة التي هي الأقرب إلى النجف، وليس الأقرب إلى الحيرة، وهناك ما يدل على قربه من النجف كما ورد في المصادر القديمة، فقد ذكر القزويني المتوفى سنة (682هـ) في آثاره الغريين بقوله: ((بناءان كالصومعتين بظهر الكوفة قرب مشهد أمير المؤمنين عليّ))[2]، وذكر البغدادي المتوفى سنة (739هـ) في مراصده: ((وهما بناءان كالصومعتين كانا بظهر الكوفة قرب القبر الذي يقال له قبر علي رضي الله عنه))[3]، وهذان تحْديدان واضحان ودقيقان إلى حد كبير، وخاصة أن مرقد الإمام أمير المؤمنين عليّ(ع) معروف في معلم النجف.

لكن ابن طاووس المتوفى سنة (693هـ) يحدّد موقع الغريين بشكل أكثر تفصيلًا ودقة، يورد ذلك من خلال سؤال الإمام علي(ع) للرسول الأكرم(ﷺ):((يا رسول الله أُقبر بكوفان العراق؟ فقال: نعم يا علي، تقبر بظاهرها قتلًا بين الغريين والذكوات البيض))[4]، فتحديد الغريين هنا بالقياس إلى نقطة محددة سلفًا هي (الذكوات البيض) التي تكون مجمل موضع النجف، موضع مرقد الإمام علي(ع).

وهناك من القرآئن ما يؤكد لصوق الغريين بموضع النجف أو قربهما منها بل هما ضمن النجف إذا وسعنا جغرافية النجف (الموضع)، ومن القرآئن ما ورد: ((سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر(ع): أين دفن أمير المؤمنين(ع)؟ فقال: دفن بناحية الغريين))[5]، ومن القرآئن الأخرى ما ورد: ((عن أبي عبد الله(ع)، قال: إني لما كنت بالحيرة عند أبي العباس، كنت آتي قبر أمير المؤمنين(ع) ليلًا وهو بناحية نجف الحيرة إلى جانب غري النعمان))[6]

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص1317.
(2) زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص426.
(3) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص991.
(4) ابن طاووس، فرحة الغري، ص107. و ((الذكوات جمع (ذكاة) الجمرة الملتهبة من الحصى)) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج1، ص159.
(5) فرحة الغري، ص151.
(6) المصدر نفسه، ص194.

من أسس الغَرِيَّين؟

ومثلما اختلف المؤرخون والجغرافيون وأهل الأدب والشعر في زمان ومكان وطبيعة وشكل الغريين، اختلفوا في مؤسس الغريين وذهبوا مذاهب مختلفة، فمنهم من نسبه إلى أسماء محددة من ملوك الحيرة، ومنهم من لم يعين اسمًا محددًا من ملوك الحيرة.

يقول ابن قتيبة المتوفى سنة (276ه) إن مؤسس الغريين هو: ((النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس، وكان يكنى أبا قابوس وهو صاحب النابغة الذيباني وصاحب الغريين))[1]. ومثله يقول النويري المتوفى سنة (733ه) في نهايته[2]، ويقول ابن الفقيه المتوفى نحو سنة (291ه): إن مؤسس الغريين هو: ((المنذر بن امرئ القيس وهو ابن ماء السماء))[3]. ومثله أبو الفرج الأصفهاني المتوفى سنة (356ه) في أغانيه[4]. ومثله القزويني المتوفى سنة (682ه)[5]. ويذكر الجوهري المتوفى سنة (393ه) أن مؤسس الغريين هو جذيمة الأبرش[6]. ومثله ابن منظور المتوفى سنة (711ه) في لسانه[7]، ومن الذين لم يحددوا اسمًا معينًا مؤسسًا للغريين هو المؤرخ المسعودي المتوفى سنة (346ه). يقول: ((ذكروا أنه كان في ملوك الحيرة ملك له نديمان... وبنى على قبريهما قبة وسماها الغريين))[8]، ومن هذه الأقوال والمعلومات القليلة وهناك أخرى مشابهة لم يتبيّن لنا الاسم الدقيق لمؤسس الغريين، وإذا لم يوفر لنا التاريخ الاسم الدقيق لمؤسس الغريين، فهل وفر لنا السبب الذي دعا المؤسس إلى بنائهما؟

في البحث عن السبب في بناء الغريين يجد الباحث روايات وأخبارًا متعددة يختلف بعضها عن بعض أحيانًا ويتقارب أحيانًا أخرى تتخللها غرائب ومعلومات مثيرة وغير مقنعة في كثير من الأحيان، وفي عمومها متشابهة ومتقاربة ويمكن أن نذكر من تلك الروايات والأخبار: ما أورده ابن الفقيه المتوفى نحو سنة (291ه) يقول: ((الغريان بناهما المنذر بن امرئ القيس، وهو ابن ماء السماء، وكان سبب ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد خالد بن

(1) ابن قتيبة، المعارف، ص649.
(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص387.
(3) ابن الفقيه الحمداني، كتاب البلدان، ص214.
(4) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج5، ص213 وج22، ص91–92.
(5) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص226 وص428.
(6) الصحاح، الجوهري، ج6، ص2445.
(7) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص122.
(8) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص330.

نضلة وعمرو بن مسعود، وأنهما ثملا من النبيذ ليلة فرادّا الملك بعض الكلام، فأمر فحفر لهما حفيرتان بجانب البئر بظهر الكوفة فدفنا فيه حيين وفيهما يقول الشاعر:

ألا بكَّرَ الناعي بخيري بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

يعني خالد بن نضلة، وأمر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان، وجعل لهما في السنة يومين، يوم بؤس ويوم نعيم، فيذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه، ويغرو بدمه الطربالين ما كان من شيء آدمي أو وحشي...))[1]، وأورد ياقوت الحموي المتوفى سنة (626هـ): ((وأن الغريين بظاهر الكوفة بناهما المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء، وكان السبب في ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة والآخر عمرو بن مسعود فثملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فأمر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيين، فلما أصبح استدعاهما فأخبر بالذي أمضاه فيهما فغمه ذلك وقصد حفرتيهما وأمر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان، فقال المنذر: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري، لا يمرّ أحد من وفود العرب إلا بينهما، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم، يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويغري بدمه الطربالين، فإن رُفعت له الوحش طلبتها الخيل، وإن رفع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ما يعنّ ويطليان بدمه، ولبث بذلك برهة من دهره وسمّى أحد اليومين يوم البؤس وهو اليوم الذي يقتل فيه ما ظهر له من إنسان وغيره، وسمي الآخر يوم النعيم يُحسن فيه إلى كلّ من يلقى من الناس ويحملهم ويخلع عليهم))[2].

وأورد النويري المتوفى سنة (733هـ) روايتين يقول في إحداهما: ((وأما الغرِيّان فهما اسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة. بناهما النعمان بن المنذر بن ماء السماء على جاريتين كانتا قَيْنتين تغنيان بين يديه فماتتا فأمر بدفنهما وبنى عليهما الغريين))[3]، ويقول في الرواية الأخرى: ((ويقال إن المنذر غزا الحارث بن أبي شمِرٍ الغساني، وكان بينهما وقعة على عين أُباغ، وهي من أيام العرب المشهورة. فقتل للحارث ولدان، وقتل المنذر وانهزمت جيوشه، فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عِدْلين على بعير، وجعل المنذر فوقهما، وقال ما العِلاوة بدون العِدْلين، فذهبت مثلًا. ثم رحل إلى الحيرة فانتهبها وحرّقها ودفن ابنيه بها. وبنى الغريين عليهما))[4]. وقيل في سبب بنائهما غير ذلك. والله أعلم[5].

(1) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص214ـ215.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص198.
(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص387.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص387.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص387.

روايات عديدة متشابهة ومختلفة، وهناك أخرى غيرها، ولعل اللاحق نقل من السابق، يُنقص أو يُضيف أو يختلق مشابِهة، أو يخلط بين أكثر من رواية. ولعل جذر الرواية جاء من الخارج، من مصر كما يذكر البعض كالحموي والقزويني، يقول ياقوت الحموي: ((وإنما بني الغريان اللذان في الكوفة على مثل غريين بناهما صاحب مصر، وجعل عليهما حرسًا، فكل من لم يُصلِّ لهما قُتل))[1]، ويؤكد ذلك القزويني بقوله: ((وكان المنذر بنى الغريين على مثال ما بناهما ملوك مصر))[2].

وفي كل الحالات، الرواية أو الروايات أو الأخبار الغريبة والمثيرة كثيرًا ما تكون محل اهتمام المؤرخين فينقلونها وإن لم تكن معقولة، وهو منهج استخدمه القدماء في كثير من نقولهم، ويعلق د. جواد علي على السبب الذي ذكره المؤرخون والجغرافيون وغيرهم فيقول: ((وهذا الذي يرويه أهل الأخبار عن سبب بناء الغريين، هو من القصص الذي ألفناه، وعوّدنا أصحاب الأخبار سماعه، فلا قيمة تاريخية له في نظرنا، وإن أكد لنا الأخباريون أو حاولوا التاكيد أنه حق، وإنه أمر مسلم به وشائع ومعروف))[3]، ومن المعقول جدًا أن يكون التعدد والتنوع في الأسباب والروايات دليلًا على اضطراب الموضوع أو الحادثة وعدم دقتها أو عدم صحتها.

نهاية الغَرِيَّين

الغريان في أساسهما بناءان جاهليان، شُيدا لأغراض دينية طقوسية كما أشرنا إلى ذلك آنفًا، والظاهر أنهما بقيا أو بعض بقاياهما إلى العصر الإسلامي كما تذكر الأخبار والروايات التاريخية، فيذكر الطبري في حوادث سنة (12هـ) عسكرة خالد ((بين الغريين والقصر الأبيض))[4].

وفي الحديث عن موقع الغريين ذكرنا أن بعض الروايات يشير إلى وجود بقايا الغريين أو الغري نحو منتصف القرن الهجري الأول قرب قبر الإمام علي(ع) فقد قال صفوان أثناء ذهابه إلى الكوفة: ((فلما صرنا إلى قائم الغري))[5]، وهناك رواية أخرى تشير إلى أن معن بن زائدة المتوفى سنة (151هـ) مرَّ أو شاهد الغريين أو واحدًا منهما أو بقاياهما، يورد ابن الفقيه: ((ولما دخل معن بن زائدة الكوفة رأى الغريين قد انهدما فأنشأ يقول:

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص197.
(2) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص428.
(3) د. جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب، ج3، ص231.
(4) تاريخ الطبري، ج3، ص360.
(5) فرحة الغري، ص226.

لـو كـان شـيء مقيمًا لا يبيد على طـول الـزمـان لـمـا بـاد الـغـريّـان
قـد فـرّق الـدهـر والأيـام بينهما وكـل إلـفِ إلـى بَيْـن وهـجـران))[1]

ويورد القزويني المتوفى سنة (682هـ): ((ونظر معن بن زائدة إلى الغريين وقد خرب أحدهما، فقال:

لـو أن شـيئًا مقيـمًا لا يبيد على طـول الـزمـان لـمـا بـاد الـغـريّـان
قد خـرب الدهر بالتصريف بينهما فكل إلـفٍ إلـى بيْـنٍ وهـجـران))[2]

فابن الفقيه يقول (قد انهدما) والقزويني يقول (وقد خرب أحدهما) لكن رواية النويري تشير إلى بقائهما إلى عصر المنصور العباسي المتوفى سنة (158هـ)، فقد ورد: ((وأمر المنصور بهدم أحدهما. لكنزٍ توهم أنه تحتهما. فلم يجد شيئًا))[3]، ومن خلال هذه الروايات والأقوال نعرف أن الغريين أو أحدهما أو بقاياهما بقيا على الأقل إلى زمن المنصور (أوائل العصر العباسي). ولم نعرف شيئًا بعد ذلك، أما اليوم فلا بقايا ولا آثار سوى الأخبار المتضاربة، وهذا ما يعقّد الوصول إلى معلومات صحيحة أو دقيقة عن هذين المعلمين المهمين.

2. بحر النجف (البحر الأخضر)

بحر النجف اسم أو مصطلح أطلق على مساحة مائية واسعة (بحر أو شِبه بحر أو بحيرة أو هور أو مستنقع أو منخفض وما شابه ذلك)، وهذا (البحر) هو مَعْلم طبيعي أساسي من المعالم المتنوعة الشهيرة في منطقة النجف الكبرى، ومكون رئيسي من مكوناتها المختلفة. وهو جزء واضح ومتميز ولصيق طبيعي بمعلم أو موضع النجف منذ القدم، فمنذ عُرفت النجف كان البحر معها لم ينفك عنها.

يقع بحر النجف في الجنوب الغربي من المنطقة، ((ويمتد حوضه باتجاه مساحته حوالي 750 كيلومترًا مربعًا، ويبلغ ارتفاع أوطأ نقطة فيه 11 مترًا فوق سطح البحر. ومن الناحية الجيولوجية فإن أرضيته مغطاة بالرسوبيات الحديثة التي يَصِلُ سمكها إلى حوالي 38 مترًا ويظهر على أطرافه تكشفات صخرية))[4]، ينبع بحر النجف من منخفض واقع على الفرات في الجنوب الشرقي من الحيرة (يعرف بالقرنة)، ومنخفض آخر لا يبعد كثيرًا عن الأول يُعرف

(1) ابن الفقيه ، كتاب البلدان، ص215.
(2) القزويني ، آثار البلاد، ص428.
(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص387.
(4) موسى العطية، أرض النجف، التاريخ والتراث الجيولوجي، ص50.

بـ(المدلك) وبين هذين المنخفضين منخفض ثالث يسمى بـ(الفتحة): وقد وجدت الفيضانات العالية في هذه المنخفضات المتقاربة ما يساعد على اندفاع المياه وانحدارها من الفرات إلى المنخفضات الواسعة من الأراضي المتصلة بالحيرة والنجف، وتكوَّن بسبب ذلك (بحر النجف) وقد تغير بسبب ذلك مجرى نهر الفرات عدة مرات، ويتضح من تتبع التاريخ أن محاولات متعددة لسد هذه المنابع وقطع الصلة بين الفرات وبحر النجف قد حدثت بقصد استصلاح الأراضي الزراعية وتنظيم طرق المواصلات النهرية، فكان هذا البحر يجفّ زمنًا ثم يعود مرة أخرى حين تكون مناسيب مياه الفيضان قد تجاوزت الحدود المألوفة بحيث تهدم السدود الترابيّة وتقلعها من أساسها[1]، أطلق المؤرخون والباحثون على هذا البحر أو المساحة المائية أو المنطقة اسم (بحر النجف) من خلال مشاهدتهم مساحة مائية بَيْضاء - زرقاء ممتدة في غرب النجف كأنها بحر ممتد[2]، وإن كانت حقيقتها أرضًا ملحية جافة كما هو حالها في القرون الأخيرة.

وفي تراثنا العربي والإسلامي، ورد (بحر النجف) بأسماء عديدة ومختلفة، ومن ذلك (بحر الملح) فقد قال اليعقوبي المتوفى سنة (284هـ) ((والحيرة على النجف، والنجف كان على ساحل بحر الملح، كان في قديم الزمان يبلغ الحيرة، وهي منازل آل بقيلة))[3]، ووصفه الطبري وغيره بـ(البحر الأخضر)، يقول الطبري: ((وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين))[4]، وذكره الطبري أيضًا باسم (بحر الحيرة)، يقول: ((وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحيرة يوم الجمعة، فنزل فاغتسل فيه))[5]، وذكر هذا البحر في الشعر باسم (بحر بانقيا) على ما يبدو، ففي شعر الأعشى ورد:

فما نِيل مصر إذ تسامى عبابه ولا بحر بانقيا إذا راح مفعما[6]

ولما كانت بانقيا مدينة أو قرية شهيرة في منطقة النجف، قريبة أو بعيدة عن النجف الملاصقة لبحر النجف نسب الشاعر ذلك البحر إليها على ما يمكن أن يفهم من بحر بانقيا، ويمكن أن يقصد الشاعر من البحر النهر أيضًا كما سنرى لاحقًا في البحث عن بانقيا.

(1) أ. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ج6 ق1 ص15.

(2) وهذه التسمية تذكّرنا بالتسمية التي أطلقت على منخفضات القمر باسم (بحار القمر) وإن لم تكن بحارًا فعلية على سطح القمر، انظر مادة بحار القمر، قاموس دار العلم الفلكي، عبد الأمير المؤمن، ص88.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص146.

(4) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص492. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص292.

(5) تاريخ الطبري، ج5، ص578.

(6) البكري ، معجم ما استعجم، ج1 ، ص206.

الخلفية التاريخية لبحر النجف

ذكر التاريخ بحر النجف منذ القدم، منذ عصور ما قبل الإسلام، وقد عرف بحرًا مائيًا واسعًا نشطت فيه حركة المواصلات ورسو السفن التجارية والمراكب القادمة من داخل العراق وخارجه.

وقد ورد هذا البحر في مصادرنا التاريخية والجغرافية القديمة، منذ القرن الثالث والرابع الهجريين، ذكره اليعقوبي المتوفى سنة (284هـ) وذكره الطبري المتوفى سنة (310هـ)، والمسعودي المتوفى سنة (346هـ) وآخرون، مقترنًا ببعض المعلومات والأخبار والروايات، وقد اختلفوا فيه، والأغلب يقولون كان بحرًا حقيقيًا تجري في مائه السفن ووسائل المواصلات المختلفة ذاهبة راجعة إلى حدود النجف والحيرة، وهناك من ينكر أن تكون تلك الصفحة المائية بحرًا حقيقيًا.

وقد ذكرنا آنفًا أن اليعقوبي ذكر اسم (بحر الملح) في حدود النجف: ((النجف كان على ساحل بحر الملح))[1]، فهل كان بحرًا من ملح فعلاً أم كان بحرًا مائيًا مالحًا!؟ وذكرنا أيضاً أن الطبري يقول بوجود ((بحر أخضر))[2]، ويقول أيضًا ((بحر الحيرة))[3]، ويفصّل آخرون وجوده من خلال بعض الأحداث التي جرت فيه، وكانوا يقولون بارتباطه بالصين والهند وفارس والخليج وأماكن أخرى، إضافة إلى ارتباطه بأماكن داخل العراق.

يذكر المؤرخ المسعودي المتوفى سنة (346هـ): ((وقد كان الفرات الأكثر من مائه ينتهي إلى بلاد الحيرة ونهرها بين إلى هذا الوقت وهو يعرف بالعتيق، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم، وهي وقعة القادسية، فيصب في البحر الحبشي، وكان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت، وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة، وقد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني حين خاطب خالد بن الوليد في أيام أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه حين قال له: ما تذكر؟ قال أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون، فلما انقطع الماء عن مصبه في ذلك الموضع انتقل البحر برًا، فصار بين الحيرة وبين البحر في هذا الوقت مسيرة أيام كثيرة، ومن رأى النجف واشرف عليه تبين له ما وصفنا))[4].

(1) اليعقوبي، البلدان، ص146.
(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص492.
(3) المصدر نفسه، ج5، ص578.
(4) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص103ـ104.

ويورد الشريف المرتضى المتوفى سنة (436هـ) الحوار الذي دار بين خالد وابن بقيلة فيقول: ((قال (أي خالد) كم أتى لك؟ قال ستون وثلثمئة سة، قال: فما أدركت؟ قال أدركت سفن البحر ترفأ في هذا الجرف ورايت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها، لا تزوَّد إلا رغيفًا واحدًا حتى تأتي الشام، ثم قد أصبحت خرابًا يبابًا، وذلك دأب الله في البلاد والعباد))[1]. ومثله قال الشابشتي المتوفى سنة (388هـ)[2].

وفي زمن النعمان بن امرئ القيس مؤسس الخورنق ورد أن البحر كان يضرب إلى النجف، يقول ابن الجوزي المتوفى سنة (597هـ): ((صعد النعمان عليه (قصر الخورنق) ومعه وزيره وسنمار فرأى البر والبحر وصيد الظبيان والضباء والحمير ورأى صيد الحيتان والطير وسمع غناء الملاحين وأصوات الحداة، فعجب بذاك إعجابًا شديدًا، وكان البحر حينئذ يضرب إلى النجف))[3].

ويذكر القزويني المتوفى سنة (682هـ) الحيرة وساحل البحر بقوله: ((الحيرة بلدة قديمة كانت على ساحل البحر بقرب أرض الكوفة، وكان هناك في قديم الزمان بحر والآن ليس بها أثر البحر ولا المدينة))[4]، ويقول الحموي المتوفى سنة (626هـ) وغيره أن بحر فارس كان يتصل بالنجف، يقول: ((موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به))[5]، وفي الشعر العربي ورد أن البحر يحف بالنجف، يقول إسحاق الموصلي:

لم ينزل الناس في سهل وفي جبل أصفى هواء ولا اغذى من النجف
حفت ببر وبحر في جوانبها فالبر في طرف والبحر في طرف[6]

وهناك روايات وأخبار تاريخية أخرى تذكر وجود البحر لصيقًا بمعلم النجف. وفي الروايات والأخبار التاريخية التي ذكرناها آنفًا معلومات وتفاصيل قليلة عن طبيعة ذلك البحر النجفي، فمن القائلين بوجود البحر من أشار إلى أن بحر النجف بحر ملح، ومنهم من وصفه بالأخضر، ولعلَّ تلك الخضرة ناتجة من ركوده. وهناك من قال بوصول سفن ومراكب من الهند والصين إلى بحر النجف أو بحر الحيرة. وهناك من قال باتصاله ببحر فارس، وكل ذلك كان في العصور

(1) الشريف المرتضى، أمالي المرتضى، ج1، ص263.
(2) الشابشتي، الديارات، ص240.
(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص91.
(4) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص186 و359.
(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص328. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص336.
(6) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ج9، ص285.

القديمة زمن ملوك الحيرة وما قبلهم، وليس في العصور الإسلامية، ومن تلك الأخبار والروايات نعْرف أن البحر كان موجودًا في زمن ملوك الحيرة، وبالذات زمن النعمان بن امرئ القيس مؤسس قصر الخورنق.

أما في العصور الإسلامية فلا تشير النصوص التاريخية العربية والإسلامية إلى وجوده، فلا بحر حقيقيًا[1] في القرون الإسلامية، في عصر المسعودي المتوفى سنة (346هـ) مثلاً ولا في عصر القزويني المتوفى سنة (682هـ) ولا في عصر القلقشندي المتوفى سنة (821هـ) ولا بعدهم في القرون اللاحقة إلى اليوم.

وفي مقابل هؤلاء القائلين بوجود بحر النجف في شكل ما وزمن ما، هناك من يقول بوجوده جافًا زمن المناذرة في الحيرة، يقول الشيخ حمود الساعدي: ((ويفهم من الروايات التاريخية ومن التلال الأثرية الواقعة فيه أنه كان جافًا في عهد المناذرة واستمر جفافه إلى سنة (1240) المارة الذكر))[2]، ويذهب د. مصطفى جواد إلى القول: ((ولكننا لا نعد ذلك تصديقًا لوجود بحر حقيقي، وإنما نفهم أن الفرات كان يسيح ماؤه في تلك البطاح ويرفده الخندق الذي شقه سابور ذو الأكتاف (310-380م) في غربي الفرات بين أعالي العراق الغربية وأسافله، وترفده كذلك الأودية التي تأتي من النجاد الغربية من صحراء السماوة القديمة من شمالي جزيرة العرب، فتكون بطائح واسعة ترى كأنها البحر، وكان من بقاياها (بحر الشنافية) و(بحر النجف) المعروف الاسم حتى اليوم، ولا يبعد اتصال هذه البطائح ببحر فارس، كما نقل ياقوت من زعم الناس في مادة الحيرة من معجم البلدان، قال: ((الحيرة بالكسر ثم السكون مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به)). فخندق سابور كان واسعًا وعميقًا ويتصل ببحر فارس في الخليج المعروف اليوم بخور عبد الله، لأنه إنما حفره ووسّعه ليحمي بلاده من هجمات العرب الخاطفة ولإخصاب الأرض للأعراب الموالين له))[3]، وفي الوقت الحاضر لم يبق من بحر النجف سوى الاسم، أما المياه فقد جفَّت إنْ كانت هناك مياه من قبل.

3. خندق سابور (كري سِعْدة)

الخندق في الأساس هو حفيرة طويلة عميقة تُحفر حول قلعة أو أمام مدينة أو نحو ذلك،

(1) وهذا لا يعني عدم وجود مياه في منخفضات المنطقة هنا وهناك وحتى على شكل تجمعات مائية.
(2) الشيخ حمود الساعدي، بحر النجف، بحث في موسوعة النجف لجعفر الدجيلي، ص 239.
(3) أ. جعفر الخليلي (بحث د. مصطفى جواد)، موسوعة العتبات المقدسة، ج6 ق1 ص15ـ16.

في أيام الحروب لمنع وصول العدو إليها[1]، ويقول الفيروزآبادي في قاموسه: ((الخندق حفير حول أسوار المدن... وحفير لسابور الملك ببرية الكوفة))[2]، والخندق كلمة غير عربية وعلى الأغلب، هي فارسية مأخوذة من كَنْدة، يقول الجواليقي: ((الخندق فارسي معرب وأصله كنده أي محفور))[3]، ويقول ابن دريد الازدي أيضًا: ((الخندق فارسي معرب))، وقد تكلمت به العرب قديمًا. قال الشاعر:

فـلـيـأت مـأسـدة تـسـنّ سـيـوفـهـا بين الـمـذاد وبين جـزع الـخـنـدق[4]

وفي مكان آخر يقول (ابن دريد): ومما أخذ من السريان... الخندق[5]، ويقول المستشرق فنسك: ((إن الكلمة (أي الخندق) قد تكون آرامية استعيرت في العربية))[6]، وخَندق سابور أو (كري سِعْدة)[7] كما يسمى أيضًا، هو في الحقيقة نوع من الحُفر أو الخنادق أو هو خندق فعلي حُفر أو شُقّ في منطقة النجف، بعيدًا عن مدينة النجف إلى حد ما، في الجزء الأقرب إلى الكوف، وهو خندق شهير من خنادق عصر ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي)، أمر بشقه وحفره الملك الفارسي سابور ذو الأكتاف (309-379م) وسمي باسمه (خندق سابور) كما ورد في التاريخ[8]، لكن عالم الآثار الأمريكي جون بيترز له رأي آخر، فهو يعتقد ((أنَّ (كري سِعْده) هو الجدول الكبير الذي حفره (نبوخذ نصر) فمدَّه من موقع يقرب من هيت إلى الخليج ليحي به مساحات شاسعة من الأراضي الموات))[9].

وأساس خندق سابور في الزمن القديم، هو شق طويل يصل إلى مئات الكيلومترات، لكن

(1) بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج7، ص479.
(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص881.
(3) الجواليقي، المعرَّب من الكلام الأعجمي، ص131.
(4) ابن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة، ج2، ص582. ابن سيده ، المخصص، ج4، ص633.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج2، ص808.
(6) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ج8، ص463.
(7) يُذكر في تسمية خندق سابور أكثر من سبب: منها مروره بجبل سعدة الواقع غربي الحبانية، وهو سبب معقول ومناسب، لكن الأستاذ بيترز يذكر سببًا غريبًا يقول: ((إن تاجرًا غنيًّا من تجار البصرة كان قد أحب امرأة جميلة اسمها سِعْدة من أهالي المنطقة الكائنة ما بين هيت وعانة في شمال البلاد. وكانت هذه المرأة تهوى ضفاف الأنهر المظللة، فاشترطت أ. جعفر الخليلي، عليه حينما خطبها من أهلها أن تنقل إلى البصرة في طريق النهر الذي يمر بالأماكن التي يجللها الظل، فما كان منه إلا أن يحفر لها هذا النهر ويغرس الأشجار على ضفافه)) موسوعة العتبات المقدسة، ص244، ج6، ق1.
(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص392.
(9) أ. جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ج6، ق1، ص244.

لم يبق من آثار هذا الشق الآن سوى القليل، ويمكن زيارة بقايا شاحبة من بقايا هذا الخندق التاريخي عندما تتجه شرق مدينة النجف الأشرف على مسافة نحو خمسة كيلومترات من المدينة، قريبًا من مدينة الكوفة، يذكر ياقوت الحموي امتداد هذا الخندق أو الحفير فيقول: ((من هيت يشق طفّ البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر))[1]، أما السبب الذي من أجله شقّ هذا الخندق فهو الخوف من هجمات العرب وغيرهم على مملكة سابور كما قال الحموي عند حديثه عن خندق سابور في معجمه: ((وخندق سابور: في برية الكوفة، حفره سابور بينه وبين العرب خوفًا من شرّهم، قالوا: كانت هيت وعانات مضافة إلى طسوج[2] الأنبار، فلما ملك أنوشروان[3] بلغه أن طوائف من الأعراب يغيرون على ما قرب من السواد إلى البادية، فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بـ(النسر) كان سابور ذو الأكتاف بناها وجعلها مَسْلحة تحفظ ما قرب من البادية، وأمر بحفر خندق من هيت يشق طفّ البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر، وبنى المناظر والجواسق[4]، ونظمّه بالمسالح ليكون ذلك مانعًا لأهل البادية من السواد، فخرجت هيت وعانات بسبب ذلك الخندق من طسوج شاه فيروز، لأن عانات كانت قرى مضمومة إلى هيت))[5]، ومثل الحموي قال البغدادي في مراصد الاطلاع[6].

ويتحدث الحموي أيضًا عن المسالح والموكلين عليها، فيقول عند حديثه عن الطفّ: ((وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم))[7]. ويكمل البلاذري مقومات هذا الخندق، فيقول: ((قالوا كانت عيون الطفّ مثل عين الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها للموكلين بالمسالح التي وراء السواد، وهي عيون خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب الموكلين بمسالح الخندق وغيرهم، وذلك أن سابور أقطعهم أرضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم لها خراجًا، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه غلبت العرب على طائفة من

(1) معجم البلدان، ج2، ص392.
(2) ((الطسوج: الناحية كالقرية ونحوها مُعرّب)) المطرزي، المغرب في ترتيب المعرَّب، ج2، ص14.
(3) حكم كسرى، أنوشروان بين (531–579م).
(4) ومفردها: ((الجوسق معرَّب، وهو تصغير قصر (كوشك) أي صغير))، الجواليقي، المعرَّب من الكلام الأعجمي، ص96.
(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص392.
(6) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص484.
(7) معجم البلدان، ج4، ص36.

تلك العيون، وبقي في أيدي الأعاجم بعضها، ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد أن طمّت عامة ما في أيديهم منها، وبقي الذي في أيدي العرب فأسلموا عليه، وصار ما عمروه من الأرضين عُشريًا))[1]، بقى خندق سابور المعروف عند أهل النجف بـ(كَري سِعْدَة) أو (چري سِعْدَة) (باللهجة المحلية) إلى العصر الإسلامي، وإلى الآن، ولكن بقايا قليلة من بقاياه، حيث اكتسحت معظمه الرياح والعواصف المحملة بالأتربة والرمال التي اعتادت عليها منطقة النجف.

4. بانقيا: مدينة من عمق التاريخ

تعدّ مدينة أو قرية بانقيا القديمة من المواضع أو المعالم الشهيرة أو المعروفة في منطقة النجف في عصر ما قبل الإسلام، فإذا كان النجف موقعًا طبيعيًا متميزًا قامت عليه الحيرة زمن بخت نصر على بعض الأخبار[2]، وكانت الحيرة كيانًا سياسيًا ودينيًا مهمًا ساد في القرون القليلة التي سبقت العصر الإسلامي، فإن مدينة أو قرية بانقيا كانت مشهورة أو معروفة كمدينة قديمة مأهولة قبل أن يعرف النجف وقبل أن تقوم مملكة الحيرة على النجف قبل عصر الإسلام، فمن خلال بانقيا أشار النبي إبراهيم الخليل(ع) إلى النجف، وإلى أنها بلد السبعين ألف شهيد، وقبل ذلك كانت أرضًا أو جبلًا كما تشير الروايات.

لقد نزل النبي إبراهيم الخليل(ع) مدنية بانقيا في القرن التاسع عشر قبل الميلاد زمن النبي إبراهيم[3] يوم لم نكن نعرف النجف ولا الحيرة، ليشير (النبي إبراهيم) إلى (النجف المقدسة) الجبل أو الأرض الصحراء الخالية من الزرع والنبت القريبة من مدينة بانقيا ثم يشتريها من أهل بانقيا بمقابل زهيد، لِتُعرف على أثر تلك الإشارة وذلك الشراء.

وإضافة إلى ذلك الوجود التاريخي البعيد لبانقيا زمن النبي إبراهيم(ع)، جاء نزول النبي إبراهيم(ع)، ليضفي قدسية على المدينة (مدينة بانقيا) فيوقف نزوله هذا الزلزال الذي كان يضرب المدينة كل ليلة كما ورد في الروايات والتاريخ، يقول البكري المتوفى سنة (487هـ): ((إن إبراهيم ولوطًا(ع) مرّا بها (أي بانقيا)، يريدان بيت المقدس مهاجرين، فنزلا بها، وكانت تُزلزل في كل ليلة، وكانت ضخمة جدًا، فراسخ، فلما باتا بها لم تُزلزل، فمشى بعضهم إلى

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص419.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج1، ص558.

(3) يذكر د. عبد الوهاب المسيري، ((ويستدل من قصص التوراة ومن بعض الوثائق التاريخية على أن إبراهيم ظَهَر نحو عام 1850 ق.م. ولكن بعض المؤرخين يرون أنه عاش فيما بعد ذلك التاريخ)) د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص131.

بعض، تعجبًا من عافيتهم في ليلتهم، فقال صاحب منزل إبراهيم: ما دُفع عنكم إلا بشيخ بات عندي كان يصلي ليله ويبكي، فاجتمعوا إليه، فسألوه المقام عندهم، على أن يجمعوا له من أموالهم، فيكون أكثرهم مالًا، فقال: لم أؤمر بذلك، وإنما أمرتُ بالهجرة، فخرج حتى أتى النجف، فلما رآه حتى رجع إدراجه، فتباشروا برجوعه، وظنوا أنه رغب فيما عندهم، فقال: لمن تلك الأرض؟ يعني النجف. قالوا: لنا، فقال: فتبيعونيها؟ قالوا: هي لك، فوالله ما تنبتُ شيئًا، فقال: لا أحب إلا أن تكون شراءً، فدفع لهم غُنَيْمات كنَّ معه، والغنم بالنبطية يقال لها نِقيا، وذكر إبراهيم (ع) أنه يُحشر من ولده من ذلك الظهر سبعون ألف شهيد، فاليهود تنقل موتاها إلى بانقيا، لمكان هذا الحديث))[1].

مدينة كبيرة ومهمة

وعلى أساس هذه الرواية المكررة في عدد من مصادر التراث مع بعض الاختلافات البسيطة بين الواحدة والأخرى يمكن القول إن بانقيا مدينة تاريخية قديمة وكبيرة ((ضخمة جدًا))[2]، ويقول الحموي ((وكان طولها اثني عشر فرسخًا))[3]. ولا شك أن وصفها بكلمة مدينة أحيانًا[4] (طبعًا إلى جانب كلمة قرية) يؤكد كبرها وضخامتها. وبانقيا مدينة مقدسة مشرفة، نزلها النبي إبراهيم(ع) وأقام فيها ليالي، وقد تشرفت بنزوله فيها واستقرت بعد ما كانت تزلزل كل ليلة كما تذكر الرواية وكما صرح أهل المدينة أنفسهم، ((فلما باتا بها لم تزلزل فمشى بعضهم إلى بعض، تعجبًا من عافيتهم في ليلتهم. فقال صاحب منزل إبراهيم، ما دفع عنكم إلا بشيخ بات عندي كان يصلي ليله ويبكي))[5].

وقد أكد النبي إبراهيم (ع) قدسيتها من خلال قوله الصريح: ((إنه يحشر من ولده من ذلك الظهر (أي النجف القريب من بانقيا) سبعون ألف شهيد. فاليهود تنقل موتاها إلى بانقيا، لمكان هذا الحديث))[6]. ومن خلال المصادر عرفنا أن المدينة كانت عامرة بالناس ومن ديانات مختلفة، وخاصة اليهود، فهم الأكثر كما تفيد الأخبار، فقد ذكر ابن أبي الحديد

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص206. المنتظم ابن الجوزي، ج4، ص220. الحموي، ومعجم البلدان، ج1، ص331.
(2) معجم ما استعجم، ج1، ص206.
(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص331.
(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص89.
(5) معجم ما استعجم، ج1، ص206.
(6) معجم ما استعجم، ج1، ص206. معجم البلدان، ج1، ص331.

بانقيا عند ذكره قصة الدرع[1] وقال: ((وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنيها اليهود))[2]، إضافة إلى وجود النصارى والمسلمين. فمن وصايا الإمام عليّ(ع) لعامله على بانقيا: ((إياك أن تضرب مسلمًا أو يهوديًا أو نصرانيًا في درهم...))[3]، ويذكر د. جواد علي تاريخ بانقيا ويقول: ((ويرجع أهل الأخبار تاريخ بانقيا إلى أيام إبراهيم، فهم يذكرون أنه كان ينزل بها. وإن اليهود كانوا يدفنون موتاهم بها. ويذكرون أنها أرض بالنجف دون الكوفة، وأن سكانها كانوا على النصرانية عند ظهور الإسلام، وأن الساسانيين كانوا هم الذين يدافعون عنها ويتولّون أمر إدارتها، أما شؤونها المحلية فكان أمرها بيد ساداتها ورؤسائها))[4].

وفي العصر الإسلامي، وفي سنة (12هـ) كانت مدينة بانقيا من المدن والقرى الأولى التي تشرفت بالفتح الإسلامي، فقد ذكر البلاذري: ((وبعث خالد بن الوليد بشر بن سعد أبا النعمان بن بشير الأنصاري إلى بانقيا فلقيته خيل الأعاجم عليها فَرُّخْبَنْداذ فرشقوا من معه بالسهام وحمل عليهم فَهَزمهم... ثم بعث خالد جرير بن عبد الله البجلي إلى أهل بانقيا فخرج إليه بَصْبُهرى بن صلوبا فاعتذر إليه من القتال وعرض الصلح فصالحه جرير على ألف درهم وطيلسان))[5].

ثم خضعت للكوفة المركز ضمن الدولة الإسلامية على الرغم من وجود أبناء الديانات الأخرى. ونصّب لها رجال من قبل الكوفة، ومن ذلك ما ورد عن مهاجر عن رجل من ثقيف قال: ((استعملني علي بن أبي طالب (ع) على بانقيا وسواد من سواد الكوفة، فقال لي والناس حضور: انظر خراجك فجد فيه ولا تترك منه درهمًا واحدًا، فإذا أردت أن تتوجه إلى عملك فمُرّ بي...))[6].

أين تقع بانقيا؟

لم يتفق المؤرخون والجغرافيون والتراثيون على الموقع الدقيق لمدينة أو قرية بانقيا، فمن خلال مصادر التراث العربي والإسلامي يُذكر أكثر من موقع لهذه المدينة القديمة دون تحديد نقطته ولكن على العموم تذكر المصادر وقوعها على نهر أو بحر، وفي منطقة النجف

(1) انظر قصة الدرع (ادعاء اليهودي بدرع للإمام علي) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج17، ص218ـ219.
(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج7، ج14، ص238.
(3) محمد الكليني، فروع الكافي، ج3، ص535.
(4) د. جواد علي، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص232.
(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص342. وتاريخ الطبري، ج3، ص346.
(6) محمد الكليني، فروع الكافي، ج3، ص535.

الكبيرة، فالبكري الأندلسي المتوفي سنة (487هـ) يذكر وقوعها على أرض النجف، ثم يقرّبها من البحر، يقول: بانقيا: ((أرض بالنجف دون الكوفة، قال الأعشى:

فما نيل مصر إذ تسامى عبابه ولا بحر بانقيا إذا راح مفعما))

وإذا كانت بانقيا أرض بالنجف فبالضرورة أن تكون قريبة من بحر النجف، وبالتالي فهو (بحر بانقيا) كما هو (بحر النجف) لأنها قربه كما النجف قربه، وإذا قال البكري إن بانقيا هي أرض بالنجف دون الكوفة فهناك من المؤرخين والجغرافيين والتراثيين ممن سبق زمان البكري الأندلسي يقولون بوجودها (بشاطئ الفرات) أو (بشاطئ النهر) أو بنواحي الكوفة أو بالكوفة، وهذا يعني أنها دون النجف.

يقول ابن سعد المتوفى سنة (230هـ): ((ثم سار (أي خالد بن الوليد) فنزل ببانقيا على شاطئ الفرات، فقاتلوه ليلة حتى الصباح ثم طلبوا الصلح، فَصالحهم وكتب لهم كتابًا، وصالح صلوبا بن بصيهرا، ومنزله بشاطئ الفرات على جزية ألف درهم))[1]. ومثل ذلك قال ابن أعثم الكوفي المتوفى سنة (314هـ) لكنه قال (بشاطئ النهر) وليس بشاطئ الفرات، قال: ((ولما وصل جيش جرير إلى (شاطئ النهر) وأرادوا أن يعبروه إذ جاءهم رجل من (بانقيا) يعرض الصلح على جرير بن عبد الله مقابل مئة ألف درهم، فرضي جرير بذلك وكتب له كتاب الصلح))[2]، ويؤكد كل ذلك، أي يؤكد وقوع بانقيا على النهر ونهر الفرات بالذات، ما أورده الحموي المتوفى سنة (626هـ) مع بعض التفصيلات عند فتح بانقيا، قال الحموي: ((إن خالد بن الوليد سار من الحيرة حتى نزل بصلوبا صاحب بانقيا وسميّا على ألف درهم وزن ستةٍ، وكتب لهم كتابًا فهو عندهم إلى اليوم معروف، قال: فلما نزل بانقيا على شاطئ الفرات قاتلوه ليلة حتى الصباح، فقال في ذلك ضرار بن الازور الأسدي:

أرقت ببانقيا ومن يلق مثل ما لقيتُ ببانقيا من الحرب يأرقِ

فلما رأوا أنه لا طاقة لهم بحربه طلبوا إليه الصلح فصالحهم، وكتب لهم كتابًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن بصبهرى بشاطئ الفرات، إنك آمن بأمان الله على حق دمك في إعطاء الجزية عن نفسك وجيرتك وأهل قريتك بانقيا وسميّا على ألف درهم جزية، وقد قبلنا منك ورضي من معي من المسلمين بذلك، فلك ذمة الله وذمة النبي محمد(ﷺ)، وذمة المسلمين على ذلك. شهد هشام بن الوليد وجرير بن عبد الله

(1) ابن سعد، طبقات ابن سعد، ج7، ص397.
(2) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج1، ص78.

بن أبي عوف وسعيد بن عمرو، وكتب سنة (13) والسلام، ويروى أن ذلك كان سنة (12))[1]. وأضاف البغدادي المتوفى سنة (739هـ) عبارة من نواحي الكوفة، قال: ((بانقيا بكسر النون: ناحية من نواحي الكوفة، كانت على شاطئ الفرات))[2]، وقال الفيروزآبادي: ((بانقيا قرية بالكوفة))[3].

إن هذا الذي أورده المؤرخون والتراثيون، ومنهم مؤرخون (ابن سعد وابن أعثم الكوفي) من أبناء القرن الثالث الميلادي عن وقوع بانقيا على شاطئ الفرات ونواحي الكوفة، ووصول كتاب الصلح إلينا الذي ذكر منزل أحد أطراف الصلح الرئيسيين صلوبا بن بصبهرى بشاطئ الفرات. إن كل ذلك يقرّب وقوع بانقيا من شاطئ الفرات، الأقرب إلى الكوفة منه إلى النجف. أما ما ورد في الشعر باسم (بحر بانقيا) فالبحر في اللغة يدل على النهر أيضًا[4]، لكن يمكن أن يكون المقصود (بشاطئ الفرات) أو (شاطئ النهر) أحد فروع الفرات القريب من النجف ومن البحر (بحر النجف) في الوقت نفسه، وبالتالي تتساوى التسميات (بحر النجف وبحر بانقيا).

ويمكن أن نقول أيضًا: وطالما لم نعرف وقوع بانقيا على أية نقطة من نقاط المنطقة وشط الفرات، ولم تسعفنا التنقيبات والآثار بأدلة مادية قطعية على مكان وجودها، تبقى الاحتمالات مفتوحة للباحث على عدد كبير من نقاط المنطقة وأمكنتها.

5. مواضع ومعالم أخرى

1. أَطَدٌ

أطد موضع أو مَعْلَم من المعالم العديدة التي تنتشر في منطقة النجف الكبرى، ذكره ياقوت الحموي المتوفى سنة (626هـ) بقوله: ((أرض قرب الكوفة من جهة البر، نزلها جيش المسلمين في أول أيام الفتوح))[5]، وذكره البغدادي بمثل ما ذكر الحموي[6].

2. الأُفاقَةُ

موضع أو مَعْلم من معالم منطقة النجف الكبرى، يقع قرب مدينة الكوفة، ذكره البكري

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص332.
(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص158.
(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1340.
(4) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص42، وغيره من القواميس والمعاجم.
(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص216.
(6) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص91.

المتوفى سنة (487هـ) بقوله: ((موضع بالحَزْن كانت تتبدّى فيه بنو نصر ملوك الحيرة))[1]، ويضيف الحموي بقوله: ((قرب الكوفة))[2]، وبقوله أيضًا: ((قال المفضل هو ماء لبني يربوع))[3].

ومثله قال البغدادي المتوفى سنة (739هـ): ((الأفاقة بالضم موضع من أرض الحَزْن قرب الكوفة وقيل ماء لبني يربوع كان النعمان بن المنذر يبدو له في أيام الربيع))[4]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((موضع بالكوفة أو ماء لبني يربوع))[5]

3. أنْقِرَة

أنِقرة موضع أو معلم من معالم منطقة النجف يقع بالقرب من الحيرة، ذكره البكري بقوله: ((موضع بظهر الكوفة أسفل من الخَوَرنق كانت إياد تنزله في الدهر الأول إذا غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة، وفيه اليوم طيٌّ وسليح... وقال غيره أنقرة موضع بالحيرة))[6]، وذكره الحموي بقوله: ((وأنقرة أيضًا موضع بنواحي الحيرة، في قول الأسود بن يعفر النهشلي))[7]، وذكر البغدادي أنقرة بقوله: ((وقيل موضع بنواحي الحيرة، وهو غلط))[8]، وقال الفيروزآبادي: ((أنقرة موضع بالحيرة))[9].

4. بارق

بارق موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، يقع بالقرب من الكوفة. ذكره البكري بقوله: ((بارق: على بناء فاعل من برق: جبل بالسواد، قريب من الكوفة، نزله سعد بن عدي بن حارثة بن امرئ القيس، فسمي بهذا الجبل بارقًا، فهم بنو بارق وإياه أراد أبو الطيب بقوله:

تـذكـرتُ مـا بيـن الـعُـذيـب وبـارق مَجَرّ عوالينا ومجرى السوابق))[10]

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص161.
(2) معجم البلدان، ج1، ص226.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص226.
(4) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص99.
(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص865.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص188.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص272.
(8) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص126.
(9) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص486.
(10) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص204ـ205.

وذكره الحموي بقوله: ((بارق بالقاف ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة))[1]، ومثله ذكر البغدادي في مراصده[2]، وذكره ابن منظور المتوفى سنة (711ه) بقوله: ((بارق موضع قريب من الكوفة))[3]، أما الفيروزآبادي فيقول: ((البارق موضع بالكوفة))[4] معرفًا البارق بالألف واللام.

5. الثَوِيّة

الثوية موضع أو مَعْلم شهير في منطقة النجف، يقع بالقرب من الكوفة أو الحيرة، ذكره الجاحظ المتوفى سنة (255ه) بقوله: ((الثوية موضع بناحية الكوفة))[5]، وذكره البكري بقوله: ((موضع من وراء الحيرة قريب من الكوفة))[6]، وذكره الحموي بقوله: ((الثوية موضع قريب من الكوفة، وقيل بالكوفة، وقيل خريبة إلى جانب الحيرة على ساعة منها ذكر العلماء أنها كانت سجنًا للنعمان بن المنذر، كان يحبس بها من أراد قتله، فكان يقال لمن حُبس بها ثوى أي أقام، فسميت الثوية بذلك))[7]، ومثله قال البغدادي في مراصده[8]. ويفرق د. حسن الحكيم بين ثويتين بقوله: ((ولكن أرض النجف قد خُصّت بثويتين أبديتين دائمتين هما (ثوية الحيرة) قبل الإسلام و(ثوية الكوفة) في الإسلام[9].

6. الجَرعة

الجرعة موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى. يقع بالقرب من الكوفة أو بالقرب من القادسية أو بين الكوفة والحيرة. ذكره ابن سعد المتوفى سنة (230ه) في طبقاته بقوله: ((الجَرَعة بين الكوفة والحيرة))[10]. وذكره الطبري المتوفى سنة (310ه) بقوله: ((والجرعة مكان مشرف قرب القادسية))[11]. وذكره الحموي بقوله: ((وهو موضع قرب الكوفة، المكان

(1) معجم البلدان، ج1، ص319.
(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص151.
(3) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص18.
(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص866.
(5) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص180.
(6) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص316.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص87.
(8) الغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص302.
(9) حسن الحكيم، المفصَّل في تاريخ النجف الاشرف، ج1، ص184.
(10) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص33.
(11) الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص335.

الذي فيه سهولة ورمل))[1]، وذكره أيضًا بقوله: ((لما قدم خالد العراق نزل بالجَرَعة بين النجفة والحيرة))[2]. وذكره البغدادي بقوله: ((موضع قرب الكوفة، وقيل الجرعة بين النجفة والحيرة))[3]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: الجرعة ((موضع قرب الكوفة))[4].

7. جُفاف الطير

جُفاف الطير موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، قرب الكوفة، ذكره البكري تحت عنوان جُفاف: ((هي أرض لأسد وحنظلة واسعة تألفها الطير، قال جرير:

فما أبصرَ النار التي وضحت له وراء جُفاف الطير إلا تماريا))[5]

وذكره الحموي بقوله: ((صقع في بلاد بني أسد منه الثعلبية التي قرب الكوفة))[6]، وذكره البغدادي بقوله: ((صقع في بلاد بني أسد، منه الثعلبية))[7]، وقال الفيروزآبادي: ((موضع لأسد وحنظلة واسعة))[8].

8. الجوسق الخَرِب

الجوسق الخرب موضع أو معلم في منطقة النجف الكبرى يقع بالكوفة أو بظاهر الكوفة. ذكره البكري تحت عنوان (الجوسق) وقال: ((الجوسق من مصانع الفرس بالكوفة. قال الشاعر:

إني أدين بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق الخرب))[9]

وذكره الحموي بقوله: ((والجوسق الخَرِب أيضًا بظاهر الكوفة عند النُخيلة))[10]، ومثله قال البغدادي في مراصده[11].

(1) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص127.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص128.
(3) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص326.
(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص709.
(5) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص29.
(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص146.
(7) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص337.
(8) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص797.
(9) البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص45.
(10) معجم البلدان، ج2، ص185.
(11) مراصد الاطلاع، ج1، ص358.

9. حروراء

حروراء موضع أو معلم أو قرية في منطقة النجف الكبيرة يَقع في ظاهر الكوفة، وذكره الحموي بقوله: ((قيل هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فنُسبوا إليها))[1]، ومثله قال البغدادي في مراصده[2]. وذكره ابن منظور بقوله: ((حروراء موضع بظاهر الكوفة، تنسب إليه الحرورية من الخوارج لأنه كان أول اجتماعهم بها))[3]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((حروراء كجلولاء وقد تُقْصر قرية بالكوفة))[4].

10. حمام أعين

حمام أعين موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى يقع بالكوفة أو بالقرب منها، ذكره الشابشتي بقوله: ((وحمام أعين ناحية عن الطريق على يمين الخارج من بغداد إلى الكوفة))[5]. وذكره الحموي بقوله: ((حمام أعين بتشديد الميم: بالكوفة، ذكره في الأخبار مشهورة منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص))[6]، وذكره البغدادي بقوله: ((حمام أعين بتشديد الميم: موضع بالكوفة، منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص))[7].

11. الخُصوص

الخُصوص موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، يقع بالقرب من الكوفة، ذكره الحموي بقوله: ((موضع قريب من الكوفة تنسب إليه الدنان فيقال دَنٌّ خُصّيٌّ))[8]، وذكره البغدادي بقوله: ((موضع بقرب الكوفة))[9]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((موضع بالكوفة تنسب إليه الدنان الخُصيّة على غير قياس))[10].

(1) معجم البلدان، ج2، ص245.
(2) مراصد الاطلاع، ج1، ص394.
(3) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص185.
(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص375.
(5) الشابشتي، الديارات، ص247.
(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص299.
(7) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج1، ص423.
(8) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص375.
(9) مراصد الاطلاع، ج1، ص471.
(10) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص617.

12. خَفّان

خَفّان موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، يقع قرب الكوفة أو فوق القادسية. ذكره الحموي بقوله: ((موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانًا، وهو مأسدة، قيل هو فوق القادسية))[1]. وذكره ابن منظور بقوله: ((وخَفّان مأسدة بين الثّنْي وعُذَيب فيه غياض ونزوز، وهو معروف))[2]، وذكره البغدادي بقوله: ((موضع قرب الكوفة فوق القادسية))[3]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((خفّان كعفّان مأسدة قرب الكوفة))[4].

13. الرُحبَة

الرُحبَة موضع أو معلم أو قرية في منطقة النجف الكبيرة، يقع بالقرب من القادسية.

ذكره الحموي بقوله: ((والرُحبة أيضًا قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحُجاج إذا أرادوا مكة وقد خربت الآن بكثرة طروق العرب لأنها في ضفة البر ليس بعدها عمارة))[5]، وذكره البغدادي بقوله: ((بقرب القادسية على مرحلة من الكوفة))[6]، وذكر الفيروزآبادي الرحبة بقوله: ((قرية بحذاء القادسية))[7]، وذكر أيضًا ((محلة بالكوفة))[8].

14. السيْلحون

السيلحون موضع أو معلم أو قرية في منطقة النجف، يقع قرب الحيرة أو قرب القادسية أو بين الكوفة والقادسية، ذكره البكري بقوله: ((سَيْلَحِين... وهو موضع بالحيرة، وقيل هو رستاق من رساتيق العراق))[9].

وذكرهُ الحموي بقوله: ((وذِكرُ سيْلحين في الفتوح وغيرها من الشعر يدل على أنها قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية، ولذلك ذكرها الشعراء أيام القادسية مع الحيرة والقادسية))[10]، ثم

(1) معجم البلدان، ج2، ص379.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص141.
(3) مراصد الاطلاع، ج1، ص474.
(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص806.
(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص33.
(6) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص608.
(7) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص89.
(8) المصدر نفسه، ص89.
(9) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص56.
(10) معجم البلدان، ج3، ص298.

يقول: ((فهذا يدل على أن (السيْلحون) بين الكوفة والقادسية... وقيل إنها سميت سيلحون لأنها كانت بها مسالح لكسرى))[1]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((وسيلحون قرية))[2].

15. صريفون

صريفون موضع أو معلم أو قرية في منطقة النجف الكبيرة، يقع قرب الكوفة على ما يبدو، ذكره البكري بقوله: ((وصريفون من رزاديق[3] العراق أيضًا))[4]، وذكره الحموي بقوله: ((وصريفين من قرى الكوفة))[5]، ورد الصريفون في الشعر العربي مع معالم في منطقة النجف مما يدل على وجوده في هذه المنطقة، يقول الشاعر أعشى قيس:

ويجبى إليه السيلحون ودونها صريفون في أنهارها والخورنق[6]

ومن مجموع القرائن نعْرف أن (الصريفون) يَقع ضمن منطقة النجف وإن وجد هذا الاسم في مناطق أخرى كما ذكر الفيروزآبادي وغيره[7].

16. صِنّين

صنّين موضع أو معلم أو بلد في منطقة النجف الكبرى، يقع في ظاهر الكوفة أو بالكوفة.

ذكره الحموي بقوله: ((وهو بلد كان بظاهر الكوفة كان من منازل المنذر وبه نهر ومزارع باعه عثمان بن عفان رضي الله عنه، من طلحة بن عبيد الله وكتب له به كتابًا مشهورًا مذكورًا عند المحدثين))[8]، وذكره البغدادي بمثل ما ذكر الحموي[9]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((موضع بالكوفة))[10].

---

(1) المصدر نفسه، ج3، ص299.

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص225.

(3) والرزاديق تعني القرى ((الرزداق بالضم السواد والقرى معرّب: رستا)) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص886.

(4) معجم ما استعجم، ج3، ص56.

(5) معجم البلدان، ج3، ص404.

(6) ديوان أعشى قيس، ص117.

(7) يقول الفيروزآبادي، ((وصريفون قرية كبيرة غنّاء شجراء قرب عكبرا، وقرية بواسط)) القاموس المحيط، ص827.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص431.

(9) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص854.

(10) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1211.

17. ضارج

ضارج موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبيرة، يقع قرب الكوفة، ذكره البكري بقوله: ((ضارج: ماء لبني عبس))[1]، وذكره الحموي بقوله: ((إن أبا عبيد السكوني قال: إن ضارجًا أرض سبخة مشرفة على بارق، وبارق كما ذكرنا قرب الكوفة))[2]، وذكره البغدادي بمثل ما ذكر الحموي[3]، وذكر الفيروزآبادي ضارج بقوله: ((ضارج موضع))[4].

18. الطفّ

الطفّ هو موضع أو معلم في منطقة النجف الكبرى، يقع قرب الكوفة.

ذكر البكري الطف بقوله: ((هو بناحية العراق من أرض الكوفة))[5]، ويقول أيضًا: ((وهناك الموضع المعروف بكربلاء الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه))[6]. ويقول الحموي: ((والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها))[7]، ((وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم))[8]، وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((الطف موضع قرب الكوفة))[9].

19. طيزناباذ

طيزناباذ موضع أو معلم أو مدينة قديمة في منطقة النجف الكبيرة، يقع بين الكوفة والقادسية، يقول كوركيس عواد: ((وتعرف أطلالها اليوم باسم طعيريزات، وهي على نحو تسعة كيلومترات من شمال شرقي النجف))[10].

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص128.
(2) معجم البلدان، ج3، ص450.
(3) مراصد الاطلاع، ج2، ص863.
(4) القاموس المحيط، ص197.
(5) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص159.
(6) المصدر نفسه، ج3، ص159.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص36.
(8) المصدر نفسه، ج4، ص36.
(9) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص832.
(10) الشابشتي، الديارات، كوركيس عواد، ص233.

ذكره البلاذري المتوفى سنة (279هـ) وذكر مؤسسه بقوله: ((قالوا: وكانت طيزناباذ تدعى ضيزناباذ فغيروا اسمها، وإنما نسبت إلى الضَيْزَن بن معاوية بن العبيد السليحي))[1] وذكره الحموي بقوله: ((موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج وبينها وبين القادسية ميل، كانت إقطاعًا للأشعث بن قيس بن عمر بن الخطاب، وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة وهي الآن خراب لم يبق بها إلا أثر قباب يسمونها قباب أبي نؤاس))[2]، وذكره البغدادي بقوله: ((موضع بين الكوفة والقادسية على جادة الطريق إلى مكة بينها وبين القادسية ميل، وهي الآن خراب لم يبق بها إلا أثر قباب أبي نؤاس))[3].

20. العُذَيب

العُذيب موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، وهو منطقة ماء أو وادٍ قرب القادسية، يقول البكري: ((العذيب بضم أوله تصغير عذب: واد بظاهر الكوفة))[4]، وقال أيضًا: ((العذيب ماء لبني تميم))[5]. وذكره الحموي بقوله: ((العُذيب تصغير العذب)) وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلًا، وقيل: هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل هو حدّ السواد))[6]وذكره البغدادي بقوله:((ماء عن يمين القادسية لبني تميم، بينه وبين القادسية أربعة أميال، منه إلى مفازة القرون في طريق مكة))[7].

21. عين جمل

عين جمل موضع أو معلم من معالم النجف الكبرى، يقع بالقرب من الكوفة، ذكره الحموي بقوله: ((عين جمل: بنواحي الكوفة من النجف قرب القُطقُطانة وهي مع عدة عيون يقال لها العيون، يُرحل منها إلى القيّارة))[8]. وفي تسميته عين جمل قيل: ((مات عندها جمل

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص399.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص55.
(3) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص900.
(4) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص192.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص192.
(6) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص92.
(7) مراصد الاطلاع، ج2، ص925.
(8) معجم البلدان، ج4، ص177.

فسُميت به، وقيل: بل الذي استخرجها اسمه جمل، وفي كتاب العزيزي: من البصرة إلى عين جمل لمن أراد الكوفة ثلاثون ميلًا))[1]. وذكره البغدادي بقوله: ((عين جمل بنواحي الكوفة، قرب القُطقُطانة قيل: منها إلى البصرة ثلاثون ميلًا))[2]

22. القادسية

القادسية موضع أو معلم أو بليدة أو قرية في منطقة النجف الكبيرة، يقع قرب الكوفة، ذكره زكريا القزويني المتوفى سنة (682هـ) بقوله: ((بليدة بقرب الكوفة على سابلة الحجاج، سميت بقادس هراة وهو دهقانها))[3].

وذكره الحموي موضعًا ((بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، قيل سميت القادسية بقادس هراة))[4]. وقال أيضًا: ((إن القادسية فيما بين الخندق والعتيق، وإنما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما إحداهما فعلى الظهر وأما الأخرى فعلى شاطئ نهر يسمى (الحُضُوض) يطلع من سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وإنما عن يمين القادسية فيض من فيوض مياههم))[5]، وذكر البغدادي القادسية بقوله: ((قرية قرب الكوفة من جهة البر، بينهما وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، عندها كانت الوقعة العظمى بين المسلمين وفارس...))[6].

وذكره الفيروزآبادي بقوله: ((القادسية قرية قرب الكوفة، مرّ بها إبراهيم(ع)، فوجد بها عجوزًا فغسلت رأسه، فقال قُدّستِ من أرض فسميت بالقادسية، ودعا لها أن تكون محلّة الحاج))[7]، وتعليل هذه التسمية وغيرها يصعب إثباته وهو قادم من أعماق التاريخ.

23. قُسُّ الناطِف

قس الناطف موضع أو معلم في منطقة النجف الكبرى على مقربة من الكوفة على شاطئ الفرات، ذكره البكري بقوله: ((قس الناطف: موضع معروف بالعراق، وبقس الناطف كانت وقعة بين المسلمين وبين فارس))[8]. وذكره الحموي بقوله: ((وهو موضع قريب من

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص177.
(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص977.
(3) زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص239.
(4) معجم البلدان، ج4، ص291.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص292.
(6) مراصد الاطلاع، ج3، ص1054.
(7) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص564ـ565.
(8) البكري، معجم ما استعجم، ج3، ص313.

الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، والمروحة: موضع بشاطئ الفرات الغربي كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين في سنة (13))[1]، ومثل ما ذكر الحموي ذكر البغدادي في مراصده[2].

24. القُطقُطانة

القُطقُطانة موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، يقع على مقربة من الكوفة، ذكره الحموي بقوله: ((موضع قرب الكوفة من جهة البريَّة بالطف به كان سجن النعمان بن المنذر، وقال أبو عبيد السكوني: القُطقُطانة بالطف بينها وبين الرهيمة مغربًا نيف وعشرون ميلًا إذا خرجت من القادسية تريد الشام، ومنه إلى قصر مقاتل ثم القُرّيات ثم السماوة))[3]، ومثل ما ذكر الحموي ذكر البغدادي في مراصده[4]، وذكره الفيروزآبادي بقوله:((والقُطقُطانة بضمهما: مواضع، الأخيرة بالكوفة كانت سجن النعمان بن المنذر))[5].

25. الملطاط

أصل المِلطاط هو الطريق على ساحل البحر، والملطاط كما ورد في التاريخ يقع ضمن منطقة النجف الكبرى. قال البلاذري: ((إن ما بين الكوفة والحيرة، كان يسمى الملطاط))[6].

وقال الحموي: ((قال ابن النجار في كتاب الكوفة: وكان يقال لظهر الكوفة اللسان، وما ولي الفرات منه الملطاط))[7]، ومثل ما ذكر الحموي ذكر البغدادي في مراصده[8].

26. منابض

منابض موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، يقع قرب الحيرة، ذكره الحموي ضمن ذكره السدير وبارق والخورنق، الواقعة ضمن منطقة النجف، بقوله: ((منابض: موضع بنواحي الحيرة، قال المسيب بن علس، وقيل المتلمس:

ألـــك الـــسـدُيـــر وبـــــارقُ ومـنـابـضٌ ولـك الـخـورنـق))[9]

وذكره البغدادي بقوله: ((منابض مواضع بنواحي الحيرة))[10].

---

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص349.
(2) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1092.
(3) معجم البلدان، ج4، ص374.
(4) مراصد الاطلاع، ج3، ص1107.
(5) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص683.
(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص391.
(7) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص192.
(8) مراصد الاطلاع، ج3، ص1308.
(9) معجم البلدان، ج5 ، ص199.
(10) مراصد الاطلاع، ج3، ص1313.

27. النُخَيْلة

النخيلة موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، يقع بالقرب من الكوفة، ذكره البكري بقوله: ((النخيلة بضم أوله تصغير نخلة، بالكوفة وهي التي كان عليّ رضي الله عنه يخرج إليها إذا أراد أن يخطب الناس. وقال الخليل نخيلة موضع بالبادية))[1].

وذكره الحموي بقوله: ((موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه عليّ رضي الله عنه، لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها...))[2]، ومثل ما ذكر الحموي ذكر البغدادي في مراصده[3].

28. النمارق

موضع أو معلم من معالم منطقة النجف الكبرى، على مقربة من الكوفة، ذكره الحموي بقوله: ((موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق، فقال المثنى بن حارثة الشيباني:

غلَبنا على خفّان بيدًا مُشيخة إلى النخَلات السمر فوق النمارق
وانا لنرجو أن تجول خيولنا بشاطئ الفرات بالسيوف البوارق))[4]

ومثل الحموي قال البغدادي في مراصده[5].

(1) البكري، معجم ما استعجم، ج4، ص149.
(2) معجم البلدان، ج5، ص278.
(3) مراصد الاطلاع، ج3، ص1366.
(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص304.
(5) البغدادي، مراصد الاطلاع، ج3، ص1389.

كلمة آثارية أخيرة

النجف مَنْجم آثاري سيكشفه المستقبل

النجف مَنْجَم آثاري سيكشفه المستقبل

يزخر العراق بالآثار القديمة، بمخلّفات الأقوام والحضارات القديمة كبقايا السومريين والبابليين والآشوريين وغيرهم. ولعل الحضارة السومرية في مدينة أور من أقدم الحضارات القديمة المكتشفة في العالم (منذ نحو ستة آلاف سنة)، والشواهد والدلائل كثيرة على تلك الحضارات، في أور في الجنوب وفي بابل في الوسط وفي آشور في الشمال، ويمكن الذهاب إلى تلك المناطق لمشاهدة تلك الآثار والبقايا، الأطلال والرسوم واللقى وأشياء أخرى، بالعين المجردة.

ولكن ليست تلك الحضارات القديمة الشهيرة وحدها هي كل الآثار والبقايا في وادي الرافدين، وإنما هناك إلى جانب تلك الحضارات المكتشفة آثاريًا وعلميًا، بقايا أقوام وحضارات وأمم عاشت بين تلك الحضارات، قريبة أو بعيدة عنها، سواء على مستوى الروايات والأخبار الدينية أو على مستوى مصادر التاريخ المختلفة.

ومن الحضارات الشهيرة التي عاشت إلى جانب تلك الحضارات الشهيرة أو بعدها بقليل حضارة أو مملكة الحيرة ومنطقة النجف المتصلة بها، وإذا ما ذكر التاريخ المكتوب هذه الحضارة من خلال المصادر القليلة الباقية الواصلة إلينا، فقد ذكر الجانب النظري من تلك الحضارة (المكتوب فقط) أما الجانب الآخر المادي الآثاري الواقع على الأرض، المتمثل بالأطلال والرسوم والنقوش والبقايا المادية الأخرى، فهو قليل شحيح لم يوفر صورة شافيةً لما ذكرته المصادر التاريخية المكتوبة.

وفي بدايات القرن العشرين وبتوافر الأجهزة والخبراء وتطور علم الآثار بدأت دراسة منطقة الحيرة والنجف آثاريًا وعلميًا من خلال عدد من البعثات الأجنبية، وكانت أول بعثة

تنقيبية هي بعثة بريطانية برئاسة رايت انكد من جامعة اكسفورد البريطانية سنة (1931م)، ثم البعثة الألمانية سنة (1932م)، ثم بعثة الأستاذ طه باقر سنة (1938م)، ثم البعثة اليابانية في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين.

وفي بدايات الألفية الثالثة للميلاد وانفتاح العراق على العالم والثقافات المتنوعة، دخلت منطقة النجف مرحلة جديدة من عمليات التنقيب والبحث عن آثار النجف الكامنة، فاتجه المنقبون إلى النقاط الآثارية المحتملة في المنطقة، وعاضدتها الاكتشافات الضمنية، ضمن عمليات البناء والإعمار الجديدة في المنطقة، ليسفر ذلك عن اكتشافات تنقيبية وآثارية مهمة عديدة، في شمال مدينة النجف وجنوبها وشرقها وغربها وأماكن أخرى منها، ولكنها دون المطلوب والطموح، ودون حقيقة منطقة النجف التاريخية والآثارية.

فمازالت منطقة النجف بكرًا لم يكتشف من آثارها وتاريخها سوى القليل، فهناك نحو 200 موقع محدد لم يكتشف إلى الآن، ويعتقد المنقبون والآثاريون من خلال مسحهم الأولي أن منطقة النجف منجم آثاري سيكشف المستقبل عن مزيد من الآثار واللُقى فيه، وبالطبع هناك أسباب وراء هذا الضعف التنقيبي والتهاون في الكشف عن مكنونات المنطقة، منها ضعف الأجهزة والتمويل اللازم والوضع الأمني وغير ذلك. ومع كل ذلك الضعف وصعوبة الظروف تُبشّر المنطقة من خلال القليل المُكتشف بمستقبل آثاري وتنقيبي زاهر وعلى كثير من الأهمية.

ويمكن هنا أن نذكر بشكل مجمل ما وفرته عمليات التنقيب والاكتشافات الآثارية الأخيرة (اكتشافات القرن الواحد والعشرين أو بعضها) ليتبين القارئ من خلالها ما يمكن أن يخبئه المستقبل لمنطقة النجف، ففي منطقة المطار، الجانب الجنوبي لمدرج مطار النجف الدولي، تَمّ في سنة (2009م) اكتشاف دَيْر مسيحي كبير يعود تاريخه إلى ما قبل عصر الإسلام، يقول الأستاذ شاكر عبد الزهرة: ((تم الكشف عن أسس لدير كنسي يعود تاريخه إلى سنة (268م) متكون من ست وأربعين غرفة مزخرفة الجدران نقشت عليها رسوم أوراق العنب والصلبان)). ويضيف الأستاذ شاكر: ((تم الحفر إلى عمق يصل إلى متر ونصف تحت الأرض، حيث عثرنا على بعض المسكوكات الذهبية منها الدنانير البيزنطية وعدد من الحلى الذهبية وجرار خزفية وأحجار كريمة فضلًا عن بعض الأدوات المنزلية الأخرى))، ويشير أيضًا: ((إذا ما طابقنا المعطيات المكتشفة حديثًا وبعض الروايات التاريخية، فإن الدير يعود إلى هند بنت النعمان بن المنذر ملك الحيرة الشهير))[1].

وفي وقت لاحق تبيّن أن الدّيْر المكتشف هو لعبد المسيح، فقد ذكر الأستاذ محمد

(1) منتديات عنكاوا www.ankawa.com.

هادي بدن مدير دائرة آثار النجف في تصريح لمراسل موقع نون: ((أسفرت عمليات التنقيب المستمرة في موقع الدير المسيحي المكتشف في مطار النجف عن العثور على صلبان وقطعة من الحجر منقوش عليها اسم الدير (واسمه عبد المسيح)))[1]، ومن المتوقع أن تسفر التنقيبات اللاحقة عن المزيد من الأديرة التي تنتشر في منطقة النجف[2].

وفي غرب مدينة النجف اكتشفت دائرة آثار النجف مدينة آثاريّة يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، في الصحراء المحاذية لمنطقة بحر النجف. يقول الأستاذ محمد الميالي مدير آثار النجف: ((إن المدينة يعود تاريخها إلى الفترة الفرثية والساسانية قبل الإسلام)) وأضاف للشرق الأوسط ((أنه من خلال المسح والتنقيب بالوسائل الحديثة التي قامت بها دائرتنا في عموم المحافظة، عثرنا على مدينة أثرية في منطقة بحر النجف)) مؤكدًا ((أن المدينة تحوي مرافق بنائية متعددة، ومن المؤمل العثور في داخلها على لقى أثرية ثمينة إضافة إلى العثور على حضارة كبيرة)) وأشار إلى أن ((مساحة المدينة الأثرية كبيرة وسوف يتم اتخاذ إجراءات لحمايتها))[3].

وفي جنوب مدينة النجف اكتشفت مقبرة مسيحية كبيرة، فقد ورد عن وكالات الأنباء: ((اعلنت دائرة الآثار في النجف عن العثور على أكبر مقبرة تاريخية مسيحية جنوب النجف تعود إلى عهد المناذرة، خلال عمليات التنقيب الجارية في المنطقة الممتدة ما بين مطار النجف الدولي ومنطقة الحيرة، والتي عثر فيها على دير مسيحي مؤخرًا)). وقال محمد الميالي مدير دائرة الآثار في النجف في تصريح لمراسل موقع نون: ((وأثبتت عمليات التنقيب الأثرية أن في محافظة النجف أكبر مقبرة مسيحية، ولدينا موقع واحد مساحته 1416 دونمًا لم تكتمل فيه عمليات المسح لحد الآن))، وتابع قائلًا: ((إن المقبرة المسيحية تمتد من جنوب مطار النجف الدولي إلى ناحية الحيرة، كما أن هناك مناطق في غرب المحافظة نعتقد باحتوائها على آثار في منطقة عيون الرهبان وقصور الأثلة، إضافة إلى 200 موقع أثري لم يمسح بشكل كامل...))[4].

---

(1) شبكة أخبار النجف الاشرف. (وذكر ياقوت: دير عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة، وذكر أن له ديرًا بظاهر الحيرة) معجم البلدان، ج2، ص521.

(2) قال الدكتور حسن الحكيم خلال ندوة ثقافية، ((لقد أحصيتُ 33 ديرًا بنيت في الكوفة إبان دولة المناذرة محصورة الآن بين النجف والكوفة))، وأكد أن عددًا من هذه الأديرة قد تم اكتشافه لكن القسم الأكبر لم يُكتشف حتى الآن (من المواقع الإلكترونية).

https://www.coptichistory.org/untitled_4156.htm

(3) جريدة الشرق الأوسط، 7 أبريل 2009، العدد 11088، لندن.

(4) جريدة منبر العراق الحر (موقع)، 3/ 9/ 2011. وذكرت الخبر مواقع أُخرى.

وفي شمال النجف توجد منطقة آثارية أخرى، ففي ناحية الحيدرية التي تبعد عن مدينة النجف نحو 40 كيلومترًا عثر على قبر أثري مهم يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام، فقد اكتشفت مفتشية آثار النجف الأشرف قبرًا أثريًا يضم تابوتًا من الفخار المحزز والمزجج على شكل زورق. وأضاف المصدر نقلًا عن محمد بدن مفتش آثار النجف أن مواطنًا من ناحية الحيدرية وأثناء الحفر لغرض مدّ أنبوب ماء لاحظ مجسمًا من الفخار المزجج في باطن الأرض، فقام على الفور بإبلاغ مدير الناحية الذي قام بدوره بإبلاغ مفتش آثار المحافظة للحضور في الموقع، والمعاينة الأولية تشير إلى أنه يعود للفترة الساسانية (200 ق.م)[1].

كما اكتشفت مواقع آثارية تعود إلى الفترة البابلية القديمة قرب ناحية الحرية شرق النجف، وقد تمَّ اكتشاف مدينة بابلية تسمى (مدينة بيكاسي) ومعناها (حافة الإناء)، إضافة إلى اكتشاف مواقع أخرى تعود إلى الفترة البابلية أيضًا[2]، ويمكن الرجوع إلى المواقع الإلكترونية العراقية المختلفة ففيها المزيد من هذا النوع من الأخبار، من هذه الأخبار والمعلومات الآثارية القليلة المتوافرة التي تطوق مدينة النجف الأشرف من شمالها وجنوبها وشرقها وغربها وثناياها وأماكن أخرى متوقعة، نعرف أنَّ المنطقة آثارية غنية بالمادة التنقيبية، وإذا ما توافرت في المستقبل اكتشافات آثارية أخرى ومعلومات تنقيبية تفصيلية، فمن الممكن أن نقرأ تاريخًا آخر للمنطقة، أكثر دقة وأقرب إلى واقعها المادي على الأرض.

إن الباحث اليوم هو في ظل معلومات آثارية غير كافية، معلومات تاريخية محدودة أتعبها الزمن والتاريخ وغيب كثيرًا منها، وفي ظل معلومات وبقايا آثارية محدودة أيضًا وغير مدروسة تفصيليًا، فضلًا عن قلتها وعدم اكتمال التنقيبات اللازمة.

إن هذه المادة الآثارية القليلة المتوافرة لا تكفي لرسم صورة كاملة ودقيقة للمنطقة (منطقة النجف)، وإنما يجب أن نزيدها ونوفر الأسس الآثارية والتنقيبية الكافية حتى يمكن رسم الصورة الصحيحة والدقيقة للمنطقة؛ وذلك لا يتم إلا بمزيد من الجهود والعمل المتواصل والتكنولوجيا المتطورة، في هذه الحالة، وبعد تعانق المادة التاريخية المدروسة مع المادة الآثارية والتنقيبية الكافية مع استخدام المنهج العلمي اللازم. في هذه المرحلة من الزمن يمكن رسم الصورة الصحيحة أو القريبة من الصحيحة أو الدقيقة لمنطقة النجف، ونحن نأمل ذلك قريبًا إن شاء الله تعالى.

(1) موقع مرايا، النجف، 10 مايو 2009.

(2) موقع النجف للإعلام: 1/ 10/ 2011.

ملحق

ولكي أُكاملَ بحثي هذا، وجدتُ من المناسب أن أضيف إليه ملحقًا إضافيًا، مادة علمية تاريخية تخصصية كتبها باحث علمي عراقي متخصص في مجال (الجيولوجيا) هو الشهيد الأستاذ الدكتور موسى جعفر العطية ليكون البحث أكثر وضوحًا وأوفى تفصيلًا، وبالتالي نكون قد قدَّمنا صورة متكاملة ممكنة عن النجف في عصر ما قبل الإسلام افتقرت إليها المكتبة العربية والإسلامية.

لقد قرأ الباحث أرضَ النجف في جانبها الجيولوجي (الأرضي)، وهي قراءة تسدّ جانبًا مهمًا من جوانب النجف الكثيرة، فدرس في كتابه الموسوم: (أرض النجف: التاريخ والتراث الجيولوجي والثروات الطبيعية)[1] أرض النجف من زاوية جيولوجية: ((طبيعتها وخصائصها ومظاهرها وظواهرها وماهية صخورها وأنواع معادنها وتربتها ومياهها، وإرثها التراثي في كل ما له علاقة بالمفاهيم الجيولوجية لأرضها))[2].

وقد اقتبستُ من هذا الكتاب المهم ما يكامل محتويات بحثي هذا (النجف قبل الإسلام) فألحقتُ به الجزء الأكبر من الفصل الثالث الذي قدّم من خلاله المؤلف مظاهر جيولوجية بارزة في محافظة النجف، وخاصة في مدينة النجف وضواحيها مثل هضبة النجف وطار النجف وبحر النجف ومقبرة النجف وسراديب النجف وملامح أخرى تشكل رحلة سياحية جيولوجية في بقاع محافظة النجف[3].

(1) الكتاب صَدَر عن مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الاشرف 2006م.
(2) عن مقدمة الكتاب، ص8.
(3) مقدمة الكتاب، ص8.

مختارات من الفصل الثالث (ملحق)

مظاهر جيولوجية بارزة في محافظة النجف

الشهيد الدكتور موسى جعفر العطية[1]

في هذا الفصل نحاول أن نبرز بعض المظاهر الشاخصة في المحافظة والتي نشأت بفعل العوامل والظروف الجيولوجية، وكذلك نتناول في هذا الفصل المعالم ذات الصلة بالخصائص الجيولوجية لأرض محافظة النجف والتي تندرج مظهريتها ضمن ما يعرف بالموروث أو التراث الجيولوجي للمحافظة.

من أبرز المظاهر والمعالم التي سوف نتناولها في هذا الفصل هضبة النجف وطار النجف وبحر النجف ومقبرة النجف وسراديب النجف وآبار النجف، وهي مظاهر ومعالم ارتبطت مسمياتها باسم مدينة النجف الأشرف مركز محافظة النجف، ونتناول أيضًا مظاهر أخرى منتشرة في ارجاء محافظة النجف كالأهوار والعيون والخسفات، وأبرزها خسفة الشبجة التي تعتبر أحدث ظاهرة جيولوجية شهدها العراق.

بحر النجف

بحر النجف [2] ظاهرة جيولوجية بارزة في محافظة النجف وفي منطقة الفرات الأوسط تستدرج اهتمام الباحثين في البحث عن أصله وتطور نشوئه، سيما أن بحر النجف قد تخلد في صفحات التاريخ الحضاري القديم والحديث لوادي الرافدين فعلى سواحله كانت الحيرة التي نشأت عام (274 ق.م) عاصمة لدولة المناذرة اللخميين كما كان بحر النجف عمق

(1) خبير جيولوجي من مواليد النجف الاشرف سنة (1945م) دكتوراه في الجيولوجيا الاقتصادية، جامعة ويلز، المملكة المتحدة سنة (1975م).

(2) نشر المؤلف هذا المبحث في مجلة بين النهرين، (موسى جعفر العطية (2002) أصل وتطور نشوء بحر النجف، مجلة بين النهرين، السنة 30، العدد 119ـ120).

الكوفة منذ نشأتها حاضرة للعلم وعاصمة للدولة الإسلامية حتى صار هذا البحر إطلالة لمدينة النجف الأشرف منذ تأسيسها قبل اثني عشر قرنًا.

يقع بحر النجف في الطرف الغربي لمدينة النجف وتطل عليه هضبتها ويمتد حوضه باتجاه مساحته حوالي 750 كم2 ويبلغ ارتفاع أوطأ نقطة فيه 11 مترًا فوق مستوى سطح البحر، ومن الناحية الجيولوجية فإن أرضيته مغطاة بالرسوبيات الحديثة التي يصل سمكها إلى حوالي 38 مترًا ويظهر على أطرافه تكشفات صخرية تعود لتكوين أنجانة والدبدبة التي تشكل طباقية طار النجف.

وفي الطرف الغربي لبحر النجف تظهر تكشفات لصخور تكوين الفرات والنفايل، أما من الناحية البنيوية فإن منخفض بحر النجف يقع على الحد الفاصل بين الرصيف المستقر (نطاق السلمان) والرصيف غير المستقر (نطاق السهل الرسوبي) ويمر فيه منظومة فوالق هيت أبو جير التي تتبع في نطاقها عدة عيون يقع بعضها ضمن حوض بحر النجف.

تمثل منطقة بحر النجف الكتلة المرتفعة للفالق (شرقي منظومة فوالق هيت أبو جير) في حين تمثل هضبة النجف الكتلة الهابطة وفق الخارطة البنيوية الإقليمية وتعتبر هذه الصورة التركيبية لمنطقة بحر النجف من الإشكاليات الجيولوجية في المنطقة التي تحتاج إلى تفسير.

بحر النجف في المصادر التاريخية

في غياب المصادر التاريخية البابلية التي تذكر بحر النجف فإن أقدم مصدر تاريخي وردت فيه إشارة إلى بحر النجف يعود إلى فترة صدر الإسلام وهي رواية ابن بُقيلة الغساني عن بحر النجف والتي ذكرها الطبري في تاريخه والمسعودي في مروجه عندما أقبل خالد بن الوليد بعد فتح اليمامة يريد الحيرة تحصن منه أهلها فنزل خالد بن الوليد في النجف وبعث إليهم أن أبعثوا رجلًا من عقلائكم فبعثوا عبد المسيح بن عمرو بن حسان بن بقيلة الغساني ودار بينهما حديث ومنه... سأله خالد ما أدركت؟ فقال أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين وأمواج البحر تضرب ما تحت قدمك... وعندما سأله عن عمره قال خمسون وثلاثمئة سنة (كما ورد في المصدر التاريخي) وكذلك ذكر ابن واضح في كتابه البلدان أن النجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة وهي منازل بقيلة وغيرهم وهنالك روايات وأخبار كثيرة ورد فيها ذكر لبحر النجف وكذلك في الشعر العربي القديم ونذكر بيتين لإسحاق بن إبراهيم الموصلي عندما كان في صحبة الخليفة العباسي الواثق وقد رواها ابنه حماد حيث قال في وصفه للنجف:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل أصفى هواء ولا انقى من النجف
حفت ببر وبحر من جوانبها والبر في طرف والبحر في طرف

وهنالك الكثير من الروايات والأخبار والشعر في ذكر النجف وبحر النجف وأفضل من جمعها وعرضها الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها[1] كذلك الخليلي[2] موسوعة العتبات المقدسة في الجزء الخاص بالنجف الذي تضمن بحثًا ثريًا للدكتور مصطفى جواد في هذا الخصوص، ولكن ما تجدر الإشارة إليه لأغراض هذا المبحث هي ملاحظات الرحالة البرتغالي تكسيرا في رحلته إلى النجف عام (1604م) حيث ذكر أنه شاهد بحيرة واسعة عندما قدم إلى النجف من البصرة وهذه البحيرة متكونة من مياه نهر الفرات في وسط البادية تستمد ماءَها من الفرات لذلك يلاحظ ازدياد مقاديره في مواسم الفيضانات، ليس لها شكل وإنما طولها يبلغ 35 إلى 40 فرسخًا وهي شديدة الملوحة كما أن الرحالة بارلوا في وصفه لنهر الفرات عام (1889م) ذكر الرحالة البرتغالي أن مياه بحر النجف مالحة وغير صالحة للإفادة منها ولكن هذا البحر كان خير طريق للمواصلات بين النجف وسائر الجهات العراقية بل وحتى بين النجف وخارج العراق وأن سفنًا كبيرة بحمولة خمسين طنًا تمر في هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف، وتتوافق هذه الرواية مع ما يذكره الباحث من روايات آبائه وبعض شيوخ مدينة النجف عن أجدادهم حول وصول البواخر إلى بحر النجف.

في ختام هذا البحث الموجز عن بحر النجف في التاريخ لا بد من وقفة قصيرة حول تسمية بحر النجف "بالبحر" هل كان ذلك من باب المبالغة في الوصف أم هناك مبررات منطقية استند عليها القدماء في إطلاقهم هذه التسمية وهي تسمية انفرد بها بحر النجف إذا ما استعرضنا مسميات المسطحات المائية في العراق في تاريخه القديم والحديث مثل نهر وشط وجدول وبحيرة وبركة وهور، ولكي نتوخى الدقة نستثني من ذلك بحر الملح وهو اسم قديم لمنخفض لا وجود له حاليًا حيث غمرته مياه بحيرة الرزازة وهو متزامن في النشأة مع بحر النجف وفق اعتقادنا الذي سنشرحه لاحقًا.

إن تسمية القدماء لبحر النجف دون البحيرة أو الهور هي تسمية منطقية في تقديرنا لأنها تستند على عدة أركان هي اتساع رقعته بامتدادات لا تتجلى للناظر نهاياتها وولوج السفن والبواخر الذي يعني أنه مفتوح وغير مغلق وهذه من خصائص البحار وكذلك ملوحة مائه التي اكدته المصادر التاريخية في أكثر من موضع وهذا أيضًا من خصائص البحار.

(1) آل محبوبة، جعفر باقر (1985) ماضي النجف وحاضرها، الطبعة الثانية، مطبعة الآداب.
(2) الخليلي، جعفر (1960) موسوعة العتبات المقدسة، الجزء الأول، النجف.

المجاري القديمة لنهر الفرات ونظرية النشاط البنيوي الحديث

تناول عدد من الباحثين دراسة المجاري القديمة لأنهار العراق وفق حركات النشاط البنيوي الحديث وتعود هذه الدراسات إلى مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، وقد تطرق إليها الساكني في كتابه الذي تناول الموضوع[1] وما يهمنا في هذا الخصوص الدراسات المتعلقة بالمجاري القديمة لنهر الفرات حيث توصل عدد من الباحثين إلى أن نهر الفرات بمجراه الحالي قد سبق أن اتخذ مجاري أخرى في بعض أجزائه المحصورة بين منطقة هيت في أعاليه حتى مصبه في الخليج العربي وإن الحركات البنيوية الحديثة المستمرة بالنشاط كانت العامل الأساسي في ذلك، وهي نظرية علمية تستحق الاهتمام وفي ذلك نشر فوت (Voute) عام (1957) دراسة تاريخية في مجلة سومر تضمنت استنتاجات حول وجود نهر قديم كان يربط بحيرة الحبانية ببحر النجف ويمر هذا النهر خلال منخفض أبو دبس وطار السيد وطار النجف وأن الجانب المهم في دراسته هو إشارته إلى أن النشاط الحركي الحديث قد أثر على منطقة أبو دبس وانقطاع المياه عن المجرى القديم باتجاه بحر النجف، وقد أيد هذا الاستنتاج ميشل (Michell) في دراسته التي نشرها في نفس العام حول الحركات البنيوية الحديثة في سهل وادي الرافدين وتبنى هذه النظرية الدباغ في كتابه حضارة العراق[2] وبين أن نهر الفرات في عصور ما قبل التاريخ كان يتصل أيضًا ببحيرة الحبانية وهور أبو دبس وبحر النجف، وأن هذه المنخفضات كانت متصلة مع بعضها مكونة واديًا يمتد من الشمال إلى الجنوب ثم انفصلت عن بعضها بسبب الحركات البنيوية. من الباحثين الذين اهتموا بهذا الموضوع الساكني[3] الذي تناول المجاري القديمة لنهري دجلة والفرات وتأثير حركات النشاط البنيوي الحديث في ذلك توصل بالاستناد على معطيات دراسات سابقة ومعطيات جيوفيزيائية ورسوبية مضافة إلى أن مجرى نهر الفرات قد مر بطورين قبل طوره الحالي وهما:

الطور الأول: الطور القديم الذي استمر من عصر البلايستوسين المتوسط وحتى العصر الحجري القديم حيث اتجه مجرى نهر الفرات بعد مروره بمنطقة هيت نحو منخفضات الرزازة الحالية طار السيد وطار النجف وبحر النجف ثم مناطق جنوب النجف والسماوة واتجه جنوبًا تقريبًا حتى الخليج العربي من خلال خور الزبير، وقد انتهى هذا الطور بفعل

(1) الساكني، جعفر (1993)، نافذة جديدة على تاريخ الفراتين في نشوء الدلائل الجيولوجية والمكتشفات الآثارية، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

(2) الدباغ، تقي (1985) حضارة العراق، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة والنشر.

(3) الساكني، جعفر (1993)، نافذة جديدة على تاريخ الفراتين في نشوء الدلائل الجيولوجية والمكتشفات الآثارية، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

حركة النشاط البنيوي الحديث في منطقة التقاء طار السيد بطار النجف الذي أدى إلى نشوء تراكيب جيولوجية في المنطقة أظهرتها المسوحات الجيوفيزيائية وأدى هذا النشاط الحركي البنيوي إلى تحول مجرى الفرات بالاتجاه المعاكس وانقطاع مجرى مياهه نحو بحر النجف وشق مجرى جديد سمي بمنفذ كربلاء والذي يمثل بداية الطور الثاني لمجرى.

الطور الثاني: ويمثل هذا الطور مجرى نهر الفرات شرق المجرى الحالي للنهر ويسمى بمجرى الكرمة أو مجرى سيبار الذي يمر بمدن آثارية قديمة مثل كيش وكوثى ونفر والوركاء وأور ويصب في خور الزبير.

قبل الانتقال إلى عرض تصورات هذه الدراسة حول أصل ومراحل نشوء بحر النجف نشير إلى أن الدراسات السابقة لم تحدد الأبعاد الزمنية للأنشطة البنيوية الحديثة التي ترتب عليها تحولات مجاري الأنهار وهي معضلة لا زالت قائمة كما أشار لها جورج رو (1963) في كتابه العراق القديم[1] حيث ذكر بأنه من الصعب بمكان دراسة تغيرات مجاري الأنهار قديمًا وتحديد تواريخها الصحيحة بشكل مضبوط ولكن كون مثل هذه التغيرات قد حصلت في الماضي يعتبر من الحقائق الأكيدة.

مراحل تطور نشوء بحر النجف

إن الأنموذج (model) الذي توصل إليه هذا البحث حول أصل بحر النجف ومراحل تطوره يرتكز على آلية حركة النشاط البنيوي الحديث الذي شهدته منطقة التقاء طار السيد وطار النجف والتي أدت إلى نشوء تراكيب جيولوجية تحت سطحية أظهرتها المسوحات الجيوفيزيائية في المنطقة والتي أشار إليها الساكني في كتابه وهي ذات محور شمال-جنوب.

إن ارتفاع المنطقة بين طار السيد وطار النجف بسبب نشوء التراكيب الجيولوجية لا بد أن يترتب عليه انخفاض سطح الأرض في مواقع أخرى وكل طية محدبة (Anticline) لا بد أن يرتبط بها طية مقعرة (Syncline) أو انخفاض نسبي للسطح، وفي رأي أن ذلك كان وراء نشوء منخفض بحر النجف في جنوب طار النجف وكذلك بصورة متزامنة أدى أيضًا إلى نشوء منخفض بحر الملح (حاليًا جزء من بحيرة الرزازة) إلى الشمال من طار السيد.

إن ارتفاع المنطقة بين طار النجف وطار السيد بسبب حركات النشاط البنيوي الحديث هو ارتفاع تدريجي بطيء وقد أدى وبصورة تدريجية وبطيئة لنشوء بحر النجف، وإن ذلك

(1) رو، جورج (1963)، العراق القديم، ترجمة حسين علوان (1986)، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

حدث خلال الطور الأول لمجرى نهر الفرات الذي أشار إليه الساكني في دراسته التي أشرنا إليها، واضيف هنا معطيات أخرى تدعم التصور الخاص بمجرى نهر الفرات في طوره الأول وهي الترسبات الحصوية والرملية في منطقة الخورنق ووادي الخمسات ووادي حسب وغماس وهي مواقع قريبة من النجف تمثل ترسبات نهرية وتشكل مواقعها مع موقع ترسبات حصوية أخرى في وادي خرز غرب السماوة وأبو صريم غرب الناصرية شريطًا قد يمثل اتجاهات المجرى القديم لنهر الفرات في طوره الأول الذي يمر بمحاذاة طار السيد وطار النجف وجنوب النجف، وبذلك فإن بحر النجف لم يكن موجودًا في فترة نشوء واستمرارية ذلك الطور لمجرى نهر الفرات، وإنما بدأ يتشكل بحر النجف خلال تلك الفترة بسبب حركات النشاط البنيوي الحديث كما أشرنا وقد استغرقت عملية التشكيل في تقديرنا حوالي 300 ألف سنة تحول بتأثيراتها عكسيًا مجرى نهر الفرات وتجمعت المياه المتبقية في حوض الفرات في قسمه الجنوبي وغمرت منخفض بحر الملح الذي تشكل بنفس آلية النشاط البنيوي الحديث والذي يقع إلى الشمال من طار السيد بعد أن وجد نهر الفرات منفذًا جديدًا له سمي بمنفذ كربلاء الذي أشار إليه الساكني.

إن تقديرنا لفترة نشوء منخفض بحر النجف بحوالي 300 ألف سنة التي تمثل فترة تحول مجرى نهر الفرات في منطقة التقاء طار السيد وطار النجف تستند على معطيات الخارطة الإقليمية للنشاط البنيوي الحديث للعراق (Sissakian Deikran 1997) والتي قدرت معدل ارتفاع سطح الأرض في المنطقة بحوالي 0.2سم/100 سنة. واستنادًا على ذلك أجرينا الحسابات التالية لتقدير الفترة الزمنية اللازمة لتحول مجرى نهر الفرات عكسيًا في منطقة التقاء طار السيد وطار النجف والذي تساءل عنها الساكني والتي تمثل فترة نشوء بحر النجف وهو أحد محاور هذا البحث.

أ. نفترض أن عمق مجرى نهر الفرات في منطقة التقاء طار السيد وطار النجف هو ثلاثة أمتار، وفي تقديرنا أن هذا افتراض منطقي على أساس معدل عمق نهر الفرات الحالي في مجراه الأوسط.

ب. لكي يتحقق انقطاع مجرى النهر بآلية بنيوية لا بد أن يرتفع قاع النهر أولًا إلى مستوى سطح الأرض وبمقدار عمقه (ثلاثة أمتار حسب الافتراض الأول) وبالإضافة إلى ارتفاع آخر عن سطح الأرض يؤمن انعكاس الانحدار وقطع مجرى النهر وهنا نقدر أن هذا الارتفاع الإضافي عن سطح الأرض هو ثلاثة أمتار أخرى وبذلك يكون مجموع الارتفاع المطلوب لسطح الأرض هو ستة أمتار لتحقق انقطاع مجرى نهر الفرات في منطقة التقاء طار السيد وطار النجف وانعكاس مجراه.

ج. على أساس تقديرات معدل ارتفاع سطح الأرض بسبب حركات النشاط البنيوي الحديث

هي 0.2سم لكل 100 سنة[1] فإن نهوض الأرض في المنطقة المذكورة بمقدار ستة أمتار يمكن تحقيقه خلال فترة 300 ألف سنة تقريبًا وهي فترة تحول مجرى نهر الفرات في المنطقة من طوره الأول إلى طوره الثاني وهذه تمثل الفترة التي استغرقها نشوء منخفض بحر النجف.

بعد نشوء بحر النجف وانقطاع مجرى الفرات في طوره الأول وتحوله إلى طوره الثاني الذي يبعد مسافة تصل إلى حوالي 80كم عن بحر النجف فإن مياه بحر النجف أصبحت مالحة بسبب عدم الموازنة بين معدلات التبخر ومعدلات التغذية المتمثلة بمياه الأمطار ومياه السيول المنحدرة نحو بحر النجف من الصحراء الغربية إضافة إلى مياه العيون (المالحة) المرتبطة بفالق الفرات والمنتشرة في المنطقة.

إن هذه الصورة لمصادر مياه بحر النجف قد تغيرت مع تغير مجرى نهر الفرات من طوره الثاني إلى طوره الثالث (الحالي) والذي يمر بالقرب من بحر النجف وبذلك تحددت العلاقة بين بحر النجف ومجرى نهر الفرات الذي كان يرفد بحر النجف بالمياه في مواسم فيضانه وارتبط ببعض القنوات المائية التي كانت تسلكها السفن والبواخر القادمة من خارج العراق للوصول إلى النجف كما مر بنا سابقًا.

عمر بحر النجف

بعد أن تم تقدير فترة نشوء بحر النجف بحوالي 300 ألف سنة كما أسلفنا في الفقرة السابقة يبرز السؤال حول تاريخ استكمال نشوء هذا البحر والذي يمثل نهاية الطور الأول وبداية الطور الثاني لمجرى نهر الفرات، فما عمر بحر النجف؟

لا توجد دراسات سابقة حول تحديد عمر بحر النجف فيما عدا دراسة بني[2] الذي تناولت التاريخ الرسوبي والمناخ القديم لمنخفض بحر النجف في أثناء العصر الرباعي المتأخر والتي ارتكزت على فحوصات باليونوجية ومعدنية وجيوكيميائية لنماذج من رسوبيات بحر النجف، وقد توصل إلى أن عمره يبلغ حوالي 90 ألف سنة وأن نشوءه قد تحقق بفعل عوامل بنيوية وتغيرات مناخية وتأثيرات تعروية وحول العوامل البنيوية. تبنى بني رأي فؤاد[3] الذي يعتقد

(1) سيساكيان فاروجان خاجيك (1997) خارطة العراق الإقليمية للتنشيط البنيوي الحديث، إصدار الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين، بغداد.

(2) بني ثائر جرجيس (2001)، التاريخ الرسوبي والمناخ القديم لمنخفض بحر النجف في أثناء العصر الرباعي المتأخر، رسالة ماجستير كلية العلوم، جامعة بغداد.

(3) Fouad, S(2000), contribution to the structure of Abu-Jir fault zone west Iraq, the 14th Geological Cong,; Baghdad Iraq.

أن المنخفضات الموجودة بامتداد نهر الفرات ومن ضمنها منخفض بحر النجف يعود إلى تأثير حركة الفوالق التي سادت المنطقة وهي آلية تختلف عن الآلية التي عرضناها في هذا البحث حول كيفية نشوء بحر النجف ولا زالت الآراء متباينة حول طبيعة الفوالق السائدة في المنطقة.

إن التقدير الذي توصل إليه بني حول عمر بحر النجف (90 ألف سنة) قد وصف من قبله بأنه أولي ويحتاج إلى تأكيد باستخدام تقنية النظائر المشعة وبذلك يبقى التساؤل مطروحًا حول عمر بحر النجف؟

إن الدراسة الحالية لم تتوصل إلى إجابة مطلقة للتساؤل الذي طرحناه في مقدمة هذا المبحث إلا أنها توصلت إلى تقدير للحد الأقصى لعمر بحر النجف وهو 180 ألف سنة. وقد استند هذا التقدير على ما يلي:

1. الفترة الزمنية التي استغرقتها عملية تحول مجرى نهر الفرات من طوره الأول إلى طوره الثاني في منطقة التقاء طار السيد وطار النجف وتشكيل منخفض بحر النجف والتي قدرت في هذه الدراسة بحوالي 300 ألف سنة.

2. إن عمر نهر الفرات في طوره الأول والذي استكمل بنهايته تشكيل منخفض بحر النجف يعود إلى عصر البلايستوسين الأوسط وهو معتقد سائد بين الجيولوجيين[1]، وقد تخللت في ذلك العصر أربع فترات جليدية وثلاث فترات دافئة غطت النصف الشمالي من الكرة الأرضية وكذلك مناطق تركيا وشمال العراق[2]، وإن نهر الفرات ربما تشكل طوره الأول في الفترة الجليدية الأولى (كنز) قبل 600 ألف سنة والفترة الجليدية الثانية (مندل) قبل 500 ألف سنة التي حدثت بينهما فترة مناخ دافئة استمرت 100 ألف سنة أدت إلى ذوبان الجليد.

على أساس معطيات الفقرتين (1) و(2) فإن تاريخ استكمال نشوء منخفض بحر النجف والذي يمثل عمر بحر النجف وكذلك بحر الملح لا يزيد عن 200 ألف سنة وإن ذلك مستنبط من طرح معطيات الفقرتين (1) و(2) وإن هذا التقدير للحد الأقصى يمكن تقريبه لمقدار أدنى وهو 180 ألف سنة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تاريخ بعض الصفحات المعروفة للطورين الثاني والثالث لمجرى نهر الفرات وهو تاريخ الاستيطان الحضاري في وادي الرافدين الذي يعود إلى عشرة آلاف سنة حيث اتخذ مواقعه على ضفاف نهر الفرات في طوره الثاني ويضاف

(1) الساكني، جعفر (1993) نافذة جديدة على تاريخ الفراتين في نشوء الدلائل الجيولوجية والمكتشفات الآثارية، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

(2) رايت، ه. أ.، العصر الجليدي البلايستوسيني في كردستان، ترجمة فؤاد حمة خورشيد (1986).

إلى ذلك فترة عشرة آلاف سنة أخرى، وهو تقدير معقول للحد الأدنى للفترة اللازمة لشق مجرى النهر وبناء ضفافه (مساطبه) في طوره الثاني وبذلك يكون تقدير الحد الأقصى لعمر بحر النجف هو 180 ألف سنة.

بالمقارنة مع ما توصل إليه بني (1) حول تقديره لعمر بحر النجف (90 ألف سنة) وملاحظاته حول دقة تقديره التي أشرنا إليها فإنها تندرج ضمن حدود تقديرنا للحد الأقصى لعمر بحر النجف. وإن تحديده بدقة معقولة يتطلب مواصلة البحث باتجاهات متعددة، منها تحديد بداية النشاط البنيوي الحديث الذي أثر على المنطقة وكذلك إجراء دراسات معمقة لرسوبيات منخفض بحر النجف وتشخيص الرسوبيات البحيرية وفرزها من الرسوبيات النهرية أو استخدام تقنية النظائر المشعة (C-14) لتحديد عمر تلك الرسوبيات.

هضبة النجف

النجف في اللغة العربية كما أشرنا في الفصل الأول تعني المكان المرتفع الذي لا يعلوه الماء، وإن الطبيعة الجيومورفولوجية لمنطقة النجف تحمل بدقة هذا المعنى اللغوي الذي ينسجم مع بعض المفردات الجيولومورفولوجية مثل هضبة (Platue) والمنضدة (mesa) وغيرها... وهذه المفردات الجيومورفولوجية وضعت لوصف أشكال التضاريس الأرضية وهي ليست مرادفات اصطلاحية، وإن لكل واحدة منها دلالة معينة ترتبط بأصل وآلية نشوء تلك الأنواع من التضاريس الأرضية فضلًا عن تميزها بالشكل والهيئة، فالهضبة مثلًا تنشأ بفعل حركات أرضية اندفاعية أو انزلاقية بسيطة أو مركبة ذات هيئة اعتيادية أو معقدة وعندما يحدث ذلك يعلو أو يرتفع سطح الأرض من مكان يطلق عليه هضبة وينخفض من مكان آخر ويطلق عليه منخفض (depression) والذي قد يشكل حوضًا (basin).

أما الشكل الآخر للتضاريس المعروف بالمنضدي فهو شكل مرتفع ومعزول من جميع الجهات يأخذ شكل المنضدة (الميز mesa) ويتكون بصورة رئيسية بفعل عوامل تعروية للأرض وليست حركية كما هو الحال في الحالة الأولى (حالة نشوء الهضاب). وعلى أساس هذه المفاهيم فإن أرض مدينة النجف وتوابعها وحتى المناطق القريبة من كربلاء ومحيطها الغربي هي "هضبة" باستناد آلية نشوئها التي سنتطرق لها لاحقًا، وكذلك باستناد التعريف العلمي كما ورد في المعجم الموحد للمصطلحات وهي كل منطقة مرتفعة نسبيًا ذات سطح منبسط تحده منحدرات شديدة على الأقل من أحد الجوانب.

هضبة النجف التي تعرف باسم الربوة (ربوة النجف) تشكل جزءًا من هضبة مميزة مثلثة

الشكل يطلق عليها هضبة النجف-كربلاء وتشكل رؤوس هذا المثلث مدينة النجف الأشرف من الطرف الجنوبي الشرقي ومدينة كربلاء والأجزاء الجنوبية من بحيرة الرزازة في الطرف الشمالي وبحر النجف من الطرف الغربي.

تبلغ مساحة هضبة النجف-كربلاء حوالي ثلاثة آلاف كيلومتر مربع، وإن أكثر من نصف مساحة هضبة النجف-كربلاء (حوالي 1750 كيلومتر مربع) يقع ضمن الحدود الإدارية لمحافظة النجف والباقي ضمن حدود محافظة كربلاء، ويبلغ أقصى ارتفاع لهضبة النجف 176 مترًا فوق مستوى سطح البحر، والمستوى العام لارتفاع الهضبة باتجاه حافاتها الغربية يتراوح بين 100 إلى 120 مترًا.

هضبة النجف مسطحة الاستواء ولكنها محززة بفعل عوامل التجوية الريحية وتشرف من جهتها الجنوبية الغربية على بحر النجف، وهذه الشرفة تمثل جرفًا صخريًا حادًا تسمى محليًا بطار النجف أما الامتدادات الشمالية لهذه الشرفة وباتجاه كربلاء تسمى بطار السيد، وتتكشف في هذه الشرفات (الطارات) بعض الطبقات الصخرية المكونة لهضبة النجف.

آلية نشوء هضبة النجف والإعجاز الإلهي

حول عنوان هذه الفقرة لا بد لي من وقفة قصيرة تمهد لمضمونه ودوافع اختياري له التي استندت على معطيات التحليل المنطقي والعلمي لآلية نشوء هضبة النجف بالاستناد على واقع خصائصها الجيولوجية، وقد تأملت في تلك المعطيات والمعالجات التحليلية التي أتناولها في هذا المبحث وقد قادني تأملي إلى استحضار جرأتي لأطرح في هذا الكتاب ما توصلت إليه من رأي حول آلية نشوء هضبة النجف والذي قد يراه البعض مثيرًا أو جريئًا أو ربما غير ذلك في استنتاجاته. وقد آثرت أن أطرحه للنقاش قبل توثيقه في هذا الكتاب مع عدد من ذوي الكفاءات الجيولوجية من بينهم ذوو خبرة في جيولوجية منطقة النجف وإقليمها، ولا أخفي أن عدم التوصل إلى إجابات منطقية للمحاكات الاستفهامية التي طرحتها عليهم حول تناقض آلية الوضع الجيولوجي لهضبة النجف وواقع خصائصها شجعني على التمسك بما توصلت إليه من رؤية ترتكز على الإعجاز الإلهي في تفسير نشوء هذه الهضبة، ولا أرى في ذلك حيودًا عن التمسك بالإيمان بالعلم وقوانينه التي أحكم الله سبحانه وتعالى بها خلق هذا العالم، وأرى أن ذلك يندرج ضمن الإعجاز الإلهي الذي اكتنف رسالات أنبيائه واتخذ صورًا متعددة أوردها القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى كان من بينها الطوفان الذي أغرق الله بواسطته غير المؤمنين من قوم نوح (ع) ونجا المؤمنون بالفلك الذي أمره

الله بصنعها حتى استوت سفينته على الجودي وهو هضبة النجف التي شاءت الإرادة الإلهية أن تكون جزءًا من إعجاز الطوفان وفق ما توصل إليه بحثي الذي أوجز مرتكزاته ومعطياته فيما يلي:

الوضع الجيولوجي لهضبة النجف في جوانبه الرسوبية والتركيبية والجيومورفولوجية يبدو للوهلة الأولى تقليديًا يندرج ضمن أنشطة الفعاليات الجيولوجية الاعتيادية المعروفة، غير أن الباحث في موضوع آلية نشوء هذه الهضبة يواجه بما نسميه بتناقض النظريات أو تقاطع الشواهد والدلائل بما يؤدي إلى إحراج قوانين المعرفة العلمية أمام التحليل المنطقي لمعطيات الوضع الجيولوجي للهضبة، وفي ذلك تعتبر آلية نشوء هضبة النجف من المعضلات الجيولوجية التي لم تزل قائمة. ولا يتوفر حاليًا نموذج (Model) منطقي يفسر كيفية نشوئها بالرغم من أنها خضعت إلى بعض الدراسات الجيولوجية، وهنالك من يعتبر أن هضبة النجف عبارة عن مروحة غرينية كبيرة تكونت في العصر الجيولوجي الحديث بالاستناد إلى شواهد رسوبية وجيومورفولوجية[1].

لكي نتلمس مشكلة الإخفاق في التوصل إلى نموذج (موديل) منطقي يستند على قوانين المعرفة الجيولوجية يفسر آلية نشوء هضبة النجف لابد من الإشارة أولًا إلى الحقائق الخاصة بالإطار الجيولوجي لهضبة النجف وهي:

1. شكل هضبة النجف مثلث يندرج ضمن الهيئة المروحية لرسوبيات نهرية المعروفة بالدلتا وإن شكل هذا المثلث من صنف متساوي الضلعين.

2. الهضبة مرتفعة حاليًا عن مستوى سطح البحر بمقدار يصل إلى 176 مترًا في أحد المواقع على سطحها كما عن مستوى السهل الرسوبي في منطقة نهر الفرات بمقدار 25 مترًا تقريبًا.

3. الهضبة مطلة من طرفيها الغربي والجنوبي على منخفض بحر النجف وهذه الإطلالة حادة شكلت جرفًا (طارًا) صخريًا متميزًا ممتدًا على طول ضلعيها بما يعرف بطار السيد وطار النجف ويبلغ ارتفاع إطلالة طار النجف على بحر النجف حوالي 40 مترًا.

4. يغطي سطح هضبة النجف تكوين الدبدبة من حقبة البلايوسين من أواخر العصر الثلاثي وبدايات العصر الرباعي، وتتكون رسوبيات التكوين من صخور رملية مترسبة في بيئة نهرية فيضية.

(1) الخطيب، أزهار علي غالب (1988) دراسة جيومورفولوجية هضبة، رسالة ماجستير، كلية العلوم، جامعة بغداد.

5. من الناحية التركيبية فإن مجموعة الفوالق الساندة في إقليم المنطقة هي مجموعة فوالق هيت-أبو الجير التي تمر في مناطق هضبة النجف وجوارها وتعتبر التفاسير التركيبية لتلك الفوالق بأن مناطق هضبة النجف هي مناطق هابطة، في حين مناطق بحر النجف هي مناطق صاعدة كما أن أنماط مضارب الفوالق الطولية والمستعرضة وتقاطعاتها لا تنسجم مع اتجاهات وامتدادات طاري النجف والسيد.

6. تنتهي بصورة حادة (مقطوعة) على امتدادات مشارف الهضبة على منخفض بحر النجف، أي بامتداد طاري النجف والسيد.

7. لم ترصد كذلك أية شواهد لوجود امتدادات لرسوبيات تكوين الدبدبة في مناطق بحر النجف الذي تطل عليه هضبة النجف من جهة طار النجف إطلالة حادة ولم ترصد أية شواهد لوجود تكوين الدبدبة في المناطق التي تطل عليها هضبة النجف من جهة طار السيد إطلالة حادة أيضًا.

إن هذه الوقائع والملاحظات عن طبيعة الوضع الجيولوجي لهضبة النجف لابد أن يتركز عليها أو يتناول تفسيرها أيّ نموذج (موديل) يوضع حول آلية نشوء هضبة النجف.

للاستمرار في التمهيد لمحاكاة الآلية المطروحة (آلية النشوء التركيبي والبنيوي التقليدي التي يذهب إليها الجيولوجيون تلقائيًا لتفسير مظاهر التهضب) أو أية آلية أخرى ضمن مفاهيم وقوانين علم الأرض لابد من طرح بعض التساؤلات؟

متى حدث الفيض الدلتاوي الذي أدى إلى نشوء المروحة الغرينية وترسيب تكوين الدبدبة في منطقة هضبة النجف؟ هل حدث ذلك (الفيض) قبل نهوض الهضبة أم بعده؟ ثم كيف حدث نهوض هذه الهضبة؟ وهل حدث بفعل حركات بنيوية إزاحية بالاتجاهين العمودي والأفقي أدت إلى تصدع الطبقات الصخرية؟

نحاول الآن الإجابة على تلك التساؤلات بطرح كافة الاحتمالات ونتبع التحليل المنطقي بالاستناد على وقائع الخصائص الجيولوجية للمنطقة.... وفي هذا الخصوص يمكن أن يكون أحد الأجوبة أن ترسيب تكوين الدبدبة قد حدث قبل النهوض وبعد ذلك أصبح جزءًا من هضبة النجف بعد نهوضها بفعل الحركات البنيوية التي سادت المنطقة والمرصودة اتجاهاتها وخصائصها من المعطيات الجيوفيزيائية.

إذا قبلنا هذه الإجابة دون الخوض بإشكاليات اتجاهات الفوالق الذي نتناوله لاحقًا يبرز تساؤل منطقي آخر... كيف تمت المحافظة على تناسق الشكل المروحي للدلتا خلال عملية نهوض الهضبة بفعل الآليات التركيبية وبهذا الشكل الانتقائي والحاد لكي ينتهي في حدود طار النجف وطار السيد؟

إذا كان الأمر كذلك لابد من حدوث قطع وتشويه للشكل المروحي للدلتا بعد النهوض بفعل تأثيرات الحركات البنيوية (تصدع وحركة) على الطبقات الصخرية، ومنها طبقات تكوين الدبدبة سيما أن هذا النهوض ترتب عليه نشوء جرف صخري حاد بامتدادات طويلة (طار السيد وطار النجف) وعليه لابد من رصد امتدادات لرسوبيات المروحة الغرينية (تكوين الدبدبة) في مناطق الجوانب الأخرى للطار في اتجاهات منخفض النجف أو في اتجاه المناطق التي يطل عليها طار السيد وهو ما لم تثبته الدراسات الجيولوجية والمسوحات المعدنية التي خضعت لها تلك المناطق فضلًا عن معطيات عمليات الحفر الواسعة التي انجزت في مساحات كبيرة من بحر النجف خلال عمليات الاستكشافات عن اليورانيوم في تلك المناطق والتي أشرف عليها المؤلف واستمرت لعدة سنوات ولم يلاحظ أي وجود لرسوبيات تكوين الدبدبة في مناطق الجوانب الأخرى لطاري النجف والسيد وهو ما يثير تساؤلات جدية حول تفسير هذه الظاهرة سيما أن هضبة النجف يمر بها عدد من الفوالق الطولية والمستعرضة.

أما الاحتمال الآخر لجواب السؤال الذي طرحناه حول توالي ترسيب تكوين الدبدبة ونهوض الهضبة بأن تكون المروحة الغرينية قد نشأت بعد النهوض ونشوء الجرف الصخري ومنخفض بحر النجف فإن هذا الاحتمال غير منطقي أيضًا وهو من الأمور التي يصعب أو يستحيل تصورها بأن تقف حمولة السيول الفيضية عند شرفات جرف صخري طويل ولا تقذف بحمولتها عبر حدوده في المناطق المنخفضة والتي تشكل بحر النجف ناهيك عن صعوبة تصور اندفاع السيول الفيضية باتجاه المناطق المرتفعة؟

نعود مرة أخرى لنتناول محاكاة الآلية البنيوية والتركيبية لتفسير آلية نشوء هضبة النجف لأهميتها عند الجيولوجيين في تفسير مثل هذه الظواهر ونطرح تساؤلات أخرى. عندما نشير إلى نهوض هضبة النجف نتساءَل كم مرة نهضت المنطقة؟ وايّ نهوض (مرحلة نهوض) أدى إلى نشوء هضبة النجف في وضعها الحالي؟ وفق المعطيات الجيوفيزيائية وكذلك الجيولوجية المتوفرة فإن منطقة هضبة النجف تقع ضمن امتدادات مجموعة فوالق هيت-أبو الجير وإن عمر هذه المجموعة عن الفوالق قديم ويمتد تأثيره إلى صخور القاعدة، وهنالك عدة فوالق مثبتة الاتجاهات والامتدادات والإزاحات في منطقة النجف وهضبتها وإن اتجاهات تلك الفوالق لا تنسجم مع اتجاهات مضارب حدود هضبة النجف وخاصة الاتجاهات الجنوبية (مضرب طار النجف) والغربية (مضرب طار السيد) فضلًا عن وجود بعض الفوالق تمر مضاربها من وسط هضبة النجف.

إن الإزاحة العمودية للفوالق في منطقة النجف تشير وفق المعطيات الجيوفيزيائية

والجيولوجية إلى أن مناطق هضبة النجف هي النطاق الهابط (المنخفض) ومنطقة بحر النجف هي النطاق الصاعد (المرتفع) وهذا ما يناقض الواقع الحالي لجيومورفولوجية هضبة النجف وبحر النجف، وأن أي تفسير للإزاحات المركبة والمتعاقبة للفوالق التي سادت المنطقة دون التأثير على انتظام الشكل المروحي لرسوبيات تكوين الدبدبة أو تشويهه على الأقل لا يمكن قبول افتراضه في غياب أي مؤشر أو دليل على تأثر رسوبيات تكوين الدبدبة التي افترشت سطح هضبة النجف بالنشاط البنيوي والتركيبي الذي ساد المنطقة وإقليمها كما أن المعطيات الجيوفيزيائية المغناطيسية لا تشير إلى أية فعاليات صهيرية يمكن أن ينشأ عنها تهضب منطقة النجف.

على ضوء ما أوردناه من ملاحظات ومؤشرات فإن البحث في آلية نشوء هضبة النجف يتطلب التأمل لتزاحم التناقضات التي أوردناها حول واقع خصائص جيومورفولوجية هضبة النجف والآليات التقليدية المعروفة بحمم الأرض لنشوء هذا النوع من التهضب في[1]* وفي ذلك توصلت في بحثي حول هذه المعضلة بأن آلية نشوء هضبة النجف تبدو لي صورة من صور الإعجاز الإلهي، وهي خارجة عن قوانين المعرفة الجيولوجية التي يمتلكها الإنسان ولا أريد الخوض في مجال رسالة الحكمة الإلهية للإنسان في ذلك، ولكني أجد فيها شاهدًا آخر للإعجاز الإلهي الذي اقترن برسله كالنبي عيسى(ع) وهو يُحيي الموتى ويبرئ المرضى وكذلك النبي محمد(ﷺ) في قرآنه وكذلك النبي نوح(ع) في طوفان أرض قومه ونجاة من آمن منهم بالفلك ورسوها على أرض هُيئت بأمر الله لتكمل ملحمة الطوفان وأغراضها ضمن أمدها المحدد. وهكذا تتبلور خصوصية وقدسية أرض اكتنفتها القدرة الإلهية لتكون مسرحًا لمشيئتها وإعجازها، وأرى أن ذلك ينسجم مع الأخبار المروية عن النبي محمد (ﷺ) وآل بيته عليهم السلام حول قدسية أرض النجف اختارها الله مرسًا لفلك النبي نوح (ع) ومثوى لأنبيائه آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام وقبرًا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) كما أخبره في ذلك النبي الأكرم (ﷺ) في الرواية المشهورة عن ابن عباس (رض) التي ذكرناها في مبحثنا عن مقبرة النجف والذي سيرد للاحقًا في هذا الفصل.

استكمالًا لهذا البحث حول خصوصية هضبة النجف باعتبارها شاهدًا للإعجاز الإلهي نتناول بشيء من الإيجاز طوفان نوح (ع) ورسو فلكه على هضبة النجف.

(1) كذا في المصدر.

هضبة النجف مرساة فلك نوح (ع)

النبي نوح (ع) والطوفان الذي اقترن باسمه عذاب الله سبحانه وتعالى على قومه وسفينته التي أمره الله بصنعها لينجو بها ومن آمن معه من الغرق تختزنه ذاكرة البشرية التي دونته في تراثها الحضاري كما تناولت ذكره والإشارة إليه الكتب السماوية لما في ذلك كله من عبر واعتبار للقدرة الإلهية وإعجازها المقرون برسالاته ورسله جل شأنه إلى البشرية وما تكتنفها من رحمة وغضب تقتضيها الحكمة الإلهية.

لقد أجمعت البشرية على مختلف أجناسها ودياناتها على حقيقة قصة الطوفان وإن اختلفت رواياتها حول تفاصيل أحداثها وفصولها، وهكذا وردت أخبار الطوفان في التوراة كما وردت في الروايات السومرية البابلية في ملحمة كلكامش، ولكن إذا ما أردنا قراءة فصول هذه الملحمة الإلهية ونتعمق في مضامينها ونتعرف على حوادثها وفصولها لابد أن نتأمل ما ورد عنها في القرآن الكريم وفي مواضع عديدة من سوره وآياته ونختار منها ما ورد في سورة هود(الآيات 36-44).

﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(37) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ(38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ(39) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ(40) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(41) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ(42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ(43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(44) ﴾.

وفي إشارة أخرى وردت في سورة المؤمنون (الآيات 27-30) يقول سبحانه وتعالى:﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(27) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(28) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ(29) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ(30) ﴾.

مما تقدم من العرض الإلهي لقصة النبي نوح (ع) مع قومه وعذاب الله الذي أنزله بهم

معان ومضامين غزيرة، ولأغراض المبحث الذي نحن بصدده نستخلص ثلاث صور من التدبير الإلهي في موضوع الطوفان وهي:

- فيضان الأرض المفاجئ ليغرق من عليها من قوم نوح إلا من آمن منهم وركب السفينة التي أمره الله بصنعها.

- رسو سفينة نوح على أرض يابسة لم تغرق بالطوفان لتستقر عليها وينجو من الطوفان من ركبها وهي أرض مباركة باسم الله كما ورد في القرآن الكريم(بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا).

- تصريف مياه الطوفان بعد تنفيذ الحكم الإلهي بعذاب قوم نوح لتستمر الحياة.

إن الإيقاع الزمني لتساسل الفصول الثلاثة لقصة الطوفان لابد أنه كان سريعًا ليتحقق الغرض الإلهي في إنزال العذاب على قوم نوح الفاسقين وعدم منحهم أية فرصة للنجاة بل منح رحمته لنوح (ع) والمؤمنين من قومه وأنقذهم بالفلك. وهنا يبرز السؤال الأول كيف فاضت الأرض بسرعة لم تمهل الكافرين في الخلاص من العذاب؟ وهذه المعجزة الأولى في التدبير الإلهي.

ثم بعد أن وقع عذاب الله وتحققت أغراضه لابد أن ينحسر الماء عن الأرض لتظهر اليابسة من جديد تعيش عليها أمة مؤمنة، فكيف انحسرت مياه الطوفان بسرعة أيضًا وهذه هي المعجزة الثالثة في التدبير الإلهي.

ما يتعلق في مبحثنا هذا هو الأمر المتعلق بالمكان الذي رست عليه سفينة نوح والذي اختاره سبحانه وتعالى بدلالة قوله ﴿ ...بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهو مكان باركه الله سبحانه وتعالى عندما استجاب لدعوة نبيه نوح (ع) عندما دعا ربه ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ فأين هذا المكان المبارك الذي اختاره الله مرساة لسفينة نوح؟

لنعود مرة أخرى إلى المكان الذي رست عليه سفينة نوح ولكن قبل ذلك لنتوقف وقفة قصيرة نستذكر فيها حدثًا كبيرًا شهده العالم بالذهول يتعلق بالأمرين الأول والثالث حول فيضان الأرض بسرعة وبشكل مفاجئ وهلاك من عليها ثم تصريف مياه الطوفان بعد تنفيذ الحكم الإلهي في قوم نوح فإن ما شهده العالم في يوم التاسع والعشرين من شهر كانون الأول من عام 2004 من طوفان مناطق شاسعة من سواحل وجزر المحيط الهندي بسبب زلزال سومطرة في إندونيسيا وما ترتب عليه من تقدم موجات هائلة من مياه البحر نحو الأراضي اليابسة وما عُرف بظاهرة التاسونامي Tusanami (أمواج الموانئ) والتي شاهد العالم عنفوانها وهي تدمر وبسرعة فائقة كل شيء أمامها من بنيات تحتية ومبانٍ وسيارات وقطارات

لم يُعرف عددها لحد الآن وغيرها من مشاهد، وفرت هذه الحادثة للإنسان إشكاليات الخيال والتصور لمشهد أو مشاهد درامية مسرحها سطح الأرض تتحرك عليه وبعنفوان عناصر طبيعية وبمقياس طوفان نوح... ففي دقائق دُمر كل شيء في موقع الحدث في مناطق شمال جزيرة سومطرة، وبعد ساعات قليلة امتدت تأثيرات الحدث (وبقوة تدميرية أيضًا) إلى مناطق في تايلند، التي تبعد مئات الكيلومترات من موقع الحدث وبعد عدد آخر من الساعات وصلت القوة التدميرية إلى سواحل من إفريقيا التي تبعد آلاف الكيلومترات عن موقع الحدث...

إن ما شاهده العالم في اليوم التاسع والعشرين من شهر كانون الأول 2004 كان حضورًا لمشهد تقدم وقائعه الإجابة على التساؤلات التي تراود الإنسان وهو يستعرض فصول قصة طوفان نوح التي عرضها علينا القرآن الكريم في الأيات التي أشرنا إليها وبذلك يمكن اعتبار ما ترتب على زلزال جزيرة سومطرة من أمواج طوفانية بالرغم من مأساتها الإنسانية درسًا إيمانيًا بالقدرة الإلهية وإعجازها التي سارع العلماء للاجتهاد في تفسيرها ووضع قوانين لها. لنعد مرة أخرى إلى المكان الذي رست عليه سفينة نوح(ع).

لقد أجمع معظم من تناولوا بالبحث عن أرض الطوفان أن أرض وادي الرافدين كانت موطن قوم نوح الذي أنزل الله عليهم عذاب الغرق، وفي هذا الخصوص نشير إلى مقالة لأحد العلماء المشهورين في مجال تاريخ حضارات وادي الرافدين وهو السير وليم ويلكوكس.. يجب أن نتذكر ونحن في دلتا دجلة والفرات أننا في بلاد الطوفان.

إذا كان وادي الرافدين موطن قوم نوح وأغرقوا بالطوفان، فأين رست سفينة نوح وأين الجودي الذي استوت عليه؟ وأين يقع الجبل الذي أراد ابن نوح أن يعتصم به من الغرق؟ الذي أخبر عنهما القرآن الكريم... وأين جبل النسر أو جبل نصير الذي ورد في نصوص ملحمة كلكامش بأن السفينة رست عليه؟ لكي نقدم الإجابة حول هذه التساؤلات لابد أن نبحث عن موطن قوم نوح(ع) الذين أنزل الله عليهم عذابه؟

لقد اهتم علماء التاريخ والآثار بالطوفان موطنًا وزمانًا؟ وطرحت بعض الإجابات والأفكار ولكن لم يقدم دليل مادي قاطع حول موطن قوم نوح...؟ ولكن هنالك دلائل تستند على التحليل المنطقي لما يتوفر من شواهد مادية وتاريخية وعقائدية قد تكون وافية لإجابة راجحة على التساؤلات المطروحة وفي هذا الخصوص ينبغي أن نعرف: أولًا هل طغى الطوفان على كامل يابسة سطح الأرض أم أنه كان محدودًا في منطقة معينة؟ فإذا كان الطوفان قد شمل سطح الكرة الأرضية كله فإن التساؤل يبقى واردًا أين استوطن قوم نوح على سطح الأرض؟ أما إذا كان الطوفان قد شمل منطقة محددة فإن تلك المنطقة هي موطن قوم نوح؟

هناك رأيان مطروحان في هذا الخصوص

الأول: إن الطوفان كان عامًا شمل كل الأرض، واستند أصحاب هذا الرأي على ما ورد في العهد القديم (التوراة) بأن الطوفان غطى سطح الأرض من جبال حتى هلك جميع الأحياء واستقرت سفينة نوح على جبل أرارات وتبنى هذا الرأي بعض العلماء في القرن السابع عشر بإسناد انتشار قصص الطوفان لدى أهل المكسيك والصين وأقوام أخرى مما يدل أن الطوفان شمل كل سطح الأرض أو بأسانيد تخيلية كما ذهب إليه البعض بكون سطح الأرض كان مستويًا قبل الطوفان بلا تلال أو جبال وأن مياه الطوفان في اندفاعها هي التي كونت تضاريس سطح الكرة الأرضية. مهما يكن من ضعف أسانيد هذا الرأي فإن الكثير من العلماء يعتقدون أن نظرية استقرار الفلك على جبل أرارات في أرمينيا جاءت بالتواتر على أساس اعتقاد قديم ثم قبلته الكنائس الشرقية وأشيع بين الناس.

الثاني: يذهب الرأي الثاني إلى أن الطوفان طغى على منطقة محددة من العالم لأنه كان مختصًا بقوم نوح (ع) وإلى شعبه فقط وليس إلى العالم كما ورد في سورة الأعراف: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(64)﴾ ويؤكد ذلك أيضاً ما ورد في الآية 23 من سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

إذا ما أردنا أن ندعم هذا الرأي بمصدر غير قرآني فإن ما ورد في الألواح السومرية عن أخبار الطوفان أسماء مدن عراقية في سهل وادي الرافدين وملوك حكموا مناطق وادي الرافدين قبل الطوفان، وإن بعض العلماء المختصين بآثار ودراسات حضارات وادي الرافدين القديمة مثل السير وليم ويلكوكس والسير ليونارد وولي يعتقدون بأن أرض الطوفان هي أراضي دلتا الفرات ودجلة شمال أور الكلدانيين، ويدعم ذلك اكتشاف الخبير الآثاري ليونارد وولي آثار الطوفان في تنقيباته في أور حيث عثر على طبقة من الأطيان النقية يبلغ سمكها 18 قدمًا في منطقة أور وأرفد ذلك في إعلان البعثة الآثارية لجامعة أكسفورد عن اكتشاف مماثل لآثار الطوفان في منطقة كيش، وإن هذه الدلائل الآثارية وبالرغم من كونها مثيرة للجدل بين علماء الآثار[1] يمكن اعتبارها مقدمة لدلائل مادية يمكن تطويرها لتحديد تاريخ الطوفان على اعتبار أن منطقة دلتا وادي الرافدين كانت موطن قوم نوح الذين جرفهم الطوفان.

(1) رو، جورج (1963) العراق القديم، ترجمة حسين علوان (1986)، دار الشؤون الثقافية، بغداد. سوسة، أحمد (1963) فيضانات بغداد في التاريخ، الجزآن الأول والثالث.

بعد هذه المقدمة عن ما هو متوفر من نظريات ومعطيات عن موطن قوم نوح والتي تفيد بارجحية الرأي القائل بأن أرض وادي الرافدين كانت أرض الطوفان نعود للتساؤل الذي طرحناه في البداية أين رست سفينة نوح (ع)؟

المعروف عن أرض وادي الرافدين أنها سهل رسوبي منبسط، وخلال تاريخها الجيولوجي لفترة حقبة البلايستوسين من العصر الرباعي وهي الحقبة التي لايتعداها تاريخ ظهور الإنسان على سطح الأرض لم تبرز في هذا السهل أية مظاهر جيومورفولوجية شاخصة كالجبال والتلال الكبيرة في جزأيه الأوسط والجنوبي سوى هضبة النجف التي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر عند حافات طاراتها حوالي مئة متر ويصل في بعض أجزائها الجنوبية الغربية إلى 176 مترًا في الوقت الذي يرتفع مستوى قاعدة هذه الهضبة عن سطح البحر من الشمال بمقدار 25 مترًا حيث يحدها نهر الفرات ومن الجنوب بحوالي عشرة أمتار حيث بحر النجف، وبذلك فهي مرتفع من الأرض معزول تبلغ مساحة سطحه 750 كيلومترًا مربعًا لا يوجد نظير لها في منطقة وادي الرافدين، وإن هذه المظهر الجيومورفولجي يبقى شاخصًا لا يناله الغرق عندما تغرق أرض الرافدين حوله وحتى عندما يبلغ مستوى الطوفان إلى عشرة أو عشرين مترًا عن مستوى سطح الأرض وصولًا إلى مئة متر وهو افتراض يصل بنا إلى عمق الكثير من البحار المتلاطمة الأمواج كالخليج العربي مثلًا.

إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار موقع وخصائص هضبة النجف على مشارف السهل الرسوبي لمناطق وسط وجنوب العراق وهي المناطق الأكثر احتمالًا لموطن قوم نوح كما اسلفنا، فإن التشخيص يكون منطقيًا بأن هضبة النجف كانت مرساة سفينة نوح اختارها الله أرضًا مباركة (باسم الله مجراها ومرساها) استجابة منه لدعوة نبيه نوح (ع) (رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) ولا يمكن أن يكون سواها لانبساط مناطق السهل الرسوبي الشاسعة التي تبرز فيها جزيرة شاخصة عندما يغرق الطوفان مناطق ذلك السهل الرسوبي الشاسعة وما حولها من مناطق.

وهنا نضيف إلى ذلك ملاحظة مهمة حول ملاءمة هضبة النجف كمرساة تلجأ إليها سفينة تخوض غمار الطوفان بأمواجه المتلاطمة من اضطراب جريان المياه الذي يكون أشده في مسار (التالوك) لنهري دجلة والفرات، وإن الطاقة العالية لتلك الأمواج تتلاشى في الاتجاهات البعيدة عن مجرى النهرين وحوضهما سيما أن موقع هضبة النجف يبعد حوالي مئة كيلومتر عن مجرى نهر الفرات في زمن الطوفان، وهو الطور الثاني لتطور مجرى نهر الفرات كما اسلفنا في مبحثنا حول بحر النجف، والتي قامت على ضفاف النهر مدن سومرية وبابلية عديدة مثل سبار وكوثى

ونفر وغيرها. وعليه فإن الأمواج تكون هادئة نسبيًا باتجاه مقتربات هضبة النجف مما يؤمن رسوها فوقها سيما أنها تتميز بالانحدار التدرجي من جهاتها الشرقية. وهنا نعود إلى ما تناولناه في الجزء الأول من مبحثنا حول آلية نشوء هضبة النجف وما توصلنا فيه حول تناقض واقع الإطار الجيولوجي والجيومورفولوجي لهضبة النجف مع المعطيات الجيوفيزيائية والتركيبية، وهو ما يدفعنا للاعتقاد بأن آلية نشوء هضبة النجف صورة من صور الإعجاز الإلهي الذي ينسجم مع الأركان الثلاثة التي أشرنا إليها للتدبير الإلهي في قصة الطوفان.

مما يدعم أطروحتنا في هذا الشأن نرفد ما تقدم من استنتاجات بالأخبار المروية عن طريق آل البيت عليهم السلام بخصوص موطن قوم نوح ومرساة سفينته وهي كثيرة نذكر بعضها وفي مقدمتها ما ورد في دعاء الزيارة لقبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) والمأثور عن الإمام زين العابدين (ع) وكذلك بقية الأئمة الأطهار: ((السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك آدم ونوح وعلى جاريك هود وصالح عليهم السلام)).

وفي الروايات المتواترة أيضًا أن بيت نوح (ع) كان في موقع مسجد الكوفة وأنه دفن في النجف في نفس الموقع الذي دفن فيه عظام آدم (ع) التي حملها معه في السفينة. وفي الروايات الأخرى أن الإمام عليًا (ع) عندما أوصى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بمكان دفنه أشار إلى أن الموقع الذي أرشدهم إليه هو قبر النبيين آدم ونوح عليهما السلام.

في هذا الإطار أيضًا نشير إلى رواية صفوان الجمال عن الإمام الصادق (ع) حيث ذكر بأنه كان في صحبة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وهو في طريقه من المدينة إلى العراق فلما وصلا القادسية شاهد من بعيد هضبة النجف وقال هذا الجبل الذي أراد ابن جدي نوح أن يعتصم به عندما قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، وهنالك الكثير من الأحاديث والروايات عن قدسية أرض النجف لكونها مقامًا ومثوىً للأنبياء والأوصياء يمكن الرجوع إليها في مصادرها[1].

كخلاصة لهذا المبحث الذي تناولت فيه هضبة النجف بين واقع الإطار الجيولوجي وتناقض قوانين المعرفة الجيولوجية في تفسير هذا الموقع على بعض الزملاء الجيولوجيين والذي اعتبروه طرحًا غريبًا وجريئًا عندما طرحته عليهم لأول وهلة، ولكن عندما دعوتهم للتأمل

(1) رو، جورج (1963) العراق القديم، ترجمة حسين علوان (1986)، دار الشؤون الثقافية، بغداد. سوسة، أحمد (1963) فيضانات بغداد في التاريخ، الجزآن الأول والثالث. ابن طاووس، غياث الدين عبد الكريم (1368ه) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) في النجف، الطبعة الثانية، منشورات المطبعة الحيدرية.

وتقديم إجابات أو تفسيرات للإشكاليات التي أثرتها وعرضتها في سياق هذا المبحث التجأوا للتأمل بعد عجزهم في التوصل إلى تقديم إجابات علمية أو منطقية للتساؤلات المطروحة... وهنا لابد من القول بأن من يتأمل ولا يجد في قوانين المعرفة التي توصل إليها الإنسان ملاذًا يحرره من قيود حيرته لابد أن يلجأ إلى القدرة الإلهية وإعجازها سيما أننا نتناول أرضًا قدسيتها تمتد من آدم المدفون فيها ونوح وفلكه التي سارت ورست باسم الله على هذه الأرض التي دفن فيها ومن بعده دفن هود وصالح فيها فهي مباركة اختارها الله لنبيه نوح بعد أن رجاه أن ينزله منزلًا مباركًا... ثم اكتملت تلك القدسية عندما شرفت هذه الأرض بقبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فلابد من البركة الإلهية أن يقترن بها إعجاز إلهي وهي شأن من شؤونه جل شأنه في خلقه ومخلوقاته.

طار النجف

الطار ظاهرة أخرى من مظاهر النجف الجيولوجية، وتشكل الطارات الأطراف الجنوبية والغربية لهضبة النجف حيث تنقطع الهضبة بصورة حادة لتشكل جرفًا صخريًا بارزًا يطل الطرف الجنوبي من الهضبة على بحر النجف يشكل ما يعرف بطار النجف.

إن المفهوم المحلي الذي عبر عن هذه الظاهرة بالطار هو تعبير دقيق لوصف هذه الظاهرة الجيومورفولوجية وإن كلمة الطار هي كلمة عربية فصيحة محورة من الطور وجمعه أطوار هو ما كان على حد الشيء كما ورد في معاجم اللغة العربية. أو ربما تكون كلمة الطار محورة من الطر (بضم الطاء) وجمعها أطرار ويعني الطرف ويقال هو يحمي أطرار البلاد أي أطرافها والطرة طرف كل شيء وجرفه كما ورد في معاجم اللغة العربية أيضًا ولذلك نجد أن التسمية التي أطلقت على الأطراف الغربية والجنوبية لهضبة النجف من قبل النجفيين هي تسمية دقيقة تفيد معناها.

تعرف طارات النجف بالنواويس أيضًا ومفردها ناؤوس وقد أشار إليها سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) في المدينة المنورة وهو ينبئ عن واقعة الطف في كربلاء حين قال: ((وكأني بأشلائي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء))، والنواويس في اللغة هي مقبرة النصارى (حجر منقور تجعل فيه جثة الميت) كما ورد في المنجد في اللغة.

إن الطار ظاهرة جيولوجية ويقابلها بالإنكليزية (Escarpment) ويقصد به في قاموس تلك اللغة: عندما تمشي فوق الهضبة أو عندما تتوجه نحو الهضبة تواجه حدها المقطوع. ويحيط بهضبة النجف وامتداداتها نحو كربلاء (هضبة النجف-كربلاء) طاران أو طران:

الأول: هو طار النجف الذي يحيط بالهضبة من جهتها الجنوبية والغربية ويقطع الهضبة باستقامة خطية تقريبًا، ويبلغ طوله حوالي 65كم، وإن أعلى نقطة ارتفاع لطار النجف يبلغ حوالي 133 مترًا وهنالك نقطة عند التقائه بالطار الثاني وهو طار السيد يبلغ ارتفاعها 176 مترًا، ولكن بشكل عام فإن منسوب ارتفاع طار النجف يبلغ حوالي 100 متر عن مستوى سطح البحر.

يبدأ ظهور طار النجف في منطقة الحيرة جنوب النجف ويتجه غربًا منحرفًا قليلًا نحو الشمال حيث ينتهي بمنطقة التقائه مع طار السيد وذلك في منطقة تعرف بوادي اللسان.

الطار الثاني: المحيط بهضبة النجف من جهتها الغربية هو طار السيد الذي يبلغ طوله حوالي 60كم ويقطع الحدود الإدارية لمحافظة النجف باتجاه محافظة كربلاء. وإن نسبة تسميته بالسيد قد تعود إلى دفن أحد السادة العلويين في مكان ما في هذا الطار كما أفادني أحد الجيولوجين نقلًا عن أحد الساكنين في منطقة قريبة من الطار والله أعلم. يبلغ أعلى ارتفاع لطار السيد حوالي 132 مترًا وبشكل عام فإن منسوب ارتفاع طار السيد مشابهٌ لمنسوب ارتفاع طار النجف. يشرف طار السيد على منخفض الأخيضر وكذلك على البادية الجنوبية الغربية.

إن آلية نشأة طار النجف وطار السيد مرتبطة بآلية نشأة هضبة النجف التي عرضناها في الفقرة السابقة من هذا الفصل وتعتبر الطارات مظهرًا جيومورفولوجيًا مميزًا في منطقتي النجف وكربلاء، وخصوصيتهما جزءٌ من خصوصية هضبة النجف-كربلاء.

يكشف طار النجف جزءًا من العمود الطباقي للمنطقة، حيث تظهر تكشفات صخور تكاوين أنجانة والدبدبة على امتداداته وبسماكات مختلفة، من الجدير بالإشارة إلى بعض الملاحظات ذات العلاقة بطار النجف حيث يلاحظ وبشكل واضح نضوح المياه من بعض الطبقات الصخرية للطار، وهي مياه جوفية مختزنة في هضبة النجف مصدرها مياه الأمطار ومياه التصريف الصحي لمدينة النجف الأشرف وضواحيها.

من الملاحظات الأخرى الجديرة بالإشارة هو استخدام الطار كمدفن في زمن اللخمين الذين استوطنوا الحيرة حيث عثر على كهوف (لحود) طولية في بعض المواقع من طار النجف القريبة من الحيرة تحتوي على رفات بشرية كما أفادني في ذلك بعض النجفيين وتعرف تلك المقابر بالنواويس التي أشار إليها الإمام الحسين (ع) في تنبئه لموقع مصرعه كما أشرنا إلى ذلك مسبقًا.

مقبرة النجف

ليس غريبًا أن نفرد فقرة خاصة في هذا الفصل من الكتاب عن مقبرة النجف ونحن نتناول جيولوجية منطقة النجف ونتعرض لظواهرها ومظاهرها وأرثها الجيولوجي، ففي خصوصيتها معانٍ جيولوجية عديدة فضلًا عن قدسية تربتها التي ضمت رفاة عدد من الأنبياء من بينهم آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام كما ورد عن روايات آل البيت عليهم السلام فضلًا عن رفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) والتي أوصى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام حول مكان دفنه كما أخبره في ذلك الرسول الأكرم(ﷺ)[1].

لقد أخفي مكان قبر أمير المؤمنين(ع) لفترة طويلة خوفًا من الاعتداء على حرمته من قبل الخوارج والنواصب، وبعد التعرف على قبره في القصة المشهورة عن زيارة هارون الرشيد لمنطقة النجف وهو في نزهة صيد والتعرف على القبر الشريف أصبح القبر كما هو عليه الآن مزارًا شاخصًا بهيبته ملبيًا بعض استحقاقات هذه الشخصية الفذة من الأجيال المتعاقبة التي خاطبها ببلاغته "قيمة كل امرئ ما يحسنه"، وتهافتت أمنيات المسلمين من مختلف بقاع العالم بمختلف مراتبهم وطبقاتهم لأن تدفن بجواره تقربًا إلى الله تعالى بآخر إعلان لهم يؤكد إيمانهم بنهج الحق الذي استشهد من أجله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وطلق الدنيا ليرتمي في أحضانها غيره وهكذا بعض العبر وضاءة الإشعاع عندما يقرأها التاريخ لنا بدلًا من أن نكتبها له.

ونعود إلى المعاني الجيولوجية لمقبرة النجف بعد هذه الخاطرة التي فرضت عليّ حضورها وأنا أتأمل في الكتابة عن هذه المقبرة التي تسمى أيضًا بوادي السلام والتي تعتبر من أكبر مقابر العالم وفي ذلك أرى بعض المعاني الجيولوجية في خصوصية مقبرة النجف وهذه المعاني أو الخصائص أعرضها كما يلي:

---

(1) روى ابن طاووس رحمه الله أنه قرأ في كتاب عن الحسن بن الحسين بن طحال المقدادي قال روى الخلف عن السلف عن ابن عباس (رض) أن رسول الله (ﷺ) قال لعلي (ع) يا علي إن الله عز وجل عرض مودتنا أهل البيت على السماوات فأول من أجاب منها السماء السابعة فزينها بالعرش والكرسي ثم السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور ثم السماء الدنيا فزينها بالنجوم ثم أرض الحجاز فشرفها بالبيت الحرام ثم أرض الشام فشرفها ببيت المقدس ثم أرض طيبة فشرفها بقبري ثم أرض كوفان فشرفها بقبرك يا علي فقال يا رسول الله أأقبر بكوفان العراق؟ فقال (ﷺ) نعم يا علي تقبر بظاهرها بين الغريين والذكوات البيض يقتلك شقي هذه الأمة عبد الرحمن بن ملجم فوالله الذي بعثني بالحق نبيًا ما عاقر ناقة صالح عند الله بأعظم عقابًا منه يا علي ينصرك من العراق مئة ألف سيف. (ابن طاووس، غياث الدين عبد الكريم (1368ه) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) في النجف، الطبعة الثانية، منشورات المطبعة الحيدرية).

الأول: ارتفاع أرضها كما أشرنا إلى ذلك سابقا فهي الأرض التي لا يعلوها الماء (لهذا سميت بالنجف كي تفيد هذا المعنى) ويبلغ الفرق بين منسوب ارتفاعها ومستوى منسوب نهر الفرات من جهة الشرق حوالي خمسة وسبعين مترًا وبينها وبين مستوى أرض بحر النجف من جهة الغرب حوالي تسعين مترًا.

الثاني: طبيعة تربتها المتكونة من صخور رملية هشة إلى متوسطة الصلابة عالية النفاذية والمسامية تعود إلى تكوين الدبدبة كما أشرنا سابقًا ويبلغ معدل سمكها في مقبرة النجف إلى أكثر من 12 مترًا.

الثالث: المغزى الجيولوجي الثالث في خصوصية مقبرة النجف هو إحاطة طار النجف بها من جهتيها الجنوبية والغربية الذي تنكشف عنده طبقات تربة مقبرة النجف.

إن المترتبات الإيجابية لتلك المعاني الجيولوجية تشكل مرتكزات لمثالية موقع مقبرة النجف للدفن وذلك للاعتبارات التالية المستنبطة من تلك الخصائص:

1. إن ارتفاع هضبة النجف هو تحصين طبيعي لمقبرة النجف من أخطار فيضانات نهر الفرات القريب من المنطقة لذلك لا يمكن أن تغمرها المياه ضمن أعلى مد محتمل لموجة الفيضانات لنهر الفرات في منطقة الكوفة أو المناطق المحيطة بها، والتاريخ الذي وثق فيضانات نهر الفرات لم يخبرنا بأية موجة لفيضانات نهر الفرات تقربت لمنطقة النجف أو لأطرافها ناهيك عن كونها مرسى لسفينة نوح (ع) في الطوفان كما أشرنا إلى ذلك في الفقرة السابقة من هذا الفصل. وبذلك اكتسبت مقبرة النجف خاصية مهمة طوبوغرافية الطابع تعتبر ركنًا أساسيًا من مقومات المقبرة المثالية التي لا تتعرض فيها رفات الموتى إلى الغرق أو الانجراف بواسطة مياه الفيضانات أو السيول.

2. أن طبيعة الصخور في موقع المقبرة غير ملائمة للاحتفاظ بالمياه النافذة إليها من الأمطار والسيول، بسبب طبيعتها الرملية ذات المسامية والنفاذية العالية وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن المياه لا تتجمع في الصخور الرملية إلا في حالة إحاطتها من الأسفل بطبقات غير نفاذة مثل الطبقات الطينية أو المارية أو الجيرية غير المتشققة أو المتكهفة ومثل هذه الطبقات موجودة ضمن صخور تكوين أنجانة التي تلي صخور تكوين الدبدبة وهي صخور غير نافذة للمياه تقع على عمق يبلغ 40 مترًا من سطح الهضبة وهو عمق بعيد عن عمق مستوى الدفن الذي لا يتجاوز ثلاثة أمتار عن سطح الأرض. وإن المعطيات الهيدرولوجية لمنطقة هضبة النجف وامتداداتها باتجاه كربلاء تؤكد هذا الوضع وعليه فإن هذه الطبيعة تمنح مقبرة النجف تحصينًا آخر لأخطار غرق المقبرة بمياه الأمطار مهما اشتدت غزارتها.

3. ارتباطًا بالاعتبارين الأول والثاني حول حصانة مقبرة النجف من مخاطر الغمر أو الانجراف بواسطة مياه الأمطار أو الفيضانات بسبب عدم قدرة الصخور في موقع المقبرة (ضمن مستويات الدفن) على الاحتفاظ بمياه السيول والأمطار بسبب خصائصها الفيزيائية التي أشرنا إليها وهو ما يعتبر من الخصائص المثالية للترب الصالحة للدفن، يبرز هنا دور طار النجف ليضيف بعدًا مثاليًا آخر لصلاحية مقبرة النجف للدفن حيث يعتبر الطار متنفسًا مائيًا لسطح الهضبة ولطبقاتها العلوية العليا على وجه الخصوص، حيث يتسرب من خلال مكاشفه الرملية المطلة على بحر النجف جزء من المياه الغائرة بذلك تتحقق آلية طبيعية (موزونة) لتصريف المياه الغائرة، وما نقصده بالموزونة هو استمرارية جفاف الجزء العلوي لصخور هضبة النجف (مواضع الدفن) حيث يكون التصريف المائي مكافئًا للتغذية المائية للأمطار الهاطلة على المنطقة. وما نشهده الآن في بعض مناطق مقبرة النجف القريبة من مركز مدينة النجف من ارتفاع لمنسوب المياه الجوفية قد نتج بسبب الاخلال بالموازنة الطبيعية لخصائص الأرض بسبب ازدياد الكثافة السكانية وكثافة البناء باستخدام الأسس الخرسانية التي تعتبر حواجز صناعية تعيق أو تربك حركة المياه الجوفية في غياب وجود شبكة مجارٍ لتصريف المياه.

في هذا الخصوص نشير إلى حادثة تاريخية ذات علاقة بحركة المياه الجوفية في مدينة النجف الأشرف أوردها الأستاذ حسن الأسدي في كتابه الموسوعي عن ثورة النجف الأولى. حيث ذكر في أواسط الثلاثينيات شح الماء في آبار النجف واقترح أحدهم بناء حاجز كونكريتي قرب الثلمة لكي يرتفع منسوب المياه في الآبار وقبل المقترح وتبرع أحد شيوخ عفك بالتكاليف وتم بناء الحاجز، وفعلًا ارتفع منسوب الماء في الآبار لدرجة تعرضت أسس المباني للخطر مما دعى إلى تفجير الحاجز لتصريف المياه.

4. الخاصية المهمة الأخرى المترتبة على الخصائص الجيولوجية لمقبرة النجف هي الطبيعة الفيزياوية للصخور في موقع مقبرة النجف وهضبة النجف بصورة عامة، وتتمثل تلك الطبيعة بالصلابة المتوسطة إلى الهشة بسبب ضعف تماسك مادتها الرابطة مما يساعد على عمليات حفر تلك الصخور لأغراض الدفن بالوسائل اليدوية البسيطة وبفترة زمنية منطقية تلائم متطلبات الأغراض الاجتماعية لمراسيم الدفن كما أن الصلابة الهشة والمتوسطة للصخور متوازنة مع الحد الأدنى لمتطلبات مقاومة الانهيار أثناء عملية حفر القبر بأبعاده المعروفة دون الحاجة إلى تدعيم.

في ختام هذا المبحث الموجز حول خصائص مقبرة النجف نشير إلى تميزها الطبيعي،

حيث تعتبر مقبرة النجف من وجهة النظر الجيولوجية فريدة في العراق فضلًا عن سعتها؛ كما لا توجد منطقة في العراق تتميز بتكامل المواصفات المطلوبة للمقابر الحضرية وضمن هذا الإطار فإن تكوين الدبدبة الذي يحتضن مقبرة النجف تتواجد تكشفات صخوره في منطقتين في العراق كما أشرنا سابقًا هما هضبة النجف ومناطق واسعة في المنطقة الجنوبية من العراق تشكل جزءًا من محافظتي ذي قار والبصرة، إلا إن هنالك تباينًا أساسيًا في الإطار الجيولوجي لتكوين الدبدبة في المنطقة الجنوبية مقارنة بالإطار الجيولوجي لهذا التكوين في هضبة النجف، حيث لا يتميز التكوين بالتهضب في المناطق الجنوبية كما هو الحال في هضبة النجف وبالهيئة التي تناولنا وصفها آنفًا، وبالتالي تنفرد هضبة النجف في خصائصها بموقع مثالي واسع جدًا للدفن ويمكن تلمس ذلك إذا ما استعرضنا الدفن في بعض المدن في العراق حيث نلاحظ ضيق المساحة الملائمة أو إشكاليات كثيرة ومخاطر الانجرافات وتأثير المياه الجوفية وغيرها تتعلق بطبيعة التربة والمياه

سراديب النجف

تعتبر سراديب النجف من المعالم الحضرية التي اشتهرت بها مدينة النجف الأشرف وقد وصفها الرحالة والأديب العربي عبد الوهاب عزام في كتابه رحلات عبد الوهاب عزام الذي صدر عام (1349هـ)[1] بأنها اعجوبة ناطقة بذكاء أهل النجف ونشاطهم وجدهم، وهي مأواهم في الصيف لا محيص عنها والنجف الأشرف في صحراء جرداء شديدة الحر وفي النهار يهبط الناس جميعًا إلى هذه السراديب فيجدون بلدًا آخر بارد الهواء. ومتوسط عمق السرداب عشرون مترًا، وفي ذلك أشار أيضًا المؤرخ السيد رؤوف نور الدين كمونة في بحث له[2] كتبه حول الاستخدامات التاريخية لباطن الأرض في العراق: أمثلة من مدينة النجف الأشرف والذي ورد فيه: من أجل التغلب على حر الصيف القائض وبرد الشتاء القارص امتدت مساكن النجفيين إلى باطن الأرض حتى وصل قسم منها إلى 27 مترًا مكونة ثلاثة طوابق (سراديب) تحت الأرض عرفت عند العامة بسراديب النجف.

ترتبط السراديب الثلاثة بسلم يصلها إلى الدار الداخلية ويصل أبعاد السرداب الواحد في

(1) الأسدي، حسن (1975) ثورة النجف الكبرى، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة رقم 79.

(2) كمونة، رؤوف نور الدين والهاشمي، وسام عبد الجبار (2000) الاستخدامات التاريخية لباطن الأرض في العراق، أمثلة من النجف الأشرف (ملخص)، وقائع ملخصات بحوث ندوة علوم الأرض واستخداماتها عند العرب والمسلمين، نظمها مركز إحياء التراث العربي جامعة بغداد واتحاد الجيولوجيين العرب.

بيوت الميسورين من أهل المدينة إلى أكثر من 4×8 متر وارتفاع بين 2.5 إلى 4 متر وهي تتميز بحرارة معتدلة ثابتة على مدار السنة تبلغ حوالي 15 درجة مئوية...

السرداب في اللغة جمعه سراديب كما ورد في المنجد اللغوي وهي كلمة فارسية تعني بناء تحت الأرض... ومن وجة النظر الجيولوجية نلاحظ أن الطبيعة الجيولوجية لأرض مدينة النجف الأشرف وفرت أركانًا أساسية لبناء مساكن تحت الأرض (سراديب) وهذه الأركان أو الأسس ترتبط بطبيعة تربة النجف الأشرف وخصائص الصخور التي تغطيها تلك التربة بالإضافة إلى الخصائص الهيدروجيولوجية الخاصة بهضبة النجف.

إن تكوين الدبدبة الذي تقع عليه رقعة مدينة النجف الأشرف يتكون من تعاقب طبقات رملية مختلفة السماكات ومتباينة التماسك والصلابة وهذا النوع من الصخور يعتبر ملائمًا لإنشاء فضاءات تحت الأرض (السرداب) للأبعاد المطلوبة بأسلوب الحفر اليدوي وبدرجة معقولة من السلامة والأمان خلال عملية التشييد أو خلال الاستخدام حيث يتم بعد استكمال عملية الحفر بناء الجدران والسقوف بواسطة الطابوق وفق الأساليب المعروفة محليًا التي توصل إليها قدماء العراقيين خاصة في بناء السقوف المقوسة.

إن الخصائص الصخرية لمقطع تكوين الدبدبة في منطقة النجف المتمثلة بتعاقب طبقات صلبة من الصخور الرملية مع طبقات هشة (أقل صلابة) توفر فرصة لبناء عدة طوابق سكنية تحت الأرض (سراديب) تصل أحيانًا إلى أربعة طوابق وتسمى تلك السراديب بمسميات مختلفة حسب عمقها عن سطح الأرض ومدى اختراقها للطبقات المكونة لهضبة النجف.

وقد وثق تلك التسميات المحلية لتلك الطبقات المرحوم عبد المحسن شلاش في مؤلفه الذي أصدره عام 1947 والذي أشار إليه الأستاذ حسن الأسدي في كتابه الموسوعي عن ثورة النجف الأولى[1] وفي مناسبة ذكر ذلك اعتبر ما كتبه المرحوم عبد المحسن شلاش حول الموضوع أول بحث علمي جيولوجي يكتب عن النجف بل اعتبره من البحوث الجيولوجية النادرة التي كتبها العراقيون عن جيولوجية منطقة من مناطق العراق، وقد استندت ملاحظتي هذه على معطيات دراسة تاريخية منشورة انجزتها حول تاريخ المسوحات الجيولوجية والتحريات المعدنية في العراق.

تصنف سراديب النجف إلى عدة أصناف ولها مسمياتها الخاصة معروفة لدى النجفيين كما يلي:

(1) الأسدي، حسن (1975) ثورة النجف الكبرى، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة رقم 79.

- **السرداب الأرضي:** معدل عمقه يبلغ ستة أمتار ويخترق الطبقة الأولى من هضبة النجف.

- **سرداب نصف السن:** ويلي السرداب الأرضي. يحفر ضمن الطبقتين الأولى والثانية ويبلغ عمقه حوالي أحد عشر مترًا ويصل إلى طبقة الهصهاص المتكونة من رمال متماسكة.

- **سرداب السن:** والذي يصل إلى الطبقة الرابعة وهي سن القرص ومعدل عمقه حوالي أربعة عشر مترًا.

- **سرداب سن الطار:** وهو نادر في بيوت النجفيين ويبلغ عمقه ثمانية عشر مترًا ويصل إلى الطبقة السادسة من طبقات هضبة النجف مخترقًا طبقة رأس الطار.

من ملحقات بناء السرداب نظام للتهوية، وهو نظام ضروري لتكييف السرداب للاستخدام المعيشي ويتكون هذا النظام من شبكة من الممرات الهوائية الجدارية تعرف محليًا بـ(البادكير) وهي كلمة أعجمية أيضًا، وتبنى في جدران السرداب وتمتد هذه الممرات الهوائية إلى سطح الدار ويتم بناؤها بطريقة تؤمن حماية السرداب من تسرب مياه الأمطار الساقطة في فصل الشتاء. إن منظومة التهوية (البادكيرات) على تدوير الهواء داخل السرداب يؤدي إلى تجديده فضلًا عن الحصول على نسمات باردة من الهواء.

من ملحقات بناء السرداب النجفي أيضًا البئر التي تحفر داخل السرداب لأغراض الحصول على الماء ولأغراض دفاعية عن المدينة ويعمل هذا البئر على زيادة كفاءة نظام التهوية، حيث إن آبار سراديب مدينة النجف الأشرف متصلة فيما بينها بشبكة من القنوات الأفقية التي سوف نتطرق إليها لاحقًا.

من اللمحات الجديرة بالإشارة في هذا المبحث هو مصطلح السن الذي استخدمه النجفيون لوصف عمق السردايب وموقعه بين الطبقات الصخرية وهو استخدام دقيق للتعبير عن الصلابة العالية للطبقة الصخرية بالمقارنة مع الطبقتين اللتين تحدها من الأعلى والأسفل (الأقل صلابة) ويقابل هذا المصطلح في اللغة الإنكليزية Dendudation الذي يعني نتوءات صخرية تبرز نتيجة عوامل التعرية على طبقات متباينة الصلابة تشبه بروز السن في اللثة، وهكذا يعتبر بناء واستخدام السراديب في النجف من المظاهر الجيولوجية وتعكس اهتمام النجفيين القدماء في دراسة الأرض التي يعيشون عليها وتشخيص خصائصها ثم توظيفها واستثمارها في تطوير نمط معيشتهم في بناء السردايب لغايات دفاعية وتحصينية ضد الهجمات العديدة التي تعرضت لها المدينة خلال تاريخها الطويل من قبل غزاة عديدين، فضلًا عن الغايات المعيشية الأخرى للسراديب كوسيلة للتكيف مع طبيعة المناخ الصحراوي لمدينة النجف الذي يتميز بدرجات حرارة مرتفعة لأشهر عديدة من السنة تتخلله عواصف

رملية تسمى حاليًا (الطوز) ويجدون في السراديب ملاذًا للتخفيف من شدة الحرارة في وقت الظهيرة، وكذلك التخفيف من تأثير كمية الساقط الغباري على التنفس خلال فترة العواصف، فضلًا عن استخدام السراديب وسيلة لتبريد المياه والفواكه الصيفية وحفظ الأغذية وقد قدمت السراديب خدمات كفوءة لسكان مدينة النجف الأشرف واستمرت كذلك حتى اندثارها في بداية ثمانينات القرن الماضي بفعل عمليات هدم مناطق النجف القديمة المحيطة بالروضة الحيدرية المقدسة لإزالة معالمها الآثارية.

إن السراديب المتبقية في مدينة النجف نادرة جدًا وخاصة سراديب السن والأعداد المتبقية منها غير صالحة للاستخدام بفعل ارتفاع منسوب المياه الجوفية الذي اختلت موازنته خلال الربع الأخير من القرن الماضي لأسباب نتناولها في فقرة آبار النجف.

خسفة الشبجة

خسفة الشبجة من المظاهر الجيولوجية المهمة في محافظة النجف وترتبط اهميتها بتاريخ نشوئها وهو تاريخ حديث شهده بعض سكان محافظة النجف وسمع عنه الكثير من العراقيين في حينه وكان ذلك في الرابع من آذار من عام 1944 حيث بدأت الخسفة في النشوء كما وصفها تقرير جيولوجي صدر عام 1944 عن قسم الجيولوجيا التابع لوزارة الاقتصاد آنذاك.

حيث ورد فيه نقلًا عن شهود عيان من العوائل البدوية التي كانت قريبة من المنطقة وكذلك من بعض منتسبي مخفر الشبجة بأن الأرض اهتزت مساء 4-5 آذار 1944 وظهرت فوهة أرضية لفتت الانتباه ثم حدثت انهيارات أرضية باطنية وشعر من كان موجودًا قرب المنطقة بهزة أرضية وصوت هائل ثم ظهر ثقب في الأرض انبعثت منه غمامة ترابية، واستمر الانهيار والدوي طوال الليل ولم تهدأ حتى بعد مرور شهر على ذلك، حتى استقرت وخلفت فوهة قطرها 98 قدمًا وعمقها 86 قدمًا وفق قياسات الجيولوجي من إحدى شركات النفط الذي زار المنطقة في ذلك الوقت وبذلك بكون حجم الصخور التي غارت حوالي ثلاثة عشر مليونًا ونصف قدم مكعبٍ من الصخور.

لقد وردت هذه المعلومات في الجزء الثاني من كتاب فيضانات بغداد لمؤلفه المرحوم العلامة أحمد سوسة[1] وقد راجعت ما تبقى من الأرشيف القديم للتقارير الجيولوجية في الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين ولم أعثر على نسخة منه، إلا إن خسفة الشبجة موجودة وقد تم تحديدها على الخرائط الجيولوجية.

(1) سوسة، أحمد (1963) فيضانات بغداد في التاريخ، الجزآن الأول والثالث.

في رأي المؤلف أن ما حدث في منطقة الشبجة مساء الرابع من آذار من عام 1944 ولادة لظاهرة جيولوجية معروفة وهي ظاهرة التخسف Karstification.

وولادة مثل هذه الظاهرة تتمخض بعد فترة طويلة جدًا من بداية الفعل الجيولوجي المتمثل بتأثير المياه الجوفية على الصخور وإذابة مكوناتها ونقلها بعيدًا عن موقعها. وفي الزمن المنظور فإن الفرصة نادرًا ما تكون متاحة للإنسان لمشاهدة ولادة هذه الظاهرة وتوثيقها ولو تكرر ما حدث في الشبجة في أيامنا هذه في منطقة الشبجة أو في غيرها لشمل توثيق ولادة هذه الظاهرة التسجيل الصوري والصوتي بالتقنيات الحديثة فضائية وأرضية والوصف الدقيق لمراحل نشوء التخسف، وعليه يمكن اعتبار خسفة الشبجة أحدث ظاهرة جيولوجية نشأت ليس في محافظة النجف بل ربما في عموم مناطق العراق.

جيولوجية منطقة الشبجة متمثلة بتكوين الدمام ويتكون من صخور جيرية كما أسلفنا في فقرة التتابع الطباقي وصخور هذا التكوين متكشفة على السطح في منطقة الشبجة تليها صخور تكوين الرس المتكونة من صخور المتبخرات، وهذه الصخور تأثرت بالمياه الجوفية التي عملت على إذابتها مما أدى إلى تجويفها أو تكهفها، وإن حجم التكهف قد تطور مع الزمن ومع زيادة معدل الإذابة بسبب تداخل المعادن الملحية مثل الهالايت مع تلك الصخور الانهيدراتية مما أدى إلى انهيار (تخسف) سقفها وبذلك نشأت خسفة الشبجة التي روى مراحل نشوئها شهود العيان من العوائل البدوية التي كانت تسكن بالقرب منها والتي وثق أوصافها اثنان من الجيولوجيين في ذلك الحين.

مما تجدر الإشارة إليه في هذا الخصوص أن منطقة الشبجة وما حولها من الأجزاء الجنوبية الغربية لمحافظة النجف تتميز بظاهرة أخرى هي ظاهرة المنخفضات أو ما يعرف الفيضانات وهي منتشرة، ويعود بعض مسببات انتشارها إلى تكوين الرس أيضًا وتأثير المياه الجوفية على إذابة مكوناته من المعادن التبخرية، وبتعبير آخر إن الفيضان مظهر من مظاهر التخسف لكنه غير متطور لدرجة حدوث خسفات سطحية كما هو الحال بالنسبة إلى خسفة الشبجة في محافظة النجف أو خسفات أخرى موجودة في المنطقة حديثة في محافظة الأنبار.

عن كتاب:

أرض النجف التاريخ والتراث

الجيولوجي والثروات الطبيعية

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد القزويني، دار صادر، بيروت، 1998م.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي المعروف بالبشاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ط3.
- الأحلام، الشيخ علي الشرقي، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، سنة (1963م.
- الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، سنة (1960م، ط1.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين القفطي، تصحيح محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، سنة (1329ه) (أوفست دار الآثار بيروت).
- أرض النجف، التاريخ والتراث الجيولوجي والثروات الطبيعية، د. موسى جعفر العطية، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف، 2006م.
- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
- الاشتقاق، أبو بكر محمد بن دريد، تحقيق د. عبد السلام محمد هارون، نشر مؤسسة الخانجي، مطبعة السنّة المحمدية، 1958م.
- أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، المحامي جمال بابان، بغداد 1989م (الطبعة الثانية موسعة ومنقحة).
- الأعلام، قاموس تراجم، خير الدين الزِركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ط7.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (مصورة عن طبعة دار الكتب).

- أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر ذوي القربى، قم (أوفست).
- البداية والنهاية، ابن كثير، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ط1.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تحقيق د. سُهيل زكار، مؤسسة البلاغ، بيروت-دمشق، 1998م.
- كتاب البلدان، ابن الفقيه الهمداني، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ط1.
- البلدان، ابن واضح اليعقوبي، وضع حواشيه محمد أمين ضَناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ط1.
- البيان والتبيين، عمر بن بحر الجاحظ، د. عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزَبِيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مطبعة حكومة الكويت (طبع الجزء الأول سنة (1986م).
- تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط خليل شحادة، مراجعة د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1988م، ط2.
- تاريخ خليفة بن خياط، العصفري، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م.
- تاريخ الدولة العربية، د. السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ابن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت.
- تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، د. صالح أحمد العلي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت 2003م، ط2.
- تاريخ الكوفة، السيد حسين البراقي، تحرير السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت، 1987م، ط4.

- تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، أوفست نشر بيدار، قم (بدون تاريخ).
- تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة (2001م).
- تاريخ النجف، اليتيمة الغروية والتحفة النجفية في الأرض المباركة الزكية، السيد حسين البراقي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، 2009م، ط1.
- تاريخ النجف الأشرف، الشيخ محمد حسين حرز الدين، تهذيب عبد الرزاق حرز الدين، منشورات دليل ما، قم 1427هـ.
- تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي، محمد جواد فخر الدين، دار الرافدين للطباعة والنشر، بيروت 2005م، ط1.
- تاريخ نصارى العراق، د. سهيل قاشا، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م، ط1.
- تاريخ اليعقوبي، ابن واضح اليعقوبي، تعليق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ابن مسكويه، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ط1.
- التعازي والمراثي، أبو العباس محمد المبرد، تحقيق محمد الديباجي، مطبعة زيد بن ثابت، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1976م.
- تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمي، تصحيح سيد طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت، 1991م.
- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط2.
- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، أبو جعفر الطوسي، تحقيق الشيخ محمد جواد مغنية، دار الأضواء، 1992م، ط2.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد الأزهري، اشراف محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ط1.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1985م.
- جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، دار الفارابي، بيروت، 2007م، ط3.
- جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ط1.
- الحضارات السامية القديمة، سبتينو موسكاني، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986م.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، تعريب د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، ط4.
- الحضارة السريانية حضارة عالمية، موسى مخول، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، 2009م، ط1.
- حضارة العرب، غوستاف لوبون، تعريب عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني الشافعي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ط2.
- الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق يحيى زكريا عبارة ومحمد أديب جمران، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1998م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1957م (أوفست عن مطبعة دار الكتب المصرية).
- خطط الكوفة وشرح خريطتها، لويس ماسنيون، ترجمة تقي بن محمد المصعبي، دار الوراق للنشر، لندن، 2009م.
- دائرة المعارف، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت.
- دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، إصدار أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة د. محمد مهدي علام، دار المعرفة، بيروت.
- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2002م، ط6.

- دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، د. عبد الجبار ناجي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2009م، ط2.
- الديارات، أبو الحسن علي الشابشتي، تحقيق كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، 1986م، ط3.
- ديارات الطريحي (الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها)، أ. محمد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة، هولندا، 2010م، ط3.
- ديوان الأعشى، أعشى قيس، نشر دار صادر، بيروت.
- رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار)، شرح طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط3.
- رحلة ابن جبير، ابن جبير، ضبط د. محمد زينهم، دار المعارف، مصر (سلسلة ذخائر العرب، رقم 77)، القاهرة، 2005م.
- روح مصر القديمة، آنا روير، ترجمة إكرام يوسف، المشروع القومي للترجمة رقم 965، مكتبة درا الشروق، القاهرة، 2005م، ط1.
- الشاهنامة، أبو القاسم الفردوسي، ترجمها نثرًا الفتح بن علي البنداري، مقارنة وإكمال الترجمة وتصحيح وتعليق د. عبد الوهاب عزّام، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993م، ط2.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ابن أبي الحديد المعتزلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، بيروت، 2004، ط2.
- شعراء النصرانية قبل الإسلام، لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، 1967م، ط3.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999م، ط1.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد القلقشندي، شرح محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ط4.

- صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1981م، ط4.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، تقديم د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1998م، ط2.
- العرب على حدود بيزنطة وإيران، نينا ڤكتورڤنا پيغوليڤسكيا، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، شرح وتصحيح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986م.
- علل الشرايع، الشيخ الصدوق، دار إحياء التراث العربي (أوفست عن منشورات المكتبة الحيدرية في النجف) 1966م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988م، ط1.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.
- كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق، علي شيري، دار الأضواء، بيروت، 1991م، ط1.
- فتوح البلدان، أحمد البلاذري، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م.
- فتوح الشام، أبو عبد الله محمد الواقدي، ضبط عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ط1.
- فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في النجف، عبد الكريم بن طاووس، تحقيق الشيخ محمد مهدي نجف، نشر العتبة العلوية المقدسة، النجف، 2010م، ط1.

- فروع الكافي، أبو جعفر الكليني، تحقيق الشيخ محمد جواد مغنية، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992م، ط1.
- الفهرست، ابن النديم، تحقيق رضا تجدّد، طهران، 1971م.
- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- قاموس دار العلم الفلكي، عبد الأمير المؤمن، دار العلم للملايين، بيروت، 2006م.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، اشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ط6.
- قصور العراق العربية والإسلامية حتى نهاية العصر العباسي، أ. طالب علي الشرقي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001م.
- كامل الزيارات، ابن قولويه القمي، تحقيق الشيخ جواد القيوّمي، نشر الفقاهة، قم، سنة (1428ه).
- الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، دار صادر، بيروت، 2005م، ط7.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ط2.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي حسام الدين الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ط2.
- الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، د. صالح أحمد العلي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2003م.
- لسان العرب، ابن منظور المصري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ودار صادر، بيروت، 1994م.
- ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، دار الأَضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009م، ط2.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، تحقيق د. قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2003م، ط1.

- مجمع البحرين، الشيخ فخري الدين الطريحي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي، تحقيق السيد هاشم المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1988م، ط2.
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، اشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، 1994م.
- المخصص، ابن سيده المرسي الأندلسي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ط1.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م، ط1.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م، ط5.
- المستقصى في أمثال العرب، جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط2.
- المسيحية والإسلام، الأب د. جورج قنواتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، والمكتبة العالمية، بغداد، 1984م، ط2.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد الفيومي، منشورات دار الهجرة، قم (أوفست).
- المعارف، ابن قتيبة، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، 1981م.
- معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ط1.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي الرومي، دار صادر، بيروت، 1995م، ط2.
- معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، نشر جروس برس، طرابلس، 1991م، ط2.
- معجم الحضارة المصرية القديمة، جورج بوزنر وآخرون، ترجمة أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله البكري الأندلسي، تحقيق د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق د. عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، بيروت، 1990م.
- المعرّب من الكلام الأعجمي، أبو منصور الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1361هـ.
- المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتوح ناصر المطرزي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، الهند، 1328هـ.
- مفاتيح العلوم، أبو عبد الله محمد الخوارزمي، نشر فان فلوتن، ليدن، 1895م.
- المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، منشورات الشريف الرضي، قم، سنة (1380هـ. ش. (1422هـ.ق.) (أوفست دار العلم للملايين، بيروت).
- المفصّل في تاريخ النجف الأشرف، د. حسن عيسى الحكيم، المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، 1327هـ.
- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، 2005م.
- المنازل والديار، أسامة بن منقذ، تحقيق مصطفى حجازي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 2004م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ط2.
- موسوعة العتبات المقدسة، أ. جعفر الخليلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1987م، ط2.
- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، ط2.

- موسوعة النجف الأشرف (النجف قديمًا)، جمع الحاج جعفر الدجيلي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007م، ط2.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ط1.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991م، ط1.
- النجف الأشرف، اسهامات في الحضارة الإنسانية، وقائع الندوة العلمية التي عقدها مركز كربلاء للبحوث والدراسات في لندن، مركز كربلاء للبحوث والدراسات، لندن، 2000م، ط1.
- النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها، طالب علي الشرقي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2000م.
- النجف الأشرف مدينة العلم والعمران، أ. محمد كاظم الطريحي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2002م، ط1.
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى عمّان الأردن، 1982م.
- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، الأب لويس شيخو اليسوعي، دار المشرق بيروت، 1989م.
- نظرة إلى التراث الفلكي في النجف الأشرف، عبد الأمير المؤمن، جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف، 2010م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد النويري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن خلِّكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.
- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق د. عبد السلام محمد هارون، (أوفست مكتبة المرعشي النجفي)، قم 1418هـ).

المجلات والدوريات والصحف

1- مجلة آفاق عربية، دار آفاق عربية للصحافة والإعلام، بغداد.
2- مجلة آفاق نجفية، رئيس التحرير: أ. كامل سلمان الجبوري، النجف الأشرف.
3- مجلة تراث النجف، مؤسسة تراث النجف الحضاري الديني، النجف الأشرف.
4- مجلة الحيرة، الشيخ عبد المولى الطريحي، النجف الأشرف.
5- مجلة الذخائر، رئيس التحرير: أ. كامل سلمان الجبوري، بيروت.
6- صحيفة الشرق الأوسط، المملكة المتحدة (لندن).
7- مجلة المجمع العلمي العراقي، المجمع العلمي العراقي، بغداد.
8- مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.
9- مجلة الموسم، أ. محمد سعيد الطريحي، هولندا.

مركز الرافدين للحوار :(R.C.D)

مركز فكريٌّ مستقل (THINK TANK)، يعمل على تشجيع الحوارات في الشؤون التعليمية والثقافية والسياسية والاقتصادية بين النخب كافة؛ لتعزيز التجربة الديمقراطية، وتحقيق السلم المجتمعي، ورفد مؤسسات الدولة والمجتمع بالخبرات والرؤى الاستراتيجية؛ ابتغاء تفعيل دورها والارتقاء بأدائها، ويمثل المركز فضاءً حُرًّا للحوار يتسم بالموضوعية والحياد، ويوظِّف مخرجاته لمساعدة صُنَّاع القرار وتوجيه الرأي العام نحو بناء دولة المؤسسات.

يُعَدُّ مركزُ الرافدين للحوار من المراكز التفكير النوعية في العراق التي تجمعُ على منبرها النخبَ السياسيةَ والاقتصادية والأكاديمية الناشطة في توجيه الرؤى والمؤثرة في صناعة القرار والرأي العام. تم تأسيس المركز في 2014/2/2 في مدينة النجف الأشرف على شكل مجموعة افتراضية في العالم الالكتروني تضم عدداً من الأكاديميين والمثقفين والسياسيين، وقد تطورت الفكرة لاحقا ليتم إكسابها الصفة القانونية عن طريق تسجيل المركز في دائرة المنظمات غير الحكومية NGO التابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي.

الرؤية:

إن المركز هو محطة ثقافية تلتقي عندها آراء النخب وصناع القرار بجميع أطيافها السياسية والدينية والقومية، وبِمَا يوفره من بيئة حواريّة إيجابية تُحْسِّنُ إيجاد الفضاءات المشتركة بين تلك الآراء وتسهم في بناء بلدٍ مزدهر.

الرسالة:

تتمثل رسالة المركز بتشجيع وتنمية الحوارات الموضوعية والجادة بين النخب العراقية وصناع القرار بما يعزز التجربة الديمقراطية ويحقق السلم المجتمعي والتنمية المستدامة في العراق من خلال تحقيق **الأهداف** الآتية:

1. تعزيز السلم المجتمعي عبر الحوار البنّاء بين النخب العراقية.
2. تعزيز المسؤولية الوطنية ودعم التجربة الديمقراطية للدولة وبناء مؤسساتها.
3. مساعدة مؤسسات الدولة في حل المشكلات عبر تقديم الاقتراحات والاستشارات في مجالات مختلفة وعبر إصدارته المتنوعة وخبراءه المتنورين.
4. توسيع المشتركات بين الكيانات السياسية والاجتماعية عبر حوار محايد يعزز العلاقة بين المواطن والدولة.

الوسائل:

1. تنظيم الندوات والجلسات النقاشية في المجالات التي يُعنى بها المركز ومتابعة مخرجاتها في ظل تغطية إعلامية تعرِّف بها داخل العراق وخارجه.
2. إصدار الكتب والتقارير الاستراتيجية وإجراء الأبحاث والدراسات ونشرها ورقياً وإلكترونياً.
3. عقد شراكات مع مؤسسات محلية ودولية بحثية وأكاديمية ذات أهداف مشتركة.
4. التعاون مع جامعات عالية المستوى لإقامة الفعاليات العلمية والملتقيات الفكرية.
5. إنشاء دوائر بحوث ولجان متخصصة لتعزيز البحث العلمي.
6. عقد حوارات بين المختلفين لتعزيز الاندماج الاجتماعي.

هيكلية المركز

يتكون مركز الرافدين للحوار RCD من هيكلية إدارية متشكّلة وفقاً لنظامه الداخلي تتضمن: مجلس الإدارة الذي يتكون من السيد المؤسِّس **زيد الطالقاني** بوصفه رئيساً للمجلس **و**ثمانية أعضاء، ومدير تنفيذي ونائبه، وهيأة مستشارين، وعدد من الأقسام العلمية والإدارية هي: قسم البحث والتطوير، وقسم الشؤون الإدارية والقانونية والمالية، وقسم المراسم والعلاقات العامة، إلى جانب مستشار الشؤون الثقافية والتعاون الدولي.

مثل أي مؤسسة معطاة ومثمرة، تعرّض مركز الرافدين للحوار الى عدد غير قليل من التحديات والمضايقات والاستهدافات التي حاولت النيل منه، إلا أنه أبى إلا أن تستمر مسيرته المؤزرة باستدامة العطاء وقوة الإرادة.

يُعنى المركز بعدة قضايا محلياً وإقليميا وعالمياً يُعالجها عبر إصداراته المتنوعة من خلال المجالات الآتية:

1. العلوم السياسية والعلاقات الدولية.
2. الاقتصاد والتنمية.
3. الاجتماع.
4. الشؤون الفكرية ومعالجة الظواهر الاجتماعية.
5. الشؤون الاستراتيجية والعسكرية.
6. التكنولوجيا والأمن السيبراني.
7. القضايا الدستورية والاجتماعية والقانونية.
8. الجغرافيا.
9. الدولة والمجتمع.
10. البيئة والتغيّر المناخي.
11. الذكاء الاصطناعي والتحولات الرقمية.

صلات المركز البحثية والعلمية محلياً وإقليمياً ودولياً

بوصفه مركزاً بحثياً يعمل على تعزيز الحوار مع الآخر، يحرص مركز الرافدين للحوار على مد جسور التعاون المعرفي والبحثي عبر عقد صلات مع مراكز ومؤسسات بحثية عربية وأجنبية حول العالم وذلك من خلال اتفاقيات تعاون مبرمة مع مؤسسات ومراكز على درجة من الأهمية على الصعيد العراقي والعربي والإقليمي والعالمي، منها «**معهد الخدمة الخارجية**» التابع لوزارة الخارجية العراقية، و«**مركز الدراسات المصرفية**» التابع للبنك المركزي العراقي، و«**جامعة صلاح الدين في أربيل**»، و«**مجموعة الأزمات الدولية (ICG)**»(بلجيكا)، و«**المعهد العالمي للمياه والبيئة والصحة**»(GIWEH) (سويسرا)، و«**المعهد الفرنسي للأبحاث وتحليل السياسة الدولية**»(CFRP)، «**معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة**»(CICIR)، و«**مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية**»، و«**مركز الشؤون الدولية الروسي**»(RIAC)، «**معهد السياسة والحكم**» (GPTT) (إيران)، و«**المعهد العربي للديمقراطية**» (تونس)، و«**مركز أفغانستان والشرق الأوسط وإفريقيا** (CAMEA) **في معهد الدراسات الاستراتيجية**(ISSI)، إسلام أباد (باكستان)، وغيرها من المؤسسات المهمة.

استطاع مركز الرافدين للحوار RCD أن يكون رائداً في عقد المتلقيات وذلك عبر ملتقاه السنوي الأكبر (مُلتقى الرافدين) وهو ملتقى دولي يعقده المركز سنوياً في العاصمة بغداد، يناقش أبرز المواضيع والمستجدات على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي، ويوفر فضاءً حُراً لمناقشة الآراء في المجالات التي يُعقد على أساسها بين النخب على الصعيد المحلي والدولي وعلى درجة عالية من الأهمية، ويُسخّر مخرجاته لصالح بناء الدولة ومؤسساتها وتعزيز ثقافة الحوار والتعايش على المستويات كافة.

يتمتع المركز بدعم وتمويل من المؤسسات الراعية له عبر اتفاقات علنية ووفقاً للضوابط والقوانين العراقية النافذة، ويحرص على الإعلان عن مصادر هذا الدعم والتمويل بشفافية ووضوح. ويتمثّل هذا الدعم لنشاطات المركز بإسهامات الهيأة الإدارية (مجلس الإدارة) والتبرعات والمنح والهبات والهدايا غير المشروطة الداخلية والخارجية، فضلاً عن المنح المالية من المنظمات الدولية، ووكالات الأمم المتحدة، والجهات المانحة العراقية والدولية، والهيئات الإنسانية والتنموية والشركات الخاصة مثل (البنك المركزي العراقي (CBI)، وزارة النفط العراقية، هيأة الاعلام والاتصالات، بعثة الاتحاد الأوروبي، شركة بريتش بتروليوم (BP)، المصرف العراقي للتجارة (TBI)، المجلس الاقتصادي العراقي (IEC)، شركة وادي الخير للاستثمارات الزراعية، مصرف الثقة الدولي، ، شركة النافذة لخدمات الانترنت وتكنولوجيا المعلومات، مجلس الأعمال العراقي، شركة وجه القمر للاستثمارات والمقاولات، شركة مدينة المعالي للاستثمارات والمقاولات، منصة تعليم).

كما يتمتع المركز بدعم من مؤسسات عراقية رصينة مجازة قانوناً، أبرزها «الوطني من إيرثلنك» التي تعد الشركة الأولى والرائدة في العراق المتخصصة في مجال تقنية الألياف الضوئية (FTTH) وأكبر مجهز لخدمات الإنترنت في العراق، وشركة «آسياسيل» (AsiaCell) أول شركة اتصالات في العراق والمزود الرئيسي لخدمات الاتصالات النقالة والإنترنت عالية الجودة، وتملك قاعدة مشتركين وصلت إلى 19.7 مليون مشترك. و«مصرف العالم الإسلامي» أحد أهم المصارف العراقية في مجال التنمية الاقتصادية وهو شركة مساهمة خاصة أسسها نخبة من رجال الأعمال المعروفين محلياً وإقليمياً.

أولاً: الكتب المؤلفة

ت	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
1	الاقتصاد العراقي بعد عام 2003	زين العابدين محمد عبدالحسين صادق علي حسن	2018
2	أهوار العراق ثلاث دراسات في البيئة والحيوان والسياحة	عبد علي الخفاف حسين عليوي الزيادي خالد كاطع الفرطوسي	2019
3	محاضرات في الشأن العراقي	مجموعة خبراء	2019
4	بناء العراق الواقع والعلاقات الخارجية وحلم الديمقراطية	لقمان عبد الرحيم الفيلي	2020
5	الاقتصاد السياسي للتعليم في العراق	أ.د. كامل علاوي الفتلاوي أ.د. حسن لطيف الزبيدي	2020
6	بين جيلين.. مجموعة حوارات متسلسلة بين شاب عراقي وأخيه الأكبر	لقمان عبد الرحيم الفيلي	2021
7	البنك المركزي العراقي: الأدوار.. المهام.. وخيارات المستقبل	مجموعة مؤلفين	2021
8	العراق 2020: التقرير الاستراتيجي لمركز الرافدين للحوار	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. حسن لطيف الزبيدي أ.د. أحمد سامي المعموري أ.د. مقدام عبد الحسن الفياض	2021
9	الوجيز في خلافة الدول: دراسة قانونية في ضوء أحكام الاتفاقيات الدولية	د. أبوطالب هاشم أحمد الطالقاني	2021
10	فلسفة أطر العلاقة البينية للايتيقيا والقانون: دراسة قانونية نقدية في الواقع وعالم ما بعد العلمانية	أ.د. إياد مطشر صيهود	2021
11	العقد الاجتماعي عند الشيخ النائيني في العراق	أ. المتمرس د. عبد الأمير زاهد	2022
12	رؤى جديدة لإدارة صناعة إستخراج النفط في العراق	أ د. جواد كاظم لفته الكعبي	2022
13	مشكلات عراقية معاصرة	أ.د. وليد عبد جبر	2022

ت	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
14	العراق 2021 التقرير الاستراتيجي لمركز الرافدين للحوار	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. حسن لطيف الزبيدي أ.د. أحمد سامي المعموري أ.د. مقدام عبد الحسن الفياض	2022
15	الصين وشركات التكنولوجيا أذرع التجسس ومصادر التفوق والهيمنة الرقمية	أ.د. حسن لطيف الزبيدي د. كرار أنور البديري د. أحمد أمين	2022
16	الفَسادُ الماليُّ والإداريُّ في العراق رؤيةٌ جغرافيَّةٌ-سياسيَّةٌ	أ. د. حسين عليوي ناصر الزيادي	2023
17	انتهاكات داعش للقانون الدَّوليِّ الإنسانيِّ	د. فاضل عبد الزَّهرة الغراويّ	2023
18	مصادر الطاقة ومستقبل البشرية	د. حسين الشهرستاني	2023
19	دراسات في الحركات الاسلامية المعاصرة في العراق	مجموعة مؤلفين	2023
20	الوجود الإسلامي في اوربا ومستقبله: دراسة في ضوء المصادر الاستشراقية المعاصرة	هبة حسين الرماحي	2023
21	النجف الاشرف 2050 رؤية مستقبلية	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. حسن لطيف الزبيدي أ.د. مقدام عبد الحسن الفياض	2023
22	تقويم عمل الحكومة العراقية خلال عامٍ كامل 2022-2023	مجموعة مؤلفين	2023
23	العراق عقدان ملتهبان: تناسل الازمات وامتناع الحلول (5 مجلدات)	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. حسن لطيف الزبيدي أ.د. أحمد سامي المعموري أ.د. مقدام عبد الحسن الفياض م.م. عمّار كريم حميد	2024
24	كركوك العراقيَّة وصراع الهويَّات الفرعيَّة	د. دهام محمد العزاوي	2024
25	الأهمية الاقتصادية لميناء الفاو الكبير وانعكاسه على واقع التنمية المستدامة في العراق	أ.د. حميدة شاكر الإيدامي أ. م. د. أمجد راضي الزاهدي	2024
26	العراق 2022: التقرير الاستراتيجي لمركز الرافدين للحوار	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. حسن لطيف الزبيدي أ.د. أحمد سامي المعموري أ.د. مقدام عبد الحسن الفياض أ.د. أسعد كاظم شبيب	2024
27	المؤسسة العسكرية العراقية 2020-2003	د. عماد هادي علو الربيعي	2024

ت	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
28	العراق 2023: التقرير الاستراتيجي لمركز الرافدين للحوار	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. أسعد كاظم شبيب أ.د. أحمد سامي المعموري أ.د. مقدام عبد الحسن الفياض	2025
29	الانتفاضة الشعبية في العراق 1999 بعد استشهاد السيد الصدر (قدس): المقدمات، المسارات، النتائج	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. أسعد كاظم شبيب أ.د. مقدام عبد الحسن الفياض أ.د. أحمد سامي المعموري	2025
30	جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق: حقائق جديدة على أرضٍ قديمة	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. أسعد كاظم شبيب أ.د مقدام عبد الحسن الفياض عمّار كريم حميد	2025
31	السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط في عهدي ترامب وبايدن 2017 – 2024	مجموعة مؤلفين تحرير: أ.د. أسعد كاظم شبيب أ.د مقدام عبد الحسن الفياض عمّار كريم حميد	2025
32	النجف قبل الإسلام: حفريات في ذاكرة المنطقة	عبد الأمير المؤمن	2025

ثانياً: الترجمات

ت	عنوان الترجمة	المؤلف	سنة النشر
1	حرب بلا نهاية: سياق حرب العراق	مايكل شوارتز	2019
2	مقدمة في الفلسفة السياسية	جيسون برينن	2019
3	ريع الموارد والنمو الاقتصادي	بيتر كازناتشيف	2019
4	العراق تاريخ سياسي من الاستقلال الى الاحتلال	عضيد داويشة	2019
5	المرجعية الدينية الموقف الوطني في العراق بعد 2003	كارولين مرجي الصايغ	2020
6	القاعدة والدولة الإسلامية وحركة الجهاد العالمية ما يحتاج الجميع الى معرفته	دانيال بايمن	2021
7	أوهام النصر صحوة الأنبار وصعود الدولة الإسلامية	كارتر مليكزيان	2021
8	شنّ حروب التمرد الدُّروسُ المُسْتَقَاةُ مِنْ حُروبِ التَّمرُّد بدْءًا مِنْ الفيت كونغ وُصُولً إِلَى الدَّوْلَةِ الإسلاميَّةِ	سيث ج. جونز	2021
9	النظام الفيدرالي في العراق النشأة والأداء والأهمية	فرح شاكر	2021
10	الاتجاهات العالمية 2040	مجلس الاستخبارات الوطني الأمريكي	2021
11	الشيعة العرب .. المسلمون المنسيون	كراهام فولر رند الرحيم فرانك	2021
12	حكّام وعقائد وثروات لماذا أثرى الغرب دون الشرق؟	جارِد روبِن	2021
13	جنود ومواطنون التاريخ الشفوي لعملية "حرية العراق" من ساحة المعركة إلى البنتاغون	كارل ميرا	2021
14	الأمن في منطقة الخليج	فاطمة شايان	2021
15	بين الدولة واللادولة .. السياسة والمجتمع في كردستان العراق وفلسطين	مجموعة مؤلفين تحرير: گلستان گُربَي زابينه هوفمان فرهاد إبراهيم سَيدر	2022
16	الإسلام الشيعي والسياسة إيران والعراق ولبنان	جون أرمجاني	2023

ت	عنوان الترجمة	المؤلف	سنة النشر
17	فهم العنف الديني: اكتشاف الراديكالية والارهاب في الدين من خلال دراسة حالات نموذجية	مجموعة مؤلفين تحرير: جيمس دينگلي مارسيلو موليكا	2023
18	الاقتصاد السياسي لعلاقة الاتحاد الاوربي مع العراق وإيران- تقويم لعلاقة السلام عبر التجارة	أمير كامل	2023
19	نظرة جديدة في العلاقات التركية العراقية - معضلة التعاون الجزئي	محمد عاكف قومرال	2023
20	الحرب الخفية: كيف تمكنت الصين من السيطرة على غفلة من النخب الأمريكية	روبرت سبولدينغ سِث كوفمان	2023
21	الحرب والسلام السيبرانيان: الصراع الرقمي في الشرق الأوسط	مجموعة مؤلفين تحرير: مايكل سيكستون وإليزا كامبيل	2023
22	الركائز السبع: الأسباب الحقيقية لإضطراب الشرق الأوسط	مجموعة مؤلفين تحرير: مايكل سيكستون وإليزا كامبيل	2023
23	صعود روسيا: السياسة الخارجية لبوتين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	مجموعة مؤلفين تحرير: مايكل سيكستون وإليزا كامبيل	2023
24	السفراء: الدبلوماسيون الأمريكيون على الخطوط الأمامية	بول ريكتر	2023
25	كيف أصبح العالم غنيًا؟“	مارك كوياما جاريد روبين	2024
26	بناء المؤسسات في البلدان الضعيفة: أولوية السياسات المحلية	أندرو رادين	2024
27	المعلومات والسلطة والديمقراطية: الحرية من بنات المعرفة	نيكو شْتير	2024
28	منظمة أوبك في القرن العشرين: من الصعود إلى الانحدار	تحرير: جوليانو غارافاني	2024
29	العراق في مواجهة العالم: صدّام، والولايات المتّحدة الأمريكية، ونظام ما بعد الحرب الباردة	سامْيَوَل هلفونت	2025
30	العراق: السلطة والأنظمة والهويات	أندرو جيه فليبرت	2025

ثالثاً: سلسلة الرسائل والأطروحات الجامعية

ت	عنوان الرسالة / الأطروحة	الباحث/ة	سنة النشر
1	موقف إيران من الاجتياح العراقي للكويت 1990 – 1991 دراسة تأريخية	رماح سعد مرهون المعموري	2021
2	الأثر المترتب على مخالفة ضوابط تسبيب الحكم الجزائي في التشريع العراقي (دراسة مقارنة)	م. م. يوسف فاضل طه حرز الدين	2021
3	صناديق الثروة السيادية دراسة قانونية مقارنة	د. لنجة صالح حمه طاهر حمه أمين	2021
4	التنمية السياسية وأزماتها السياسية في العراق بعد عام 2003	د. فرزدق علي التميمي	2021
5	ديناميكيات القوى الصاعدة والمهيمنة في جنوب شرق آسيا دراسة تحليلية وفق نظرية توازن المصالح	عمّار كريم حميد	2021
6	الارهاب والنظام السياسي الدولي بعد أحداث 11 أيلول سبتمبر 2001 رؤية مستقبلية.	د. خالد محمد طاهر شبر	2022
7	الاستثمار الدولي باعتماد أنموذج ICAPM واستثمارات الشركات الدولية	د. علي عبد الأمير فليفل أ.د. حاكم محسن محمد الربيعي	2022
8	تمويل التنمية الاقتصادية في البلدان النامية "العراق أنموذجا"	أ.م.د. إبراهيم جاسم جبار الياسري	2022
9	المكان وأثره التنظيمي في القوى الاجتماعية والاقتصادية لمحافظة النجف الأشرف	د. عصام صباح إبراهيم	2022
10	عجز الموازنة العامة والتغير النقدي في العراق للمدة 1980 - 2015	أ.م.د. حسين شناوة مجيد	2023
11	الحراك الاحتجاجي في العراق حلم الديمقراطية: من النكوص الى الانبعاث	د. سيف حيدر الحسيني	2023
12	المحيط الاقليمي ومحاربة الإرهاب في العراق	د. باسم محمد يونس	2025

رابعاً: الإصدارات القادمة

ت	عنوان الإصدار	فئة الإصدار	سنة النشر
1	العراق 2024: التقرير الإستراتيجي لمركز الرافدين للجوار	كتب مؤلفة	2025
2	صلاحيات رئيس الجمهورية في الأنظمة السياسية البرلمانية المعاصرة: النظام السياسي العراقي وفق دستور 2005 أنموذجاً	كتب مؤلفة	2025
3	مجلس الاتحاد العراقي: اشتراطات قانونية وتحديات عملية	كتب مؤلفة	2025
4	برامج الحكومات العراقية (2003 - 2025)	كتب مؤلفة	2025
5	حدود العراق الدولية: من خرائط النزاع الى بوابة التعاون	كتب مؤلفة	2025
6	الحرب الباردة في العالم الإسلامي	ترجمات	2025
7	السياسات الخضراء: إعادة تعريف التقدم في عصر الذكاء الاصطناعي	كتب مؤلفة	2025
8	دور إيران في محددات التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط (البرنامج النووي انموذجاً)	كتب مؤلفة	2025

مركز الرافدين للحوار RCD

مركز الرافدين للحوار RCD

www.alrafidaincenter.com
009647826222246
alrafidaincent
alrafidaincenter.com
alrafidaincent
alrafidaincent
info@alrafidaincenter.com
مركز الرافدين للحوار RCD
النجف الاشـــرف - حي الحـوراء - امتداد شارع الاسكـان
العاصمة بغداد - الجادرية - قرب تقاطع ساحة الحرية

تمتلك النجف الأشرف عمقاً حضارياً ودينياً موغلاً في القدم؛ فضلاً عن كونها تشرّفت بمرقد سيد الأوصياء الإمام علي (ع) كما أضحت مركزاً للدراسات الإسلامية ومقراً للحوزة العلمية فقد امتدت جذورها لتصل إلى ما قبل ظهور الإسلام بحقب طويلة، وهذا ما يبحثه هذا الكتاب من منظور علمي شامل، يجمع بين منهج البحث الأركيولوجي والدراسات الجغرافية والتاريخ المقارن والاستعانة بالمدونات الإسلامية الأولى حول جغرافيا المنطقة وسكانها، ويمثل هذا العمل محاولة لتقديم قراءة معمّقة لنشأة مدينة النجف ومحيطها الطبيعي والبشري، في إطار السياق الأوسع لتاريخ العراق القديم وحضارات وادي الرافدين.

ISBN 978-9-9227495-9-4

www.alrafidaincenter.com
info@alrafidaincenter.com
00964782622246
ص.ب. 252
مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center for Dialogue
R . D . D
العراق - النجف الاشرف - حي الحوراء - امتداد شارع الاسكان
العراق - بغداد - الجادرية - تقاطع ساحة الحرية